

فتح الرشيد

أحوال النفس

رسالة في النفس وبقائها ومعادها
صديق ومترجم د. أحمد فؤاد الأهواني



دار النشر
الرياض

الشيخ الرئيس ابن سينا

أحوال النفس

رسالة في النفس وبقائها ومعادها

ويليها ثلاث رسائل في النفس لابن سينا



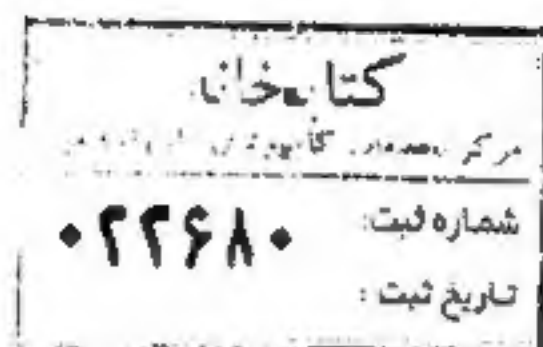
مركز تحقيق التراث العلمي العربي

تحقيق ودراسة: د. أحمد فؤاد الأهواني

٤٧١٠٣



دار بيليو
باريس



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی

2007 - جميع الحقوق محفوظة

دار بيبليون - باريس

Dar BYBLION

30, R.de Passy, Paris 16^e

byblion3@yahoo.com



مقدمة

كنت مقدراً أن أصحب معي هذه الرسالة بعد طبعها إلى مهرجان ابن سينا في بغداد ، ولكن شاء القدر الحكيم أن يتعوق نشرها ، فإذا بي عند عودتي أعتز على نسخة مخطوطة وردت من الهند ، فبادرت بمراجعتها ، مع النسخ الأخرى التي حصلت عليها على هذا المخطوط .

وأعتقد أنها عند إنجاز الطبع سوف تشهد مهرجان ابن سينا في طهران . ولعل ذلك هو مكانها الصحيح ، لأن هذه الرسالة قد نقلت إلى الفارسية ، وطُبعت منذ سنوات كثيرة ، وسوف يعاد طبعها بمناسبة للمهرجان . فكون هذه الرسالة مظهرًا من مظاهر التقاء بين العربية والفارسية ، ودليلاً عملياً على التعاون الوثيق بين دولتين شقيقتين هما مصر وإيران . والفضل في ذلك يرجع إلى الشيخ الرئيس ، الذي كان فارسي النشأة والإقامة ، ولكنه سكن عربي التأليف والثقافة ، وإسلامي الدين والحضارة . فإذا كان الشيخ الرئيس قد ربط بين العالم الإسلامي منذ ألف عام بثقافته العالمية ، فإنه لا يزال يربط بين أجزاء العالم الإسلامي حتى اليوم .

وهل تريد دليلاً على خلود الروح أبلغ من هذا الدليل ؟

ولما نرجو أن يكون في إحياء تراث ابن سينا فائدة عهد جديد من النهضة والبعث والاعتزاز بالقديم ، والثقة بقوة الشرق ، وما أدامه الشيخ إلى الحضارة الإنسانية من إرث لا تنسى على مر الزمان .

ولن يكون اليوم الذى يأخذ فيه الغرب عن الشرق ، كما أخذ في القديم عترجم شفاء
ابن سينا وقانونه ، بعداً . فنحن نرى نهضة الشرق القومية المتوثبة في شتى المواسم ، في
بغداد والقاهرة ، كما نشهدا في طهران وحيدر أباد .

وإذا كان القارئ لهذه الرسالة يشعر أنها بعيدة من جو علم النفس الحديث ، فإنها
تصير أصدق تعبير عن ذلك العلم ومدى ما بلغه في ذلك الزمان الذى عاش فيه ابن سينا ،
وكان أعظم مثل فكري للحضارة التى سادت فيه .

أحمد فؤاد الأهواني

يولية ١٩٥٢



مركز تحقيقات علوم إسلامی

في تحميت المخطوط

- ١ -

لا يخلو فيلسوف من كلام في النفس الإنسانية ، لأنها أقرب الأشياء إلينا ، وهي إلى ذلك أقرب شديدة القموض . وكما خُيِّل إلى المفكرين أنهم قد ازداحوا بها علماً ، وبلغوا حقيقة أمرها ، وكشفوا سرها ، وعرفوا جوهرها ، إذا بهم يجدون ذلك العلم سراباً ، والجوهر مظهرًا خلاباً . ولا تزال إلى اليوم حيث كان سقراط وأفلاطون وأرسطو ، بل أشد من الحقيقة بدأ . ولذلك ضرب العلم الحديث صفحاً من طلبها ، واكتفى بتحليل الظواهر النفسية ، وترك لفلاسفة ميدان الجوهر يسلكون إليه السبيل ، عسى أن يصلوا يوماً ما إلى معرفة حقيقة النفس .

وقد طالب ابن سينا معرفة النفس منذ شبابه ، لأن « من عرف نفسه فقد عرف ربه »^(١) كما حدثنا في رسالة القوى النفسانية التي ألقاها للأمير نوح بن منصور ، فكانت أول مؤلفاته . وإذا كان الشيخ الرئيس قد استهل حياته الفكرية برسالة في النفس ، فقد اختتمها أيضاً بعد أربعين سنة من تأليف تلك الكتاب ، برسالة صغيرة في النفس الإنسانية^(٢) . وألف فيما بين ذلك خلال هذه السنوات كثيراً من الرسائل النفسية ، وكذلك الفن السادس من طبيعيات الشفاء ، وهو كتاب النفس الذي بدأه أوفى ما يكتب في هذا الباب .

والدليل على أهمية كتاب النفس السينوي ، وعلى أثره العظيم في العصر الوسيط ، أنه نُقِلَ إلى اللاتينية ، فانتشر بين فلاسفة أوروبا انتشاراً كبيراً ، تشهد بذلك المخطوطات الباقية

(١) حكمة الرئيس للأخير ، مطبعة المعارف ١٣٢٥ م ، ص ١٦ .

(٢) نصرت هذه الرسالة من النسخة المخطوطة الوحيدة الموجودة في مكتبة ليدن ، وذلك في عدد مجلة الكتاب المخطوط بين سنتي ١٩٥٢ و ١٩٩٠ م ، وهي بعنوان رسالة في السلام على النفس الناطقة .

منه في مكثبات أوربا حتى الآن ، وتبلغ عدتها خمسة وأربعون^(١) وخضع الفكر الأوربي
لأثره منذ القرن الثاني عشر حتى القرن السابع عشر ، حين ظهر ديكارت ، وأخذ من
ابن سينا برهانه في إثبات وجود النفس .

أما أثر علم النفس السبتي في الفلاسفة الإسلاميين فلا يحتاج إلى دليل ، فقد أقره
المؤرخون بالرئاسة وسموه الشيخ الرئيس ، واحتدوا مثاله في معظم أبواب علم النفس .

فإذا كان ذلك هو أثر علم النفس السبتي ، فأين كتابه الذي يصور جملة آرائه ؟ إنه
كما ذكرنا الفن السادس من طبيعيات « الشفاء » وهو الذي اختصره ، أو على الأصح نقل
بعضه بتمامه في « النجاة » ، فإذا كان « الشفاء » من الضخامة بحيث لا يقوى على اقتضائه
والإطلاع فيه إلا الخاصة ، فإن « النجاة » وهو مختصر الشفاء أيسر تداولاً ، وألحق بأوساط
المعلمين . ومع ذلك فإن للمباحث النفسانية مفرقة في كتاب « النجاة » ، لأن بعضها يأتي
في آخر قسم الطبيعيات ، وبعضها الآخر في آخر القسم الإلهي .

لهذا السبب رأى ابن سينا أن يجمع أطراف هذا العلم للفرق في « النجاة » ، ويجمعه
تأليفاً منسجماً مترابط الأجزاء في رسالة على جملة ، هي هذه الرسالة التي نسمي « أحوال
النفس » . ولذلك يتسنى لطالب هذا العلم أن يطلع عليه في كتاب مستقل يحنو على جملة
آرائه الرئيسية في النفس .

(١) انظر ما كتبه الألبه والقرن من الدرجات الإلهية لكتب ابن سينا ، وهو البحث الذي أنجز
في سربان بنداد ، ومطالعتها في مجلة ريفي دي كير من قبل ابن سينا إلى الغرب .

L' Introduction d' Avicenne en Occident, Revue du Caire,
Juin 1951, p 130-139 .

أول مسألة ينبغي أن تفصل فيها هي حصة نسبة هذه الرسالة إلى ابن سينا . ويدفع إلى النظر في هذه النسبة عدة أمور : أولها أن الرسالة تلتقي مع النجاة في أغلب فصولها ، مما يحمل على الظن أن أحد المتأخرين أو التلاميذ انتزع الفصول الموجودة في النجاة ، وأضاف إليها فصولاً أخرى تقيم من الرسالة كتاباً له بداية ونهاية .

والأمر الثاني أن كتب التراجم التي أرخت للشيوخ وقصّت سيرة حياته ، ثم أوردت قائمة كتبه ، لا نجد فيها عنوان هذه الرسالة .

والأمر الثالث هذا الفصل الأخير ، فإنه ينبر من جهة أسلوبه ومضمونه صريحاً من الشكوك .

وسوف نفقد كل أمر من هذه الأمور حتى يتبين وجه الحق في شأن الرسالة أمي متحلة أم من وضع ابن سينا .

تتألف الرسالة من ستة عشر فصلاً ، بعد خطبة قصيرة يمد بها صاحبها للكتاب ويوضح الغرض منه ، والسبب في تأليفه . وليس من الغريب أن يقدم ابن سينا لكتبه ، في « النجاة » خطبة تشبه هذه المقدمة إلى حد كبير ، فنحن نجد فيها مخاطبته « طائفة من الإخوان الذين لم حرص على اقتباس المعارف الحسكية ^(١) » سألوه أن يجمع لهم كتاباً يشمل على ما لا بد من معرفته لمن يؤثر أن يتميز من العامة وينحاز إلى الخاصة ، ثم يلخص في هذه المقدمة أهم الأبواب التي سوف يعالجها في « النجاة » . وليس من الغريب كذلك أن يخاطب « الإخوان » في رسالة أحوال النفس ، وقد خاطبهم في صدر النجاة كما رأينا . فهو يقول في رسالة الصلاة بعد الدباجة « لما التفت من أيها الأخ الشفيق ... » . ويقول في رسالة حي بن يقظان « وبعد فإن إصرارك معشر إخواني ... » . ويستهل رسالة الطير

(١) النجاة ، مطبعة السعادة ١٣٣٦ هـ ، ص ٢ ، ٣ - الطبعة الثانية ١٣٥٢ هـ .

بقوله : « هل لأحد من إخواني » أما هؤلاء المخلص من الإخوان الذين حمل الرسالة باسمهم فلم ينصح مع الأسف منهم ، وليس بعيد أن يكونوا جماعة تلاميذه ، كما روى أبو عبيد الجوزجاني أنه كان يجتمع في داره كل ليلة طلبة العلم ، وكان يقرأ من المشفاء ، ويقرأ غيره من القانون غيبة . وأصبح البيهقي من أسماء هؤلاء التلاميذ وهم المنصوي وابن زينة وبهمنيار ، وإلى جانب خاصة تلاميذه ، نجد في سيرة ابن سينا ذكر عدد من الأصدقاء الذين ألّف لهم الكتب ، مثل المروض الذي ألّف له المجموع ، والبرق الذي صنف له الحاصل والحصول ، والبر والإثم . فلا غرابة أن يسأل الشيخ بعض الإخوان أو التلاميذ ، وأن يطلبوا منه كتاباً جامعاً في علم النفس ، فأجاب طلبهم .

على أننا نعتقد أن هؤلاء الإخوان الذين يوجه إليهم الرسالة هم من الشيعة ، ونلفظ « إخوان الصفا » لم يكن غريباً عن المصر ، ولا من ذهن ابن سينا بوجه خاص ، فقد ذكر البيهقي أن أباه كان يطالع ويتأمل رسالة إخوان الصفا وأنه هو أيضاً أحياناً يتأملها ^(١) وكان المسلمون في ذلك الوقت في إيران شيعة وسنة ، وروى الجوزجاني في السيرة التي دونها عن الشيخ أن أباه كان من الإسماعيلية . فليس من الغريب ، وقد نشأ ابن سينا في بيت شيعي ، وفي بيئة تتوزعها الشيعة والسنة ، أن يتصل بالشيعة ، وأن يكتب لهم الرسائل حين يطلبونها منه ، وأن يصطليح في خطابه لهم الأساليب المألوفة لديهم . مثال ذلك أنه بعد حمد الله والثناء عليه والتوكل عليه ، يصل على « خير خيرته من خلقه محمد وآله » ^(٢) ، وهي عبارة شيعية مألوفة .

نحن إذن أمام فرضين - إذا سلمنا بأن الرسالة من عمله - أحدهما أنه كتب الرسالة لأحد تلاميذه ، والثاني أنه كتبها للشيعة . ونميل إلى ترجيح الفرض الثاني للأسباب التي ذكرناها .

(١) البيهقي : تاريخ حكماء الإسلام - تحقيق كرد علي - دمشق ١٩٢٦ ص ٤٢ ، ٤٣ .
(٢) هذه الصلاة مخصوصة بالشيعة ، وقد رأيت في النجف في مسجد الإمام علي بن أبي طالب رسالة خطية موضوعية في إطار ومعلقة على الفخر ، ولدت نظري بوجود هذا الاصطلاح لمخاطبة ماباء في صدر رسالة أحوال النفس .

لا يكاد يبلغ القارئ الجزء الأخير من الفصل الثاني حتى يتبين له أن العبارة ليست غريبة عنه ، لا في المعنى قطعاً ، بل في اللفاظ معاً ، وينكشف له أن العبارة بنسخها موجودة في « النجاة » . ولهذا السبب راجعت الرسالة على « النجاة » وواظمت بينهما ؛ وقد تنبه إلى هذا التطابق ناسخ مخطوطة بلدية الإسكندرية التي رمزنا لها بحرف « س » إلى هذه الصلة ، فقال في الفصل الحادي عشر عبارة تفيد ذلك وهي « أن هذا الفصل من كتاب النجاة بين الفصل العاشر والحادي عشر من هذه الرسالة » ثم نقل الناسخ من « النجاة » ثلاث صفحات بأكملها ، وعاد بعد ذلك إلى السياق . فضلاً عن ذلك فإنه كان فيها يبدو يراجع الرسالة على كتاب النجاة ، فيؤثر عبارتها ، على خلاف النسخ الأخرى .

وقد اتضح من المقابلة بين هذه الرسالة وبين « النجاة » أن الفصل الأول وهو في حد النفس ، والفصل الثالث عشر وهو « في إثبات النبوة » ، والفصل الأخير ، وعنوانه « في محل هذه الرسالة » ، لا أثر لها في النجاة . أما الفصل الثاني ، وعنوانه « في قواها » ، لمظهره غير موجود في النجاة ، ما عدا الجزء الأخير . وكذلك الفصل الرابع عشر وهو « في ذكر كمال النفس » فإنه أيضاً غير موجود في النجاة .

وقد سبق أن افترضنا أن أحد التأخرين أو التلاميذ هو الذي جمع فصولها من النجاة وأضاف إليها فصولاً ، هي أيضاً من عمل ابن سينا . فالفصل الأول وهو في حد النفس يوجد مخطوطة على حدة في رسالة بعنوان النفوس . وقد أورد الأب لنوائ في كتاب « مؤلفات ابن سينا »^(١) أول هذه الرسالة وآخرها ، والتبارة مطابقة للفصل الأول تمام المطابقة . ومع

(١) الأب لنوائ ، مؤلفات ابن سينا ، رسالة رقم ١٠٩ ، مخطوطة أماسونيا .

فذلك فيمكن الاعتراض بأن هذه الرسالة الصغيرة قد شرعت من « أحوال النفس » لا أن ابن سينا ألغىها ثم أضيفت إليها .

مما يمكن من شيء فلا بد لنا من النظر في تأليف كتاب « النجاة » ، الذي يعد في نظرنا أصل هذه الرسالة .

المعروف أن « النجاة » مختصر « الشفاء » ، ومعنى ذلك أن الآراء الموجودة فيه ليست مثل « الإشارات » جديدة ، والمعروف كذلك أنه ألف بعد « الشفاء » .

يضاف إلى ذلك أن « النجاة » لم يضاف طبقاً لحطة مرسومة ، كما فعل في « الشفاء » ، فمن نجد الجوزجاني يذكر أن الشيخ سكتان قد ألف المختصر الأوسط في المنطق ، وهو المعروف بكتاب الأوسط الجرجاني الذي صنعه لأبي محمد الشيرازي وهو في جرجان ، وهذا المختصر : « هو الذي وضعه بعد ذلك في أول النجاة » كما يحكي الجوزجاني في سيرة الشيخ . ونجد في حاشية النجاة عبارة تفيد ما ذهب إليه من جمع النجاة لا تأليفه فهو يقول : إن طائفة من الإخوان « سألوا أن أجمع لهم كتاباً يشمل على ما لا بد منه لمن يؤثر أن يتبحر من الصلة » « وسألوني أن أبدأ فيه بكتابة الأصول من علم المنطق » « فأستفهم بذلك » وصنفت الكتاب على نحو مقتضاهم » .

وقد تبين عند مراجعة « أحوال النفس » على « النجاة » ، ثم مراجعة « النجاة » على « الشفاء » أن الفصول النفسانية الموجودة في « النجاة » منقولة بنصها من « الشفاء » مع مراعاة السياق عند اجتلاء الفصول حتى يستقيم الكلام . ولم تثبت عند مراجعة المخطوطات جميع الفروق بين « أحوال النفس » وبين « الشفاء » إلا في بعض أماكن يسيرة ، غير أننا خرجنا من هذه المراجعة بأن النجاة — وهو مختصر الشفاء — ليس اختصاراً على نحو التخطيط ، بل على سبيل حذف فصول من « الشفاء » لم تكن إليها حاجة في هذا المختصر . مثال ذلك تفصيل القول في البصر والشماع وما إلى ذلك ، وكذلك أقوال المتقدم

في النفس . وسنأخذك الحكم على جميع طبيعت النجاة والحياته ، أهي على نحو ما أخصر في النفس أم لا ، لأن الوقت لم يتسع لإجراء هذا البحث ، وهذه المراجعة .

فإذا كان الأمر كذلك ، وكان كتاب « النجاة » محاذياً في فصوله الخاصة بـ النفس « لشفاء » فلا محل لتساؤل عما إذا كان من سيناقش ألف « أحوال النفس » تأليفاً مستقلاً ، ثم أضافه إلى « النجاة » ، كما فعل في المختصر الأوسط الجرجاني . بل الأول أن يقال إنه أكل « النجاة » ، ثم اشترع منه هذه الرسالة في النفس لمن التمسها منه .

- ٤ -

قد يقول قائل : إن عنوان هذه الرسالة ببس ولذا في القوائم التي ذكرها أصحاب تواريخ الحكماء ، وهذا دليل على أنها ملحق .

وبحاج في الرد على هؤلاء المعارضين إلى تفصيل أمرين : الأول ما هو العنوان الصحيح لهذه الرسالة ؛ والثاني ما هي المراجع التي ذكرت مؤلفات ابن سينا .

لم يضع ابن سينا عنواناً خاصاً لهذا المصنف ، ولكنه ذكر موضوعها في الخطبة ، فقال : إن الرسالة تشتمل على « ما يؤدي إليه البراهين من حال النفس الإنسانية ولباب ما أوقف عليه البحث الشاف من أمربقاتها وإن انخفض للراج وقد قبلن ، والاطلاع على الشفاء الثانية والحالة المتأدية إليها في العاقبة » .

وقد استغاض للناسخ عنوان الرسالة من هذه الخطبة ، فذهب ناسخ مخطوط برلين إلى أن « هذا كتاب مشتمل على أحوال النفس » وهو العنوان الذي أخصرناه وجسمناه « أحوال النفس » ، ووضمناه في ظاهر الرسالة المطبوعة . وجاء قارئاً لهذا المخطوط ، فمكتوب في الهامش بقلم مختلف حديث : « هذه الرسالة في علم النفس » .

أما مخطوط مكتبة أحمد الثالث ، تحمل العنوان : « رسالة في النفس وبقائها ومعادها » وهذا أشد تطابقاً على موضوع الخطبة التي اجتمع بها من سينا الرسالة .

وفي مخطوط بلدية الإسكندرية بهذا هذا العنوان : « الكبير في حق النفس » وهو مطابق لمخطوط بعض أهل الذي قل عنه ناسخ الرسالة انطوية المخطوطة بمسكبة بلدية الإسكندرية .

ولم يذكر مخطوط رضا راسبور أى عنوان للرسالة .

بحيث رسالة مخطوطة من مكتبة يوهنستيه ، ستابول ، لم تطلع عليها ، ولكن الأب عنواني في مؤلفات ابن سينا ذكر أن عنوانها هو « رسالة في حقيقة النفس الإنسانية ومعرفتها » وفي الترجمة الفارسية لهذه الرسالة أب « في النفس الإنسانية » « در روانشناسی » وسوف نعرض لهذه الترجمة فيما بعد .

جملة القول : إن اختلاف العناوين الواردة في صدر المخطوطات إنما يرجع إلى ما ذكرناه من أن الشيخ الرئيس (صلى الله عليه وسلم) في النفس الإنسانية وأحوالها وبقائها ومعادها دون أن يصح لها عنواناً . هي رسالة « في النفس » .

وننتقل الآن إلى بحث المسألة الثانية وهي أسماء الرسائل التي ذكرها أولئك الذين ترجموا لابن سينا ، وذكرنا مع سيرته قائمة كتبه . أما جمال الدين القنطري في تاريخ الحكماء^(١) ، وظهر الدين البهقي في تاريخ حكماء الإسلام^(٢) ، فقد صمعا عن ذكر قائمة مؤلفاته . وقد أورد القنطري في خلال الترجمة فهرست كتبه بحسب ما ذكره الجوزجاني وعدد هذه الكتب والرسائل ٤٢ . على حين حسب البهقي ٣٥ فقط .

وذكر ابن أبي أصيبعة في هيون الأنبياء قال : « والشيخ الرئيس من الكتب كما وجدناه غير ما هو مثبت فيما تقدم من كلام أبي هبنا الجوزجاني » ثم أورد قائمة تشمل على ١٠٢ رسالة

(١) القنطري : تاريخ الحكماء ، ليك ١٣٢٠ هـ

(٢) البهقي : تاريخ حكماء الإسلام ، مصر ١٩١٦ هـ ، ١٩١٦ .

واحتذى يحيى بن أحمد الكاشى حذوه مع خلاف يسير في ترتيب الرسائل ، غير أنه وقف عند الرسالة رقم ٩٢ ^(١) .

وهذه هي الرسائل النفسية التي ذكرها الكاشى بأرقامها :

٨٢ — مقالة في النفس تعرف بالفصول .

٨٩ — فصول في النفس والطبيعات .

أما في عهد الأيوبيين فهي ثلاث ، وهذه هي أرقامها :

٨١ — مقالة في النفس تعرف بالفصول .

٨٥ — فصول في النفس والطبيعات

١٠٠ — رسالة في القوى الإنسانية وإدراكاتها .

في كتاب يبحث في تاريخ الحكماء ، ولا يزال مخطوطاً ، لصاحبه شمس الدين الشهرزورى ، فقد أورد ثباً بمؤلفات ابن سينا مرقاً بلغ عددها ١١٦ . وهذه هي أسماء الرسائل النفسية التي ذكرها مع أرقامها بحسب ورودها في المخطوط ^(٢) ، وعددها ثمانى رسائل :

٢٩ — الجدل من الألف المحقة لبقاء النفس الناطقة .

٣١ — زينة قوى الحيوانية .

٣٣ — مقالة في القوى الإنسانية وإدراكاتها .

٤٦ — رسالة في النفس الفلكي .

٩٣ — » » القوى الحسية .

٩٣ — » » النفس

٩٤ — » » »

(١) ذكرت في أصول الشيخ الرئيس ابن سينا : تعليق أحمد غزالي الأملاني ، منشورات المعهد الفرنسي بالجامعة ١٩٥٢ .

(٢) تواريخ الحكماء للشهرزورى ، مخطوط مصور بمكتبة جامعة طرابلس ٢٦٣٦٩ لوحة ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

٩٥ - رسالة في النفس^(١)

ولاستكمال هذا البحث من جميع أطرافه نذكر أن المطبوع من الكتب النفسية لابن سينا أربع رسائل ، هي « مبحث عن القوى النفسانية »^(٢) ، المعروفة بهدية الرئيس للأمر ، ورسالة صغيرة في « معرفة النفس النطقية وأحوالها »^(٣) ، وثلاثة أصغر منها عنوانها « رسالة في الكلام على النفس الناطقة »^(٤) ، ودراسة عنوانها « في السعادة والحجج العشرة على أن النفس الإنسانية جوهرية »^(٥) . ويتضح من لتنظر في هذه الرسائل للطبوعة أن عناوينها جميعاً ليست من وضع ابن سينا ، فالرسالة الأولى - وهي التي ألقاها الشيخ في بدء حياته وهو في سن الشباب للأمر نوح بن منصور - جعل لها مباشرة حلاف العناوين اللذين ذكرناهما ، عنواناً ثالثاً هو : « كتاب في النفس على سنة الاختصار ومقتضى طريقة للخطيبين » . واصل لرسالة عنواناً آخر هو الذي ذكره ابن أبي أصيبعة فقال : « مقالة في النفس تعرف بالفصول » ذلك لأن ابن سينا صد حطبة الكتاب - وهي حطبة طويلة - يقول : « وحملت الكتاب فصلاً عشرة » . هذا التحديد يحتمل الميل إلى الاعتقاد أن رسالة القوى النفسانية هي الرسالة التي يذكر ابن أبي أصيبعة أنها تعرف بالفصول . ومع ذلك فإن سينا في « أحوال النفس » يذكر سداً خطبة أيضاً قوله : « فذلك تنقسم هذه الرسالة إلى فصول » ولكنه لم يبين عددها كما فعل في الرسالة السابقة . مما يمكن من شيء فتحن بإزاء رسالتين كبيرتين تحتويان فصلاً كثيرة ، وما بحسب ما جاء في عيون الأنباء « مقالة في النفس تعرف بالفصول » والثانية « رسالة في القوى النفسية وإدراكاتها » فإذا اعتبرنا الثانية هي التي نشرت بعنوان « مبحث القوى النفسانية » فالأولى هي رسالة « أحوال النفس » .

- (١) يوجد مخطوط آخر للمهرزوري بمكتبة جامعة بوز دروم ٢٣٠٠٥ ، وهو الذي بهامه نصحت الكاشي ، ولكنه لم يذكر قائمة كتب ابن سينا .
(٢) مطبعة المعارف بالقاهرة . نمر المستغنى للنداء ١٣٢٥ هـ .
(٣) نمرها ثابت لنفسه . مطبعة الاختصار ، القاهرة .
(٤) نمرها أحمد نواد الأخواني في عهد مجلة الكتاب الخس ابن سينا أبريل ١٩٥٢ .
(٥) سيدر أبند ١٣٥٣ هـ .

وذكر الشهرزورى رسالة باسم « الجمل من الأدلة المحققة لبقاء النفس الإنسانية » .
 فإذا رجعنا إلى خطبة كتاب « أحوال النفس » رأينا فيها ما نصه - بعد الكلام على أن
 الرسالة تشمل على حال النفس الإنسانية وبقائها ومعادها - « ويلزمى قبل الاندفاع
 فى الفرض المتقدم أن أحاطر قبله بحمل من علم تقوى النفسانية وأفعالها ، يكون تحقيقها معينا
 على تحقق ما يسبق إليه الكلام من الناية القصوى » وهذه الناية القصوى هى التى ذكرها
 قبل ذلك ، أى بقاء النفس الإنسانية ، فيكون للتلويح الذى أورده الشهرزورى مطابقاً لهذه
 الرسالة ، ومستجداً بما جاء فى خطبة الكتاب ، كما فعل السامع الآخرون عند ما وضعوا
 مخطوطاتهم المماثلة المشتقة من مضمون الخطبة .

- ١٦ -

أحطر ما يمكن أن يوجه إليه ابن سينا من نقد فى هذه الرسالة هو هذا الفصل الأخير
 الذى جعل عنوانه « فى حمل هذه الرسالة » قد استعمله بقوله : « إنى تركت فى هذه المقالة
 الكلام فى الأمور الظاهرية من علم النفس إلا ما لم يكن منه بد ، وكشفت الغطاء ورفعت
 الحجاب ، إلى آخر هذا الفصل الذى لا يريد على صفحة صغيرة من كتاب .

ولا ظن أن يكون مثل هذا الكلام قد صدر من ابن سينا ، لأنه يتناقض مع نفسه ،
 إذا عرفنا أن معظم الرسالة موجود بنصه فى النجاة ، والنجاة كتاب عامة والجمهور ليس
 فيه من الآراء ما يخشى أن يطلع عليه أحد . بل إن جملة آرائه فى تعريف النفس ، والقوى
 النفسانية ووظائفها ، وفى الأدلة على جوهريتها النفس وبقائها ومعادها ، كل ذلك ليس
 جديداً ، فقد سبق أن كتبه فى الشفاء ، وورده فى رسائله الأخرى ، إما بالفاظه وإما بأسلوب
 آخر . فلم يكن فى حاجة إلى القول إنه قد دل على « الأسرار المخزونة فى زوايا الكتب
 المضمون بالتصريح بها » .

قد يقال إن الشيخ فعل ذلك لأنه أضاف الفصل الثالث عشر الخاص بالنبوة ، وإن هذا الفصل لا يوجد في النجاة ، وقد يكون فيه تعرض مع الشرع عما يحشى معه إثارة رجال الدين . ومع ذلك فقد تحدث ابن سينا عن النبي وشروطه ، وتفسير النبوة ، في كتاب الشفاء ، وهو من الكتب المتداولة لا من الكتب المضمومة بها . هذا إلى أنه تعرض للنبوة في كتاب آخر هو « المبدأ والمعاد » الذي أتى لأبي أحمد القاسمي [لا تزال الرسالة مخطوطة] ، ولا يخرج آراءه في هذا الكتاب عما كتبه في « أحول للنفس » . كما بسط رأيه في تفسير النبوة في رسالة « الفعل والافعال وأقسامها » ، وهي مطبوعة ^(١) .

لهذا السبب لا نعتقد أن الفصل الأخير من قم ابن سينا .

ويرجع بنا الفرض إلى أحد أمرين : إما أن ابن سينا لم يؤلف هذه الرسالة أصلاً ، وإنما هي من جمع أحد تلاميذه ، أو أن أحد المتأخرين جمعها من النجاة ، وأضاف إليها الفصل الأخير خاصة . وإما أن ابن سينا وقف عند الفصل الخامس عشر ، وأضاف طالب الرسالة إليها الفصل الأخير ، أو أضافه أحد الصالحين للتقدمين ، ونقل المتأخرون عنه ، ثم تمتددت نسخ الرسالة على هذا النحو .

ونحن نتصور من جملة ما جاء في سيرة الشيخ أنه لم يكن يكتب بخط يده ، بل كان يعمل على تلاميذه ، كما كان يفعل في الشفاء والقانون . فلما طلب « بعض الإخوان » رسالة في علم النفس ، وما يتصل بالنفس من بقائها ومملوها ، أملى هذه الفصول ، التي أجهت الطالب ، فأراد أن يصونها عن النفوس « الشريرة والمجاندة » كما يقول في الفصل السادس عشر ، فكتب هذه الخاتمة .

جاء في فهرست المکتب والمخطوطات الموجودة في إيران ، كلمة عن رسالة أحوال
للنفس لنقلها بنصها وهي : « رسالة النفس المعروف بکتاب المعاد ، عن أصل عربي ، تحتوي
على ستة عشر باباً ، وترجمتها أيضاً تقع في ستة عشر فصلاً . وتنسب ^(١) هذه الرسالة التي
توجد نسخ عديدة منها إلى الشيخ الرئيس . وقد قام الأستاذ محمود شهابي أستاذ جامعة طهران
بطلبها عام ألف وثلاثمائة وخمسة عشرة هجري شمسي تحت عنوان « روان شناسي شيخ
الرئيس أبو علي سينا » بعد إضافة مقدمة وحواشي عليها . وحدد مساعدة الدكتور موسى حميد ،
عميد كلية الحقوق في جامعة طهران طلبها بإشارة من لجنة الآثار الوطنية الإيرانية . وستنشر
هذه المطبعة قريباً حين الاحتفال ، إن شاء الله . »

أما الاحتفال الذي يومي إليه كاتب هذه السيرة في الفهرست فهو الاحتفال بالعيد الألي
للشيخ الرئيس في طهران ، والذي كان مقرراً أن يتقد في شهر مايو ١٩٥٢ ، ثم تأجل
للظروف السياسية التي تجتاحها إيران في الوقت الحاضر .

وقد أفاضني معالي السيد علي أمير بککت - مشكوراً - هذه الرسالة الفارسية حين
كنت في العيد الألي لشرجهان ابن سينا ، الذي أقيم في شهر مارس ١٩٥٢ في بغداد ؛
وتفضل الأستاذ محمد مهدي الطباطبائي بمعاونتي في مراجعتها ، لجليل باللغة الفارسية .

وهنوان الرسالة هو : « رسالة در روان شناسي تأليف فيلسوف بزرگ شيخ الرئيس
جو علي سينا . با تصحيح وتمشية ومقدمة بقلم محمود شهابي أستاذ دانشکاه طهران ١٣٥٥
هجريه » .

وترجمة عنوان الرسالة : « في علم النفس »

وهذه هي ترجمة أول الرسالة :

(١) المکتب الحق في هذا الشأن لأن الترجمة الفارسية بدأت مطابقة للأصل .

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذه رسالة صنفها شيخ الرئيس أبو علي ابن سينا رحمه الله عليه في بيان ماهية النفس الإنسانية وأحوالها من بدء وفناء وسعادة وشقاوة في الآخرة وسائر الأحوال كما سيذكر بعد .

صدر الأمر العالي السلطاني الشمسي أن أترجم هذه الرسالة من اللغة العربية إلى اللغة الفارسية ، فامتثلت لهذا الأمر ، ووجدت فيه سعادة ، لأن في إطاعة ربي الأمر مدداً من الله وتوفيقاً منه تعالى حتى أحقق المطلوب .

وتشتمل هذه الرسالة على : أولاً أحد النسخ

ثم يعضي بعد ذلك في ذكر عناوين الفصول الستة عشر .

أما الترجمة ، بحسب رأي الأستاذ الطباطبائي ، فتأخرة ، وذلك بالنظر إلى أسلوبها . ولم يذكر فيها اسم السلطان الذي أمر بالترجمة ، وسكن المترجم ، كتفى بتوجيه ألقاب العظيم إليه أو كما يقول بالفارسية « جون فرمان عالي علائي شمس زاد الله علاء وفاداً » . وقد اتضح من الموازنة بين الأصل العربي والترجمة الفارسية أنها أقرب إلى التخصيص منها إلى النقل السكامل الدقيق ، وذلك لأن الفصول ، ولو أنها تبلغ ستة عشر ، إلا أن كل فصل منها في غاية الإيجاز . ما هذا الفصل الأخير الذي نقله المترجم بأكمله .

لهذا السبب لم نجد فائدة في مراجعة الأصل العربي على الفارسي ، مع هذا الاختصار ، ومع وجود نسخ متعددة من الأصل العربي نقي عن مراجعة الترجمة الفارسية ؛ هذا إلى أن للترجمة كما ذكرنا تمت في عصر متأخر .

منذ خمس سنوات رأيت في مكتبة جامعة فزاد نسخة مخطوطة لكتاب في النفس لابن سينا ، وهي مصورة عن مكتبة برلين ، فاسترحت ، وسختها ، وشرعت في إعدادها للطبع . بعد مراجعتها على « الترجمة » كما تبين لي عند نسخها .

ولما أخذت الإدارة الثقافية بحماسة الدول العربية تعد المدة منذ عام ١٩٤٩ لمهرجان ابن سينا ، وذهبت إلى استاهول بثة خاصة لتصوير مخطوطاته ، طلبت من الأب فتواي أن يبحث عن هذه الرسالة . فانقط بالآلة التوثوغرافية نسخة أحد الثالث . ثم صوّرت نسخة بديرية الإسكندرية . وفي مايو ١٩٥٢ اعطيت على النقيش التي صورها الأستاذ رشاد عهد المطلب في الهند ، فرأيت فيها نسخة من مكتبة رضا رامپور ، فهاجرت بتكبيرها ، ومراجعتها على النسخ الثلاث الموجودة من قبل . وبذلك أصبحت المخطوطات أربعة ، رأيت فيها السكافية ، بالإضافة إلى كتاب النجاة ، والشفاء .

وهذا وصف المخطوطات ، مع رموزها ، وهي على التوالي : ب ، ج ، س ، هـ . وقد رمزت إلى النجاة بحرف (ن) ، وإلى الشفاء بحرف (ش) .

١ - برلين (ب)

نسخة مصورة بمكتبة جامعة فزاد رقم ٢١٠٦١ ، وفي مؤلفات ابن سينا للأب فتواي أنها في برلين رقم ٥٣١٣ .

تقع في ٢٥ ورقة ، من (صفحة ٤٠ وإلى ٦٥) و ، بحسب الترتيب الأصلي للمخطوط الذي يضم مجزوءاً يشتمل على عدة رسائل لابن سينا . أما الرسالة التي نسبها فهي « القوى الإنسانية وإدراكاتها » وآخرها : « ... من كبر تشبه ولا تكثيف ولا مسامحة ولا محاذاة . تعالى الله وتقدس عما يشركون » .

أما الرسالة التي تليها في صفحة ٦٥ و ، فهي بحسب العنوان الوارد في المخطوط « كتاب للعاد الشيخ الرئيس رحمه الله . وهذه الرسالة مسماة بالأضحوية » (١) .

٢١ سطراً × ١٤ كلمة

العنوان : « هذا كتاب مشتمل على أحوال النفس فليشيخ الرئيس قدس سره »

(١) نصحها الأستاذ سليمان الديا ، بحسب الاعتقاد ، ١٩٤٩ ، ولم يرجع إلى هذا المخطوط ، ولله اختلاطات كثيرة تصحح النص .

ويقوم بحذف حديث في الهامش « هذه الرسالة في علم النفس للشيخ الرئيس أبي علي ابن سينا رحمه الله » .

أوله : بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله أهل كل حمد . . .

آخره : وهو حسنا ونعم الوكيل . تمت الرسالة بحمد الله وتوفيقه .

الخط فارسي ، به اختصارات مثل « ح » أي حينئذ . والرسالة مراحمة على نسخة

أخرى يرمر الناسخ للفروق بينهما بالحرف « ط » في الهامش ؛ وسها نصحيحات يرمز لها بالحرفين « ص ح » .

تاريخ النسخ القرن التاسع تقريباً .

وهي أصح النسخ وأوثقها .

٢ - أحمد الثالث (ح)

نسخة مصورة بمكتبة جامعة مؤادر رقم ٢٦٣٥١ ، عن ميم بالإدارة الثقافية بحكومة الدول

العربية رقم ٦٥٣ ، من مكتبة أحمد الثالث ٣٤٤٧] انظر مؤلفات ابن سينا للأب قنواني ص ١٤٢] .

١٧ سطراً × ١٥ كلمة

٢٨ لوحة ، في كل منها صفحتان ، ما عدا اللوحة الأخيرة .

العنوان : رسالة في النفس وبقائها ومعادها .

أوله : بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله أهل كل حمد . . .

آخره : وحسبنا الله ونعم الوكيل .

قلم هادي حسن ، بالنسخة نصحيحات كثيرة في الهامش ؛ وفيها أخطاء تدل على جهل

الناسخ . وفيها خطوط لوحة مملوءة ، وقد أشرنا إلى هاتين الصفحتين عند التحقيق .

تاريخ النسخ القرن الثاني عشر تقريباً .

٣ - بلدية الإسكندرية (س) .

نسخة مصورة بمكتبة جامعة فزاد رقم ٢٦٣٠٣ ، من فيلم بالإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية رقم ٣٣٧ ، عن المكتبة البلدية بالإسكندرية رقم ٣١٣١ .
٢٩ سطراً × ١٢ كلمة .

٢٢ لوحة في كل منها صفحتان ، ما عدا النجمة الأخيرة ففيها صفحة واحدة هي آخر المخطوط ، وليست من الأصل بل من النسخ بصف فيه فرائع من النسخ . أما اللوحة الأولى فتشتمل على العنوان فقط .

العنوان : رسالة الكبير في حق النفس لرئيس القلاء لابن سينا صاحب الشفا روح الله
روحه المميز

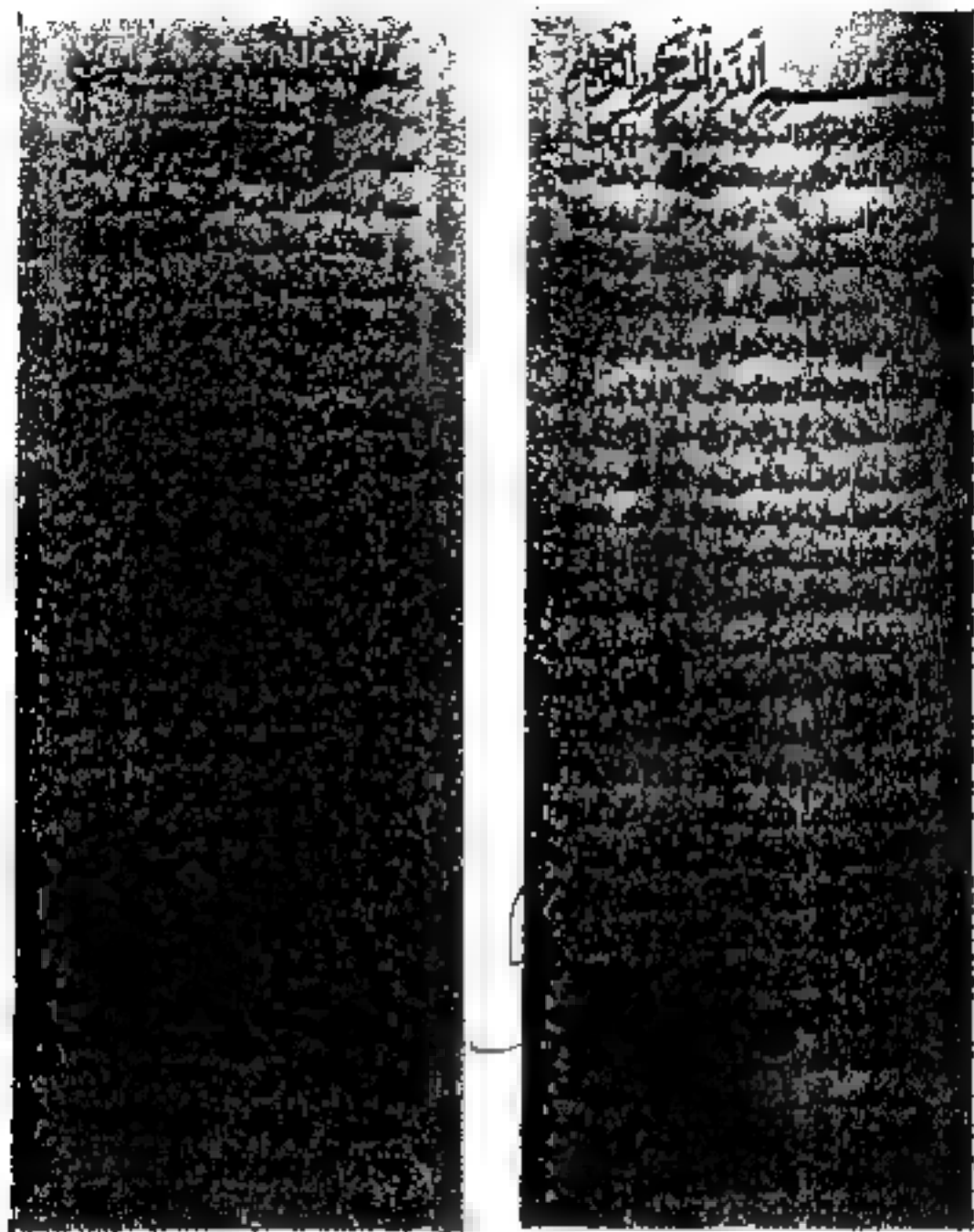
أوله : الحمد لله رب العالمين وصلواته على جبرته من خلقه وآله
آخره : وهو حبيبنا وحده ونعم الركيل . تمت رسالة النفس الكبير لابن سينا في وقت
ضخمة الكبير في سابع عشر من شهر ربيع الأول يوم الخميس سنة خمس وعشرين ومائة
وألف إلى قول الناصح : وسلم حسباً كثيراً .

قلم عادي حسن ، قليل الخطأ ، الناصح عبيد الله مصطفى الحنفى ، تاريخ النسخ سنة
١١٢٥ هجرية من نسخة فيض الله ، كما هو منصوص بآخر المخطوط [انظر مؤلفات
ابن سينا للأب فنواى ص ١٤٤ ، رقم ٢١٨٨ ، نسخة فيض الله بعنوان « الكبير في علم
النفس » ، وهو عنوان هذا المخطوط] .

وقد تنبه الناصح للشابهة بين هذه الرسالة وبين « النجاة » ، فذكر ذلك ، وقيل عن
« النجاة » جزءاً من فصل .

٤ - مكتبة رضا رامبور (ه) .

نسخة مصورة لحساب لجنة ابن سينا لنشر الشفاء ، من فلم بالإدارة الثقافية بجامعة
الدول العربية رقم ٣٠٦١ ، عن مكتبة رضا رامبور ، ورقم المخطوط فيها ٢٩٥٥ (٢)



[الصفحة الأولى من مخطوط رضا رامپور (هـ)]

٢٧ سطراً × ٩ كلمات .

٣٠ لوحة ، في كل منها صفحتان .

العنوان : لم يذكر عنوان الرسالة .

أوله : بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله أهل كل حمد . . .

آخره : تم الكتاب . وحسبنا الله ونعم الوكيل .

خط نسخي حسن دقيق ، تاريخ النسخ القرن الحادي عشر . وبالنسبة آثار أرضه
وترقيم مطلوبة في مواضع كثيرة .

في موضوع كتاب

- ١ -

لم يودع ابن سينا في هذا الكتاب سائر آرائه النفسية ، ومن شاء أن يطبع على الصورة الكاملة لعلم النفس السينوي فلا بد أن ينظر في جميع مؤلفاته منذ أن بدأ الكتابة في صدر شبابه حتى أتم تدوين آرائه قبل وفاته قبيل . وقد رسمت هذه الصورة الكاملة لعلم النفس السينوي في المقال الذي كتبه بمناسبة مهرجان ابن سينا في العدد الخامس الذي أصدرته مجلة الكتاب^(١) ، وشرحت مع المقال رسالة لم تكن قد نُشرت بعد في النفس العاطفة .

وقد شرحت في تأليف كتاب خاص بعلم النفس السينوي ، أرجو أن أعزه في القريب ، إذا ساعدتني الظروف المواتية ، مع توفيق الله وحمة الهدى .
لذلك لن نستطرد إلى ذكر آراء الشيخ الموجودة في كتبه الأخرى إلا بمقدار يسير ، مقتصرين على عرض وتحليل ما جاء في هذا الكتاب .

ولما كانت هذه الرسالة في معظم أجزائها متقولة عن « النجاة » فإن الفرض منها يوافق الفرض الذي بسطه الشيخ حين قدم لكتاب « النجاة » ، أي أن يكون نافعاً لمن يريد أن يتميز عن العامة وينحاز إلى الخاصة . وقد جاء في ختام تلك الخطبة بعد ذكر أنواع العلوم التي سوف يوردها ، وهي المنطق والطبيعات والرياضيات ، ثم العلم الإلهي ، على أبين وجه وأوجز ، ثم بعد ذلك : « حال للمد وحال الأخلاق والأفعال النافعة فيه للبركة النجاة من الفرق في بحر الضلالات » . والحق أن هذا الفرض المذكور في صدر كتاب

(١) مجلة الكتاب ، أبريل ١٩٥٢ ص ٤١٤ - ٤٢٣ .

« النجاة » مطابق تمام للطائفة للعرض من هذه الرسالة . ذلك أن الكلام في المعاد والأخلاق الموصلة إلى حسن المعاد يقوم على معرفة عدة أصول لا بد من الخوض فيها وتفصيلها حتى يتبين أمر المعاد وحقيقته . وهذه الأصول ليست شيئاً آخر إلا معرفة النفس ، والبرهان على مفارقتها البدن واختلافها عنه ، ثم قامة الأداة على بقائها .

لهذا السبب لم يتعرض ابن سينا لتفصيل هذا الجانب من علم النفس الذي يعد أكثر التصاقاً بالعلم الطبيعي ، ونعني به تفصيل القول في الإحساس ، والإدراك الحسي ، مما نجده مبسوطاً في « الشفاء » ، ولم ينقله في « النجاة » ولا في هذه الرسالة .

جرت عادة القدماء أن يبدؤوا بتعريف العلم الذي يبحثونه ، فليس من العريب أن يبدأ ابن سينا بتعريف النفس ، أولاً اصطلاحاً ، بساطحة محدثاً . ولم يكن تعريف النفس مجهولاً ، منذ أن وضع أرسطو أركانه ، والواقع بأحد ابن سينا تعريف أرسطو كما هو ، وهو تعريف مشهور يقول فيه : « النفس كمال أول لجسم طبيعي آلي ذي حياة بالقوة » . غير أن الشيخ الرئيس يسلط إلى هذا التعريف سنداً جديداً ، فهو ينظر إلى الأجسام الطبيعية ، ويتسبها من جهة القوى الثمانية فيها قسمين : قوى تعمل في الأجسام بالتسخير ، وأخرى تفعل بالقصد والاختيار . والطبيعة اسم لقوة الفاعلة على سبيل التسخير فلا أحدي الجبهة . والنفس النهائية اسم لقوة الفاعلة على سبيل التسخير فلا متكرر الجبهة . والنفس الحيوانية اسم للقوة الفاعلة على سبيل القصد والاختيار فلا متكرر الجبهة . أما النفس الإنسانية فهي اسم لقوة الفاعلة على سبيل القصد والاختيار فلا أحدي الجبهة .

وقد يقال عن النفس إنها قوة ، أو صورة ، أو كمال .

فعلى قوة بالنسبة إلى فعلها . وصورة بالقياس إلى لثافة إن كانت معترجة بالمادة . وكمال بالقياس إلى الروح الحيواني والإنساني .

ولا نود أن ندخل في مناقشة المعنى الذي يقصده ابن سينا من الكمال الأول ، فهو يختلف عن المعنى الذي ذهب إليه أرسطو في كتاب النفس .

ولكننا نود أن نشير إلى رأى قر^١ أن يصدده الباحث في كعبه الأخرى ، نعني به التمييز بين النفس والعقل ، فالنفس تقال « عند وجودها فصالاً في جسم من الأجسام » ، « أما إذا فارقت فالأشبه أن نسمي العقل » .

مما يكن من شيء ، فإن الصلة بين النفس والعقل صلة دقيقة فامضة ، وقد نجد اضطراباً عند ابن سينا نفسه حين يحمل العقل قوة من قوى النفس ، وحين يحددنا في مكان آخر^(٢) أن العقل فاض عن الأول ، ثم فاضت عنه النفس ، فكأنه يذهب مذهب الفلوطين حين يقدم العقل على النفس .

ولكن الأرجح في مذهب ابن سينا هو أن للعقل قوة من قوى النفس ، وأن النفس عند مفارقة البدن قد تسمى غسماً ، وسكن الأصح أن يقال عنها للعقل .

والقوى النفسانية هي القوى ذاتها التي ذهب إليها أرسطو من قبل ، وهي ثلاث : النباتية ، والحيوانية ، والإنسانية . وظائف النباتية التنفس والنمو والتوليد ؛ والحيوانية إدراك الجزئيات والتحرك بالإرادة ؛ وتختص النفس الإنسانية^(٣) بأنها تدرك الكلّيات ، وتفعل الأفعال بالاختيار للفكرى والاستنباط بالرأى .

ولما كان لغرض ابن سينا من هذا الكتاب البحث في النفس الإنسانية بوجه خاص ، ومعرفة بقائها ومعادها ، فلذلك أشار في إيجاز إلى النفس النباتية ونموها ووظائفها ، وكذلك أوجز القول في حركة الحيوان ، وسكنه أطلب في وصف القوى للشدركة ، ووقف عند القوى الباطنة وتوقفاً طويلاً لأن بعضها - وبخاصة المتخيلة - لها أثر كبير في تفسير الهنوة وكثير من الظواهر النفسية الأخرى .

(١) رسالة في النفس الناطقة - نشرها نأت القدي .

(٢) الظاهر من نصه في هذه الصيغة الخامس ابن سينا مارس ١٩٥٢ عن التمييز بين الحيوان والإنسان .

وهذه أن القوى المشتركة صنفان ، صنف يدرك من خارج وهذه هي الحواس الخمس ، وصنف يدرك من باطن ؛ وهذه إما أن تدرك صور الحسوسات ، وإما أن تدرك للمعاني المستمدة من الحسوسات ، وإما أن تنصرف في مصدر والمعاني فتتركب بعضها مع بعض . ولكل نوع من أنواع هذه الإدراكات اسم معين . وأول هذه القوى فطاسيا ، وهو اسم يوناني يراد به التخيل ، ونسب الخيال أو المتخيلة ، وهذا هو المعنى الذي ذكره أرسطو في كتاب النفس ، حتى لقد قال إن فطاسيا phantasia مشتقة من فاوس Phaos أي الدور . ويسمى ابن سينا الحس المشترك ومكاتب التجويف الأول من الدماغ ، وتقبل جميع الصور المنطبعة في الحواس . ولكن الحس المشترك عند أرسطو يختلف عن ذلك ، لأنه هو الذي يدرك الحركة والسكون والشكل والتقدير والتعدد والوحدة ، وهذه أمور توجد في الحسوسات ولكن الحس لا يدركها ، ومن وظائف الحس المشترك أيضاً إدراك الإحساس ، ومعرفة التباين بين الحسوسات^(١) . ومن هذا يتبين الخلاف الشديد بين نظريات العلم الأول والعلم الثالث .

والقوة التي تلي فطاسيا^(٢) تسمى قوة الخيال وتارة أخرى للصورة ، وموضعها في آخر التجويف الأمامي من الدماغ ، ووظيفتها أن تحفظ ما فيه الحس المشترك بعد نهاية الحسوسات .

والقوة الثالثة هي المتخيلة ، ونسب للفكرة بالنسبة إلى النفس الإنسانية ، وموضعها في التجويف الأوسط من الدماغ ، ومن شأنها أن تتركب بعض الخيال مع بعض وتفصله عن بعض بحسب الاحتياج .

والرابعة هي للتوهم ، أو الوهمية ، في نهاية التجويف الأوسط من الدماغ ، وهي التي تدرك للمعاني غير المحسوسة الموجودة في الحسوسات الجزئية .

(١) انظر ترجمة كتاب النفس لأرسطو ، أحمد مؤلف الأموار والألب لنواي ١٩٤٩ القاهرة ص ٩٣ — ١٠١ .

(٢) قد ترمز أيضاً بإلهاء فطاسيا .

والقوة الخامسة هي الذاكرة أو الحافظة ، في التجويف المؤخر من الدماغ ، وتحتفظ ما تدركه القوة الوهمية . وإلى هنا تنحصر القوى الحيوانية الباطنة .

ونلاحظ على هذه القوى الحيوانية أمرين : الأول أن علم النفس الحديث عدل عن القول بوجود قوى أو ملكات تصدر عنها الأصول النفسانية . والثاني أن ابن سينا يجعل لكل قوة من هذه القوى مركزاً في الدماغ ، وبسبب هذا المركز آلة ، فكما أن الحواس المختلفة تدرك بآلات ، كالبرص العين آله ، كذلك النحل أو التصور أو النوم له آلة خاصة به . أما العقل فلا آلة له . وهذا أيضاً مما لا يعلم به علم النفس الحديث ، فهو يقر بوجود مناطق في المخ تخصص كل منطقة منها بوظيفة نفسانية ، حتى الصكر والتقل . ولكن نظرية برحسون في الصلة بين الحس والعقل تنصب إلى أن ندرك الظواهر الشمورية بالمخ ليس دلالة على أن المادة هي الشعور .

مما يمكن من شيء فإن امر سينا سوف يستند على أن العقل لا يدرك بآلة من الآلات في البرهان على جوهرية وقبائه ذاته ومعارضة البدن بعد الموت .

٣

والنفس الناطقة تنقسم قسمين : عامة وعالة . والعقل الصلي هو مبدأ حركة بدن الإنسان بعد الروية . وإذا كانت النفس الحيوانية محركاً لحيوان أيضاً ، فليس ذلك بعد روية وتفكير ، بل بزوم شوق يبحث إما عن الشهوة أو الغضب .

والعقل الصلي وثلاث ثلاث : فهو حين يصف إلى القوة الحيوانية النزوية يحدث عنه هيئات اضغالية مثل الخجل والخياء والضحك والبكاء . وحين يضاف إلى الشهوة ، يستفيد منه الإنسان في التدابير السكائنة الفاسدة وفي استنباط الصدقات المختلفة . وحين يضاف إلى العقل النظري يعوله عنه الأراء الذائفة مثل أن الكذب قبيح .

فالعمل العقل هو الذى يتسلط على البدن ويسوسه ، فتشأ من ذلك الأخلاق .
والأخلاق عند ابن سينا مثل أرسطو من قبل ، مسكة التوسط بين الإفراط والتفريط ، أى
أن الأخلاق ، من فضائل ودرذائل ، ليست نظرية تدرك بالعلم فقط ، بل عملية لا بد فيها من
الممارسة والفعل ، على عكس الفضيلة القراطية التى تذهب إلى أن العلم هو الفضيلة . ومن
شروط الأخلاق الفاضلة أن تذهن القوى الخيوية للعقل العمل ، وأن يذهن العقل العمل
لقوة النظرية .

أما العقل النظرى فهو عدة درجات ، أولها العقل الحيولانى وهو قوة مطلقة ، أو استعداد
محض ، وهذا العقل موجود لكل شخص صلاً كان أم مانعاً ، مثل قوة الطفل على
الكتابة .

ثم العقل بالملكة ، وهو العقل الذى تكون قد حصلت فيه المقولات الأولى
كالهديات ، مثل أن الكل أعظم من الجزء .

ثم العقل المستفاد ، وهو العقل الذى تكون قد حصلت فيه المقولات الثانية ، مثل
الكاتب المستكمل الصنعة ^١ ككتب .

ولا ننهنا كثيراً هذه الأسماء ، فهو يتابع فيها إلى حد كبير الإسكندر الإفرديسى الذى
أخذ عنه السكندى فى مقالة العقل ، ثم القزوينى ^(١) من بعد .

وإنما يهمنا أن نعرف كيف يبين ابن سينا تكون المقولات ، أو كيف يدرك العقل
الكلية .

والإدراك مراتب ، وأدنى مرتبة منها هو الإدراك الحسى ، وهو انتقال صورة الشيء
انفلاوجى إلى الذهن . ولكن الشيء الخارجى مركب من مادة ، فإذا انتقلت صورته للمدركة
عن طريق الخواص إلى الذهن فعلى غير مادية ، ولو أنها لم تتجرد تماماً عن لواحق المادة .

(١) انظر مقدمة كتاب النفس لابن رشد وأربع رسائل : نصر أحمد طراز الأخوانى ، مكتبة النهضة ١٩٥٠ .

أما انخيل أو التخيل فإنه يعبر عن الصورة لسزعة عن المادة تبرز أشد ، لأنها موجودة فقط في صفحة الخيال دون وجود مادتها ماثلة أمام الحس .

والرم أرفع مرتبة ، لأنه يقال « المعنى » التي ليست مادية ، وإن فرض لها أن تكون في مادة مثل اللون والشكل ، والظهور والشر ؛ أو كما تدرك الشاة « العداوة » للوجودة في الذئب ؛ ومع هذا كله فالصور أو المعاني « جبرئة » أي تدرك بحسب مادة مادية .

أما صور المقولات ، فإنها ليست مادية البتة ، وهي كلية لا جبرئة .

وهنا تعرض مشكلات كثيرة : أولها مصدر هذه الصور الكلية ، وثانيها الصلة بين الصور الكلية والجزئية للمدركة أولا بالحواس ثم بالتصميم والفهم ، وثالثها مكان هذه المقولات .

أما الصور الكلية فإنها لا تستمد من الجزئيات ، ولو أن هذا الطريق ممكن ، ولكن وجودها الحقيقي في عالم آخر ، هو عالم الجواهر العالية ، وفي ذلك يقول ابن سينا في الفصل الخاص بالنبوة : إن النفس تنال الأمور الكلية باستقل النظرى من الجواهر العالية .

كيف إدد يوفق ابن سينا بين هذين الطريقين ، طريق كسب الكلّيات دفعة من الجواهر العالية ، وطريق كسب الكلّيات على سبيل تجريدتها عن الجزئيات ؟

تستعين النفس بالهذه لتستفيد منه في أربعة أمور :

(١) انتزاع النفس الكلّيات عن الجزئيات على سبيل تجريدتها

(٢) إيقاع نسب بين هذه الكلّيات على سبيل السلب والإيجاب

(٣) تحصيل المقدمات التجريبية مثل أن السقونيا مسهل للصغراء ، وذلك لمشاهدة الحس هذه الجزئيات كثيرا

(٤) الأخبار التي يقع بها التصديق لشدة التواتر

وقد ينحول إلى المرء وهو يقرأ هذا الكلام أن ابن سينا من الفلاسفة التجريبيين الذين يقولون في كسب المعرفة على الحواس قبل كل شيء ، فيها هو ذا يقول : إن للنفس تفزع

الكلمات من الجزئيات المحسوسة بالتجريد ، ولكنه ما يكاد يبلغ الفصل الرابع عشر الخاص بزكاء النفس ، حتى يجد كلاماً آخر يخالف هذا الكلام . فالأصل في كسب العقولات إما « الحدس » وإما « التعليم » ، وهو يريد بالتصميم ما يخلقاه للره ، ويحفظه عن غيره . ومبادئ التعليم الحدس ، فلا غرابة أن ينسب التصميم إلى صاحب الحدس . وشروط صاحب الحدس أن يكون شخصاً « مؤيد النفس بشدة الصفاء » ، وشدة الاتصال بالمبادئ العقلية حتى يشتمل حدساً ، أى قبولاً للإلهام العقل الفعال ، فترسم فيه الصور ارتساماً حقيقياً لا تقليدياً .

هذه هي الفلسفة « الإشرافية » التي يمتاز بها ابن سينا . وهي التي تميز عن فلسفته أصديق التعبير ، وهي التي ارتضاها لنفسه في آخر حياته . فإذا كانت قد سلك مسلك « للمعتقلين » أو « المشاكين » أو « التجريبيين » وذهب إلى إمكان تحصيل المعرفة الكلية بعد النظر إلى الجزئيات المحسوسة ، فإنه قد عدل عن هذا الطريق ، وأثر طريق الفيض والاتصال والإشراق .

على أنه في ذلك الفصل الخاص الذي تحدث فيه عن حاجة النفس إلى البدن ، يعبرها أنها ترجع إلى الجزئيات « لا تنفص هذه للمبادئ » حتى لا تحتاج بعد ذلك إلى البدن ، بل يضرها الرجوع إليه . ولا يبنى ذلك أن هذه للمبادئ مكتسبة من عالم العقل بطريق الحدس والإلهام ، بل معناه أن النفس بعد كسب العقولات الكلية تصبح مستفادة ومستفزة ، فلا حاجة إلى الرجوع مرة ثانية إلى الجزئيات لاكتسابها .

عما يكن من شيء فإن هذا الجانب التحريري من فلسفة ابن سينا يثير مشكلات هويصة تختلف في شأنها للفلسوف^(١) . والذي دفع ابن سينا إلى هذا الاضطراب ، وإلى إثارة الجانب الإشرافي هو محاولة تفسير الظواهر النفسية ، مثل وجود النوى ووظيفته ، وبقاء النفس بعد فناء البدن ، ومعادها بعد ذلك ، وسعادتها وشقاوتها في الآخرة .

(١) انظر ما كتبه في مجلة رشي كي كيم عدم ابن سينا بسوان : نظرية المعرفة ، وقد مر هنا فيه رأي محفل بك نظيف وأعرضنا عنه .

سبق أن ذكرنا أن العقل ليست له آفة جسمية كالشغل أو الخمول . والعقل هو الذي يعقل العقولات . فالمعقولات الموجودة في العقل لا نحمل جساماً من الأجسام ، وقد أدى هذا النسق من التفكير إلى القول بأن العقل والمائل والمقول شيء واحد . ومعنى ذلك أن العقل ليس شيئاً آخر خلاف المعقولات الموجودة فيه .

وفي هذا السكتاب برهانان على أن الإدراك العقلي ليس بآفة ، أو على أن جوهر المعقولات ليس بحسم ولا قائم بحسم . وقد أعطى ابن سينا براهين أخرى على ذلك في الشفاء وفي بعض رسائله النفسانية الأخرى . والبرهان الأول يتلخص في أن الصورة للمقولة غير منقسمة ، فكيف نحمل في منقسم ، أي الحسم ؟ والبرهان الثاني أن الصورة للمقولة مفارقة للآئين والوضع وسائر المعقولات الأخرى ، وهذه مفارقة في العقل لا في الوجود الخارجي ، لأن الشيء الخارجي جزئي لا يمكن أن يتجرد من مكان والزمان والوضع وغير ذلك .

وفي الفصل السابع أربعة براهين على تجوهر العقل ، أو النفس الماقلة ، وصحة استغنائها عن البدن ، وقوامها بذاتها ، وذلك من « علمها » . الأول أن القوة العقلية تعقل بذاتها لا بآلة ، والذي أن للعقل إذا كان يعقل بآلة فبما أن يعقل العقل آله وصورة آله فيه ، وإما أن آله شيء آخر غيره ؟ وكلا الأمرين مضاف للزاعم . والثالث أن الآلات تكل بإدانة العمل كالحسوسات المتكررة الشاقة تضعف الحس وربما أفسده ، وأن المبصر شيئاً قوياً لا يبصر بعده شيئاً ضعيفاً ، بعكس القوة العقلية فإن تصورها للأقوى يكسبها قوة وسهولة . والرابع أن أجزاء البدن تأخذ في الضعف مع تقدم السن وفي الشيخوخة بعكس العقل .

هل النفس موحدة قبل البدن ، ثم تهبط إليه ، كما قال في العيبة ؟

انطق أن مطلع قصيدة النفس ، الذي يقول فيه « هبطت إليك من الحمل الأرفع ورفاء . . . » إما أن يكون على سبيل الرمز ، فحضر الورداء تفسيراً غير مادي ، وإما أن تكون القصيدة كلها لغير ابن سينا ، كما شك أحمد أمين بك في نسبتها إليه ^(١) ، لعل نظمها بالقياس إلى قصائده الأخرى . وإذا نحن شككنا في أمر القصيدة العيبية ، فإنما يقوم شكنا على أساس آخر ، هو مخالفة ما جاء فيها من آراء أساسية مع ما نجد في هذه الرسالة وفي غيرها .

فالنفس ، في هذا الكتاب ، حادثة مع حدوث البدن ، ولم تكن موجودة وجوداً سابقاً ثم هبطت إلى البدن وألقت جوارده .

ذلك أنها إن كانت موجودة قبل البدن ، إما أن تكون واحدة ، أو كثيرة بعدد الأبدان التي تحمل فيها .

ولست النفس واحدة ، لأنه إذا حصل بدن ، حصل في البدن نفسان وتنقسم بذلك النفس الواحدة ، وهذا ظاهر البطلان ، أو تكون النفس الواحدة في بدنين في آن واحد ، وهذا لا يحتاج إلى تكلف في إبطاله . وعندما أن هذا البرهان شبيه بالنقد للوجود في محاوره « بارمنيدس » لنظرية للثل وحولها في الأجسام الجزئية .

ولست النفس متكررة بحسب عدد الأبدان ، ذلك لأن النفس « ماهية فقط » ، والماهية أو الصورة واحدة لا تنقسم .

الخلاصة أن النفس تحدث كل يحدث البدن الصالح لاستقبالها إياه ، ويكون ذلك البدن مملكتها وآلتها .

(١) انظر عدد مجلة الثقافة الخامس بإذن سيد .

فإذا وجدت النفس ، فإنها لا تموت بموت البدن ، بل تبقى .

والأدلة على بقائها كثيرة ؛ ذلك أن نفس النفس بالبدن إما تعلق بالتقدم عنه ، وإما تعلق للكاف ، وإما تعلق المتأخر عنه .

فإن تعلقت به تعلق بالتقدم ، إما أن يكون التقدم بالزمان ، وقد أبطالناه ، وإما بالذات وفي هذا استحالة لأن عدم المتأخر يستلزم عدم المتقدم . ونتيجة ذلك أنه لا تعلق للنفس بالبدن ، بل تعلقها بالمبادئ العالية التي تقيس عنها ، وهي لثلاث انفارقة . وللقصود بأصل الانفارقة الثقل الآخر ، لأن النفس لا تسمى نفساً إلا إذا اتصلت بالبدن ، ولذلك تسمى الحركات للأحرام السهادية نفساً لا عقولاً . ونسب حركات الأبدان الإنسانية نفساً ، فإذا فارقت سميت عقولاً . وهذا هو التمييز بين النفس والنفس .

وإن تعلقت النفس بالبدن تعلق للكاف في الوجود ، فبما إذن جوهران لا جوهر واحد ، فبذلك البدن لم يلزم أن تفسد النفس .

وإن تعلقت به تعلق المتأخر عنه . فالنفس مطردة للبدن ، وهذا إما أن يكون كلمة فاعلية أو قابلية أو صورية أو كالية . وليس البدن حلة فاعلية النفس لأن الجسم يفعل بقواه . وليس حلة قابلية ، لأن الأجسام أعراض لأغلب الصور . وليس حلة صورية ، لأن النفس هي الصورة ، وهي التي تضاف إلى المادة وتمسكها بالوجود . وليس كذلك حلة كالية ، بل الأولى أن يكون بالمعكس . وسنذكر يتبين أن النفس ليست حلة للبدن ، ولا للبدن حلة النفس .

وبرهان آخر على بقاء النفس ، هو أن الفساد فيه وقت وجوده قوة أن يفسد ، وفيه قبل الفساد قوة أن يبقى . وهاتان القوتان ، أن يبقى وأن يفسد ، هما للركب ؛ أما النفس فبسيطة لأنها لا تنقسم وليست بمركبة ، فليس فيها قوة أن تبقى وأن تفسد ، كما يكون ذلك للبدن لأنه مركب من مادة .

ثم نعرض ابن سينا في غاية الإيجاز لإبطال القول بالتناسخ ، وأدلة هي الأدلة على عدم

وجود النفس قبل البدن ، لأن النفس تحدث عند حدوث الأبدان وتتهيأ مع الإفاضة من اللام للفرقة ، فكل بدن يستحق بذاته نفساً . ويضيف إلى هذا الدليل دليلاً نفسانياً جديداً ، وهو أن كل حيوان يشعر بنفسه نفساً واحدة هي المصرفة والمدارة . يريد أن يقول إذا سلطنا بالتناسخ ، وجب أن يكون نفسان في بدن واحد ، الأولى للتناسخ ، والثانية الحادثة مع حدوث البدن لللائم ، ولما كان الإنسان لا ينتشر نفسه إلا نفساً واحدة ، فلا تناسخ .

وقد فصل هذا الكلام للوجز في كتاب آخر ، هو رسالة الأضرورية^(١) .

أخطر ما في هذه الرسالة هو الفصل الثالث عشر الخاص بالنبوة ، وقد يبدأ أن هذا الفصل بأكمله ليس موحوفاً في « النبوة » ، وقد لعل السامع أخاف إلى الرسالة الفصل الأخير الذي يحذر فيه من اطلاع من ليس أهلاً لهم بسبب الكلام في النبوة . ومع ذلك فمن نجد لابن سينا الآراء الغامضة بالنبوة وتفسيرها نفسانياً في رسالتين ، إحداهما مطبوعة ، وهي رسالة الفعل والاعتقال^(٢) ، والأخرى في اللها واللعاد^(٣) . ولعله أودع هذه الآراء رسائل أخرى بما لم يتيسر لنا الاطلاع عليه لأنها لا تزال مخطوطة .

أما الأصول التي يعتمد عليها ابن سينا في تفسير النبوة بها أصلاً ، الأول خارج عما ، والثاني في أنفسنا . أما الأصل الأول فهو أن العالم الأرضي بما فيه من كليات وجزئيات مرسم في العالم السماوي . ويرجع الأصل الثاني إلى قوة العقل النطري الذي يتصل بالكليات ، وإلى التمثيل مع العقل العملي الذي يتصل بالجزئيات .

يقول ابن سينا في هذه الرسالة إن المحرك لمحركات السماوية جوهر نفسي يتصل بالجزئيات ، لأن حركتها جزئية واختيارية ، فالمحرك لها مدرك للجزئيات .

(١) الأضرورية - نصر سليمان عيا - مطبعة الامتداد ١٩١٩ - ص ١٨ - ٩٣ .

(٢) طبع حيدر آباد الهند ١٣٥٣ هـ .

(٣) يروي الأستاذ شارل كوينتر عنها ، وقد اطلعت على نسخة المخطوطة .

وليس هذا المحرك عقلاً صرفاً بل نفساً . ولما كانت هناك صلة بين الحركات السهلوية وبين العالم الأرضي ، فالعالم السماوي يتصور العالم الأرضي « بتفصيله وتخصيصه والأجزاء التي فيه لا يعزب منها شيء » .

ومن المطاعن التي وجهت إلى فلسفة ابن سينا أن الله لا يعلم الجزئيات ، وهذا غير صحيح ، فاشبه في النجاة بصرح بأن « واجب الوجود ، بما يقبل كل شيء على نحو كلي ، ومع ذلك فلا يعزب عنه شيء شخصي ، فلا يعزب عنه سقوط ذرة في السموات ولا في الأرض »^(١)

ونرجع إلى الأصل الذي في أمسا ، وكيف يمكن أن نطلع على الأمور الكلية والجزئية السكائنة الآن ، والتي سوف نتع في المستقبل .

هذه القوى النفسانية قد تحجب لأمرين ، الأول لصعقها ، والثاني لاشتغالها بمير الجبهة التي إليها الوصول . فإذا زال الحجاب كان الاتصال وانما ، فتتسنى مطالعة كل شيء .

أما الأمور الكلية فإن النفس تتلقى العقل وتنفرد من الجواهر العالية . ولأن سينا تشبه طريق بين فيه كيفية استغادة القوى النفسانية المختصة من العالم السماوي . فالبدن كالكهيت ، وفيه كوة ، وخارج الكوة شمس ، هي العقل التمثال . وقد يحدث من هذه الشمس إما تسخين وهذه هي القوة النباتية ، وإما إثارة وهذه هي القوة الحيوانية ، وإما اشتعال وهذه هي النفس الإنسانية . وبذلك يمكن أن نفهم تعبير ابن سينا الذي يقول فيه : إن شخصاً قد يكون مؤيد النفس بشدة الصفاء وشدة الاتصال بالمبادئ العقلية العالية « فيشتعل حدساً » أي قبولاً للإلهام العقل التمثال . ومثل هذا الشخص هو النبي ، ويسميه ابن سينا « الملك الخفيق » و « الرئيس » انتهى يتصل سلم العقل ، وعالم النفس ، ويؤثر في الطبيعية .

ويتبين من ذلك أن اتهام ابن سينا بأنه يفسر النبوة بقوة التخيل فقط تهمة باطلة ،

(١) النجاة ص ٤٠٤ - الطبعة الأولى .

لأن العقل البشرى قد يتصل دفعة بالقول المفارقة لمطلع على الأمور السكائنة والمستقبلة في هذا العالم . ولكن هذا الاتصال قليل احدث ، والأغلب أن يتم الاتصال بواسطة التخيل والعقل العمل . وبذلك يتقسم الناس طبقات ، بحسب قوة اتصالهم . ويرجع ذلك إلى ترتيب القوى النفسانية واتجاهها إلى الأهل أو الأدنى . وأهل القوى العقل النظرى ثم العمل ، ثم التخيل ، ثم الحس . فالمستغرقون في الحس لا يطعمون على شيء ؛ و بعض النفوس بصعف فيها التخيل ؛ وبعضها الآخر تكون أقوى لأن القوة العقلية تمنحها عن التخيل إلى جهتها العالية .

على أن المحور في تفسير هذه الطوائف القريبة ، كالرحى ، والرؤيا ، والمهلوسة وغير ذلك ، هو التخيل .

والتخيلة هي القوة المسماة التي نعرض الصور مرتبطة بعضها ببعضها الآخر ، بحيث ينقل المرء من صورة إلى صورة أخرى شبيهة أو مضادة . وهذا هو قانون ترابط المعاني الذي فطن إليه أرسطو من قبل . وقد اعتمد عليه ابن سينا فقال : إن الهمتان قد يرى في الهمطة صوراً متتابعة مترابطة ، وهو ما سمي في لغة علم النفس حديثاً بأحلام الهمطة «Day dreams» وليس حد ابن سينا في جد بين الصور المتتالية في أحلام الهمطة ، والصور الحادثة في الأحلام ، لأن أساسها واحد هو قانون تماثل المعاني . ولذلك يستطيع للعبد ، أو مفسر الرؤيا ، أن يجر الأحلام بأن يتتبع الصور واحدة بعد أخرى حتى يبلغ الصورة الأولى ، أي « حتى يبلغ ما شاهده النفس حين اتصالها بذلك العالم » . ويسمى ذلك التفسير تحليل بالمعكس .

الأصل في الأحلام أن التخيل في النوم يتصل بالعالم الأهل فيشاهد صوراً ، ثم يأخذ في تركيب صور أخرى مشابهة لها .

وهناك طبقة من الناس « تستبث ما ناله هناك » ، ويستقر عليه الخيال ، وهذه هي الرؤيا التي لا تحتاج إلى تفسير .

وطبقة أقوى من السابقة « تحصل في حال الهمطة بشدة قوتهم للتخيلة ، وعدم استقرارهم في الحس » .

ولست للتخيلة كافية وحدها في مشاهدة الصور ، بل لا بد من استعراضها في صفحة « فطاسيا » ، وفي ذلك يقول الشيخ : « قد تأخذ التخيلة تلك الأحوال ونحاكيها ، ثم تستولى على الحسية حتى تؤثر في فطاسيا ، فقطع فيها تلك الصور ، فتشاهد صور هجينة ، وأفاويل إلهية مسموعة لتلك للتكرات الوحية » .

والدليل على انطباع التخيل في فطاسيا « مشاهدة الجانين ما يتخيلون ، وإخبارهم بالأمور السكائبة » . وليس كل إدراك لعالم النفس الأهل شاذاً ومرضاً كما يحدث للجنون ، بل منه إدراك سليم ، إلا أن التخيلة كي تعمل فعبها الفام لا بد أن يبطل عمل الحس ، وأن تبعه محو عالم العقل ، أو يبطل عمل العقل ، وذلك يكون في أحوال ثلاث :

الأولى عند النوم ، حيث يقاوم العقل ، فتحضر الصور كمشاهدة .
الثانية إذا فسدت التخيلة فتتخلص من سيطرة العقل وتعمل في أفاويلها ، كالحال في الجنون والمرض ، وعند الخرف .

الثالثة عند فساد الحس كالحال عند الصرع والنشى ، فيسهل انحداب التخيلة مع النفس اللاطقة وابصارها عن الحس ، فيقطع للعقل العمل على أفق عالم النفس الأهل ، فتشاهد ما هناك ، ويخبر بالأمور السطحية .

هذه هي خلاصة رأي ابن سينا في تفسير النبوة والرؤيا في هذا الكتاب . وكلامه في هذه الرسالة غامض بعض الشيء ، أما في رسالة تبدأ بالمعاد التي كتبها لأبي أحمد محمد بن إبراهيم القارسي ، فكلامه في غاية الوضوح ، ولو أنه لا يخرج مما هو مذكور هاهنا . ونحن نقل إليك مقرة واحدة من تلك الرسالة يصرح فيها ابن سينا بأن القوة النبوية تابعة للقوة العقلية لا للتخيل ، حتى تبقى عنه تلك التهمة التي شاعت عنه بالباطل . قال : « القوة النبوية لها خواص ثلاث ، الواحدة تابعة لقوة العقلية ، وذلك أن يكون هذا الإنسان بحسبه القوي جناً من غير تعلم مخاطب من الناس له ، يحصل من المقولات إلى الثانية في أقصر الأزمنة لشدة اتصاله بالعقل الصالح . أما أن هذا ، وبين كان قليلاً نادراً ، فهو ممكن غير معتصم ، فبيانها مما أقول »

لا غرابة أن يسمى ختام الرسالة بعد بحث أحوال النفس المختلفة ، ومراتبها المتفاوتة ، وضروب أفعالها وقواها ، في النهاية القصوى التي يسمى على الإنسان أن يتناولها ، وهي السعادة . والسعادة على أنواع ، منها ما هو للبدن والنفس معاً ، ومنها ما هو للنفس فقط ؛ ولما كانت النفس على أفرادها ، نفس النفس الناطقة حين مفارقتها أعلى مرتبة من النفس الإنسانية وهي متصلة بالبدن ، فالسعادة التي للنفس الدائمة أعلى مرتبة من السعادة البدنية . ولم يفصل ابن سينا هذه السعادة الأخيرة ، لأنها كما يقول : « مفروغ منها في الشرع » . ولكنه بحث في السعادة العلمية ، التي تليق بالحكمة ، وهي السعادة الخفية التي للنفس . ثم مهد هذه السعادة بالنظر في اللذة الحسية التي يرميها الإنسان بالتجربة والمشاهدة ، وارتفع من ذلك « بالقياس » إلى إثبات السعادة الخفية . وهناك أصول أربعة يبنى عليها الشيخ ما سوف ينتهي إليه من حال السعادة الخفية . وهذه الأصول مستمدة من التجربة الحسية .

(١) لكل قوة لذة مخصوصة ، فلهذا الشهوة ملازمة للكيفيات المحسوسة ، ولذة الغضب الظفر ، ولذة الوم الرجاء ولذتها هو حصول كمال هذه القوة .

(٢) مراتب اللذات مختلفة ، منها ما كماله أهم وأفضل ، وما كماله أكثر ، وما كماله أدوم ، وما كماله أوصل إليه وأحصل له ، وما هو في حبه أكل لعملاً وأفضل ، أما الذي هو في نفسه أشد إدراكاً فاللذة أبغ له وأوفى لاهية .

(٣) ليس « الشهور » شرطاً في معرفة اللذة ، بل قد تكون اللذة موجودة ومتصورة ولكنها غير متحققة بالشهور ، مثل الذين فزع متحقق أن لجمال لذة ، وكذلك الأصم لا يشعر بلذة الأكلان ولكنه متيقن لطبيعتها .

(٤) قد يوفق أي قوة عن لذتها عائق عارض ، كالمرض والخوف قد يوقان لذة القوة للساكنة ، أو كالمرور لا يحس بجمرة الشيء في له .

بناء على هذه الأصول ، يقرر ابن سينا « بتقاييس البرهاني » التي يرتفع من الجزئيات
المشاهدة إلى القضايا المجهولة الثابتة ، أن « النفس الناطقة كلها الخالص بها أن نصير عالمًا
عقليا مرتسما فيها صورة الكل والنظام المقبول في الكل ، والخير القائض في الكل » .
فاللذة العقلية أعلى مرتبة من سائر اللذات ، وأعلى الذات ما اقترب من المبادئ العالية ،
التي لها في ذاتها حال من البقاء أجل من اللذة الحسية التي تشر بها . ولهذا السبب سميت
هذه الحالة بالسعادة ، وسماها ابن سينا في الإشارات « البهجة » . ولا ينبغي أن نقاس اللذة
الحسية بهذه اللذة العقلية أو السعادة .

على أننا لا نحس بهذه اللذة على كلها ونتمسكها لأننا متصلون بالأبدان . وهناك درجتان
من السعادة يمكن الوصول إليهما : الأولى أن نملح ربة الشهوة ، والثانية وهي السعادة
الحقة ، وهذه لا يبلغها المرء إلا إذا انفصل اتصالاً تاماً عن البدن ، أي بعد مفارقة النفس
الجسم . وهذا هو الذي يسميه ابن سينا بالمعد .

وبعد مفارقة الأنفس ، تحدث إما شقاوة وربما سعادة . فإذا ظل المرء متعلقاً بالبدن حتى
بعد الموت ، كما يسمي المرحض لغة لعلم يكون تناوله الهواء المر ، فهذه هي الشقاوة . وإذا
بلغت القوة العقلية كلها في الحياة الدنيا ، وفارقت النفس البدن ، طالت اللذة العظيمة ،
وهذه هي السعادة .

أما الشروط التي ينبغي توفرها لبلوغ السعادة الأخروية ، فهو إصلاح الأخلاق ، وهو
الجزء العمل من النفس . والأخلاق ملكة تتوسط بين الإفراط والتضييق . وتنشأ القضية
من « استعمال » القوة العقلية ، و « إضعاف » القوة الحيوانية . فإذا اكتسبت النفس في
هذه الدنيا الهيئة الصالحة الناشئة من استعمال القوة العقلية ، ثم فارقت ، بلغت السعادة .



أَخْوَالِ النَّفْسِ

رِسَالَةٌ فِي النَّفْسِ وَبَقَائِهَا وَمَعَادِهَا



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله أهل كل حين لن يكون إلا له ، ودغية لن تكون إلا إليه ، وتوكل لن يكون إلا عليه ، وثقة لن تكون إلا به ؛ وصلونه على خير خبرته من خلقه محمد وآله .

وبعد ؛ فهذه رسالة تحملها باسم بعض الأنص من الإخوان ، مشقة على من ما تؤدي إليه للبراهين من حال النفس الإنسانية ، ولباب ما أوقف عليه البحث الشاف من أسرارها ، وإن انقض المراج ، وفد الهدى ؛ والاطلاع على الشاة الثابة والحالة المتأدية إليها في العاقبة ، بأوحز قول ، وأشد احتصار . وما توفيق إلا بالله .

ويلزم قبل الانطباع في النرض للتقدم أن أصادر قبله بحمل من علم للقوى النفسانية وأصافها ، يكون تحقها مجباً على تحقق ما ينسب إليه الكلام من الناية القصوى .

٩٠

فلذلك تنقسم هذه الرسالة إلى فصول :

(١) هذا كتاب مقتبل على أحوال النفس لصيغ درجتها النفس سره ؛ هذه الرسالة في علم النفس للشيخ الرئيس أبي علي بن سينا رحمه الله حامش ؛ علم مختلف ؛ رسالة في النفس وبهايتها ومطامها ؛ رسالة التكبير في حق النفس لرئيس الطلاء لأبي سينا صاحب الطلاء روح الله روحه العزيز .

(٢) لن يكون إلا له ؛ أن يكون له ؛ يكون له ؛ لن يكون إلا إليه ؛ أن يكون إليه ؛ هـ . (٣،٤) لن يكون إلا عليه ؛ أن يكون عليه ؛ هـ .

|| الحمد لله ... به ؛ الحمد لله وبه العالين س (٣) لن يكون إلا به ؛ أن يكون به ؛ هـ . || خير ؛ مساقلة من هـ || خلقه ؛ الخلق هـ || وآله ؛ + قال الشيخ الرئيس رحمه الله هـ .

(٥) النفس ؛ + التلقية هـ . || أوقف ؛ وقف هـ .

(٦) المتأدية ؛ المؤدية هـ ؛ التأدي س

(٧) باقة ؛ + تعالى هـ .

(٨) المقدم ؛ المقدم هـ س || قبله ؛ عليه س

(٩) يكون تحقها مجباً ؛ بأن تحقها مجب هـ .

- (أ) الأول : في تعريف حد النفس على سبيل لاحتصار .
- (ب) الثاني : في تعريف القوى النفسية على سبيل الاحتصار .
- (ج) الثالث : في الدلالة على ما تصنف به الأهل القوي للذكورة من النفس .
- (د) الرابع : في الدلالة على أن كل ما كان من القوى مدركاً للصور وهي جزئية فليس يمكن أن يدركها إلا بآلة .
- (هـ) الخامس : في الدلالة على أن ما كان من القوى مدركاً للصور وهي كلية فليس يمكن أن يكون إدراكها بآلة جسمية ، ولا تكون تلك القوة قائمة بحس .
- (و) السادس : في بيان أن النفس كهف ومتى تستعين بالبدن ، وكيف تستغنى عن البدن ، بل يضرها البدن .
- (ز) السابع : في تأكيد صحة قيام النفس بذاتها مستغنية عن البدن والاستشهاد بضررها بقوام القلت بضررها بالنقل من غير مشاركة شيء من الآلات والإشارة إلى كبرية العلاقة بين النفس والبدن إن كانت غير متعلقة فيه ولا قائمة بوجهه .
- (ح) الثامن : في الدلالة على أن النفس حادثة مع حدوث البدن .
- (ط) التاسع : في الدلالة على أن النفس لا تموت بموت البدن .
- (ي) العاشر : في الدلالة على أن النفس لا تتعلق بموت البدن ببدن آخر .

١٠

١٥

- (١) الترتيب الأبعدى من نسخة ج هـ على سبيل الاحتصار : سالفة من س .
- (٢) أن : سالفة من س .
- (٣) يضرها : يضره س || البدن : البدن ج .
- (٤) والاستعداد : والاستظهار س .
- (٥) لضررها بالنقل : لضره النقل ج || بالنقل : بالنقل هـ .
- (٦) حادثة : الإلصاق غير موجودة قبل البدن وأنها تحدث س || البدن : لا غير س .
- (٧) الدلالة على : سالفة من س || البدن : لا تكون بالية بعده كما كانت مع س .
- (٨) لا تتعلق آخر : إذا طرقت بعدها لا تتعلق ببدن آخر بدو أن التناسخ حال س .

(ل) الحادى عشر : فى أنه كيف يجب أن يُمتد أن جميع القوى فى الإنسان
لنفس واحدة على ما يراه أرسطوطاليس ، وكيف يُتصور
ذلك حتى لا يتعريض للشك والشبهة التى تذكر .

(ل) الثانى عشر : فى أن العقل النظرى بالقوة كيف يخرج إلى الفعل ، وأى
نفس يخرج منها إليه ، وما ذلك الشيء ، وما محله من
مراتب الوجودات .

(م) الثالث عشر : فى أن النفس كيف تحصل لها النبوات فى حال اليقظة ،
والأحلام الصادقة فى حال النوم ، ولأى قوة ، وعن أى مهبط
من المبادئ العالية .

(ن) الرابع عشر : فى الرتبة القصوى التى قد تهبها النفس الإنسانية فى الدنيا
من الشرف ، وللمراتب التى بعدها للصعود كلها فى زكاه
النفس .

(س) الخامس عشر : فى الدلالة على الحلال بمد مغارقة النفس البدن ، وتطريد
أصناف السعادة والشقاوة لأصناف النفس .

(ع) السادس عشر : فى خاتمة الفصول والدلالة على محل هذه الرسالة .

(١-٢) فى الإنسان نفس واحدة : من مبطل واحد س .

(٣) منها إليه : وكيف يحدث مع حدوث البدن س .

(١١) بعدها المندوحة كلها : بعده المندوحة س [ل : + حلة هـ .

(١٣) البدن : البدن س ، هـ .

(١٤) النفس : الأعين هـ .

الفصل الأول في حية النفس

قول : إن القوى الفعالة في الأجسام بذاتها تنحصر بها القسمة إلى أقسام أربعة ؛ وذلك لأنها تنقسم بالقسمة الأولى إلى قوة تفعل فعلها في الجسم بقصد واختيار ، وقوة تفعل فعلها بالهدات ، وعلى سبيل التسخير ، لا بقصد واختيار .

والقوة التي تفعل فعلها في الجسم بقصد واختيار تنقسم قسمة ثانية أولية إلى قسمين : فإنها إما أن تكون متعكدة القصد والاختيار ، فيكون فعلها في الجسم حينئذ متعكداً الجهة والمأخذ ، مختلفاً إما بحسب تحالف الدم واللكة كالتهريك والتكوين ؛ وإما بحسب تحالف الأضداد كالتهريك من أسفل إلى فوق ، والتهريك من فوق إلى أسفل ؛ وإما أن تكون وحدانية القصد والاختيار ، فيتبع ذلك أن يكون فعلها وحداني الجهة والمأخذ .

والقوة التي تفعل فعلها بالهدات ، وعلى سبيل التسخير ، من غير معرفة وإرادة ، فهي أيضاً تنقسم إلى قسمين : إما أن تكون وحدانية جهة تفعل ، كالقوة الفاعلة لحركة النار إلى فوق ، أو تحسكون متعكدة الفعل كالقوة الفاعلة لامتداد أعضاء الحيوان وأجزاء النبات في الجهات المختلفة ، والحركة للعضاء للنشابة فيه من أطراف متقابلة . فجملة ذلك أربع . وكل واحدة من هذه القوى جنس يتم أنواعاً ؛ ولكن لكل واحد منها في طبيعته اسم يخصه .

(٢) في حد النفس : في تعريف حد النفس على سبيل الاختصار ج ، هـ ؛ الصواب ساخط من س .

(٧) متعكد : متعكدة هـ .

(١٠) ذلك : هـ والقوة ج .

(١٢) إلى : ساخط من ج ، س ، هـ .

(١٤) فيه : منه هـ || أربع : أربعة هـ .

(١٥) واحدة : ساخط من هـ || أنواعاً : هـ كثيرة هـ || طبيعته : بطبعه هـ .

والقوة الفاعلة بالتسخير فعلاً "أحدى" الجهة مخصوصة باسم الطبيعة .

والقوة الفاعلة بالتسخير فعلاً متكرر الجهة والنوع مخصوصة باسم النفس النباتية .

والقوة الفاعلة بالقصد والاختيار المختلف للوجوب لاختلاف ما يقع عليها من الفعل

مخصوصة باسم النفس الحيوانية .

● والقوة الفاعلة بالقصد والاختيار الأحدى الجهة والنسبة مخصوصة باسم النفس للانسكية .

وقد وجدنا هذه القوى الثلاث تشترك في اسم النفس ، ولسكن الثلاثة لا يسميها حدٌ

واحد للنفس ألبتة ، ولا بجهة من الجهات . وإن نصف متصفٌ في التماس الحيلة لذلك

لم يمكنه ذلك ؛ وإذا اقر عصادقها يكون قد وقع في استعمال اسم مشترك على أنه مترادفٌ ،

ولا يشر . وذلك لأننا إن أعطينا الثلاثة اسم النفس لأب تفعل فعلاً ما فقط ، لم من

ذلك أن تكون كل قوة نفساً ، وأن يكون القوة والنفس اسمين مترادفين ، وهذا غير ما

عليه توافق أصحاب الصناعة ، بل وأصحاب اللغة .

وإن أعطينا اسم النفس للقوة الفاعلة بالقصد ، وقع حدّها على النفس الحيوانية

والانسكية ، وافلعت منه النفس النباتية .

وإن أعطينا اسم النفس للقوة الفاعلة أصلاً مقابلة ، وقع حدّها على النفس الحيوانية

(١) بالقوة ؛ والقوة س

(٥) للانسكية ؛ الانسكية س .

(٧) ولا ؛ ساطعة من س || وإن ؛ لإن س .

(٨) يكون ؛ فيكون س .

(٩) إن ؛ إذا س || لأنها ؛ + قوة س .

(١٠) القوة ؛ للقوة س .

(١١) توافق ؛ توافقاً س .

(١٢) القوة ؛ القوة س .

(١٣) والانسكية ؛ ساطعة من س || منه ؛ منه س (١٣-١٤) والانسكية ؛ ساطعة من س

(٤ - أحوال النفس)

والنباتية ، وانفشت النفس الملكية .

وإن زدنا على هذه اللغز شرطاً ازداد مفهومها تحصيماً ، فسلم يمين اثنين من القوى الثلاثة ألبنة ، بل ائرد بواحد . فوجب أن يكون هذا مستنداً معلوماً ومعصوماً ؛ أنه إن استعمل لفظ النفس على معنى يمين النفس الحيوانية والنباتية ، فالنفس مقول عليها وعلى النفس الملكية باشتراك الاسم . وإن استعملت على معنى يمين للنفس الحيوانية والملكية ، فالنفس مقول عبيها وعلى النفس النباتية باشتراك الاسم .

ولا يفتقر الإنسان بما يحده من اختلاف حركات الأفلاك في هبوطها وأطوالها ، حتى يظن أنها أصل معكثرة ، من شيء واحد في شيء واحد ؛ كلا ، بل لكل واحد من تلك الأفلاك في نفسها وحدانية لا تنفر ، ولكل واحد منها موضوع آخر ، أو بعضها بالذات بعضها بالعرض .

ثم لما كانت القوى إما تحتها بأفعالها ، وكانت الأفعال نظامية للنفس إما في أجسامها ، وإما بأجسامها ، لم يكن بد من وقوع الأجسام في حدودها . والشئ الواحد يقال له صورة ، ويقال له قوة . ويقال له شكل ، بالإضافة إلى معنى مختلفة . يقال له قوة بالقياس إلى الفعل الصادر عنه ، أو بالأفعال المنفردة ؛ ويقال له صورة بالقياس إلى المادة ، لصورة المادة به قاعة بالفعل ذاتاً بسيطة ؛ ويقال له كان بالقياس إلى النوع

(١) والنباتية : والملكية ح || الملكية : النباتية ح .

(٢) زدنا : زدنا ح || تحصيماً : تحصيماً ح .

(٣) الثلاثة : ساقطة من ح || معلوماً : معلوماً ح .

(٤) لفظ : لفظه ح || عليها : عليه ح (٥) وعلى نفس الملكية : ساقطة من ح (٦) ساقطة من ح .

(٦) وإن الاسم : ساقطة من ح .

(٨) من : ومن ح || واحد في شيء واحد : واحد في شيء ح ؛ في شيء واحد ح .

(٩) آخر أو : أجزاء ح .

(١٠) ولما بأجسامها : ساقطة من ح || الأجسام : الأجسام ح .

أو الجنس ، لصيرورة الجنس به قائماً بالفعل نوعاً مركباً . و فرّق بين المادة وبين الجنس ، و فرّق أيضاً بين البسيط وبين المركب .

فالنفس قوة بالقياس إلى معلها ؛ وصورة بالقياس إلى المادة المترتبة ، إن كانت نفساً مطبوعة في المادة ؛ وكلّ بالقياس إلى النوع الحيواني أو الإنساني . ودلالة السكال - بالمفهوم الخاص بالسكال - أنهم من دلالتى اللفظتين الآخرين على مفهومها ؛ وأيضاً مفهوم السكال • أهم من مفهوم الصورة .

أما أنه أنهم ، فلأن السكال قياس إلى النفس لدى هو أقرب من طبيعة الشيء وهو النوع ، لا إلى الشيء الذي هو أحد من ذلك وهو المادة . فإن مادة طبيعة الإنسان أولى في هذا الأمر من مادة الإنسان ، فإن مادة الإنسان هي بالقوة إنسان ، وجزء من طبيعة الإنسان ؛ والإنسان هو بالفعل إنسان ، فالنسبة إلى الإنسان أنهم دلالة من النسبة إلى مادة الإنسان . ١٠ على أن الدلالة على المادة مضمونة في الدلالة على الإنسان من غير عكس ، والسكال هناك الدلالة على أنه صورة المادة ، كما أنه كالمكتوم .

وأما أنه أهم ، فلأن من السكالات ما يست كالات بحسب الصورة للمادة ، فإن الرُّبَّان كمال السفينة التي به يصير السفينة بالفعل سفينة ؛ فإنه يشبهه أن لا تكون السفينة تامة النوع أو مختصراً جميع الأسباب التي بها يتم فعله . وأيضاً لك كمال المدينة ، ١١

(١) أو الجنس ؛ والجنس ح .

(٢) المترتبة لأن : المترتبة لما ع . أ . إن : له ح .

(٣) أو الإنساني ؛ والإنساني ح .

(٤) مفهومها : ح . من الصورة والقوة ح ؛ ح : في الصورة والقوة ح .

(٥) مادة : ساطعة من ح .

(٦) ح : هو ح .

(٧) فالنسبة ؛ والنسبة ح .

(٨) النوع أو مختصر ؛ النوع أو مختصر ح || مختصر : مختصر ح .

وهل ذلك الشرط له ؟ ولأننا إنما نقى بالمدينة ما اجتمع على الهيئة الصالحة للفرض الواقع في الشركة بوجود جميع أجزائها وأولها الملك ، من سمينا كل محل اجتماع في الساكن مدرسة فباشتركة الاسم ، كما أننا إنما نقى باليد والرأس ما كان بحيث يصدر عنه فعله الخاص به ، ويؤدي إلى الفرض الذي هو لأجله . وأما اليد لقطوعة والثلاء فإنما إنما نسبها بدأ باشتركة الاسم ! وكذلك لبيت نسميه إنساناً باشتركة الاسم .

فبيّن إذن أنّ المفهوم من الكمال ، وهو الشيء الذي بوجوده تم طبيعة جنس نوعاً ، أهم من موضوع الصورة ، وهو أيضاً أهم من مفهوم القوة الفعالة في ذلك الجسم ؛ فإنه ليس كل ما بكل به نوع ما فهذا شأنه ، بل ربما كان كلاً انضمامياً ، أو غير فاعل ، مثل صفات حرم القمر ، ومثل القوى التي في الخيول ، بما تُدرك ولا تحرك شيئاً . وأما أنه أهم من المفهوم عن القوة فامر لا شك فيه .

لنقول الآن : إنه يجب أن يؤخذ البدن في حد النفس ، وأن يُجندل الشيء للأخوذ في حدّها كالجنس كلاً . أمّا أنه يجب أن يؤخذ البدن في حد النفس ، فلأن هذا الجوهري الذي يقع عليه اسم النفس ؛ وإن كان يجوز فيه أروى نوع منه أن يتبداً عن البدن ويفارقه ، فيكون حينئذٍ للواحدة التي بينه وبين البدن منقطعة زائلة .

(١) وهل : هي س || ولأننا : ولأنه س || الواقع : يتصور هـ

(٢) لبيت : ولأنه س || هل : ساقطة من ج ، س ، هـ .

(٣) أنا : ألك ج || إنما : ساقطة من ج ، س ، هـ .

(٤) وأما اليد : فأما س ، هـ || إنما : ساقطة من س ، هـ .

(٥) طبيعة : من طبيعة كل ج .

(٦) موضوع : مفهوم ج .

(٧) هناك : هناك س .

(٨١ - ٨٢) وأن حد النفس : ساقطة من س .

والشيء الغير الذاتي لا يؤخذ في حد الشيء ، فإنا نسبه نفساً ، وندل به على جوهره مطلقاً ، بل نسبه نفساً ونحن نأخذ جوهره مع سبه ماً .

وقد يكون للشيء في نفسه وجوهره اسمٌ يخصه ، وله اسمٌ آخر من جهة ما هو مضاف ، مثل : الصديق ، والتمسكن ، والمنفعل ، وغير ذلك . وقد يكون لا اسم له من جهة جوهره ، ولكن لجوهره من جهة القياس إلى شيء عَرَض له بالقياس إليه اسمٌ ، مثل : ذنب السفينة ، والرأس ، والهد ، والجناح ، والسُكَّان . هذا أردنا أن نعطيها حدودها من جهة الأسماء التي لها بما هي مضافة ، أخذنا تلك الأشياء الخارجة عن حواهرها في حدودها ، وإن لم تكن ذاتية لها في جواهرها ، أو كانت ذاتية لها بحسب الأسماء التي لها تلك الحدود ؛ وإن كان جوهر كل واحد منها في ذاته قد يجوز أن تنفصل عنه تلك العلاقة ، ويكون جده الذي يخصه شيئاً آخر .

١٠

والنفس فإنما نسيبها نفساً من جهة وجودها فصلةً في جسم من الأجسام صلا من الأفاعيل . فإما بحسب جوهره الذي يخصه ، واتى يفارق به ، فلا نسبه نفساً إلا باشتراك الاسم والجزاز . والأشبه أن يكون اسمه الخاص به حينئذ العقل لا النفس . ولهذا سميت الأوائل ما كانت من لها شيء فهو الجسمية محرراً تلك ماً على أنه يحاول التحريك بذاته

(٣) وجوهره : وفي جوهره م .

(٥) ولكن لجوهره : وليكن جوهره م || من جهة القياس : بالنسبة م || بالقياس : القياس م .

م ، ه || ذنب السفينة : ساقطة من م ، ح ، ه .

(٧) لها : ساقطة من م || بما : بما م ، ح ، ه .

(٨) ذاتية : ذاتية م .

(٩) عنه : منه م .

(١١) والنفس فإنما : والنفس فإنما م ، ه .

(١٣) الاسم : ساقطة من م || اسمه : ساقطة من م .

(١٤) غير : الغير م ، ح || يحاول : يحاول م .

كاملة التفاعلية نفساً ؛ وسموا الحركات المبهنة بالحركة ، وإما تحرك كالشوق ، والعلقة التمامية ، عقلاً . وجمعوا عدة الحركات المفردة جملةً وسموها عقل الكل ، وعدة الحركات الواصلة المحاولة لتحريك جملةً وسموها نفس الكل ، فإن الكل هي السموات .

وأما الأربعة الأسطوانات وما فيها فهي جزء من الكل لا يعقد به ثقته ، فلذلك كانوا يقولون : إن "الكل" هي "كل" واحد ، وله نفس عاقلة ، ولنفسه للعاقلة شيء كالعقل الفعّال لنا . وما كانوا يلضفون إلى القدر التاسع ثلاث من الكل ، حتى يتمتعوا لأجله من إطلاق القول بأن للكل هي . نفس في أبدان من ثلاث ما ننته إلى أبداننا مُتَعَدِّ به .

ومع ذلك فقد نطق القول بأن "كل" البدن هي . ولكمهم كاختصاصهم النفس في الكل ما كان مزاولاً لتحريك لا مغيراً عنه أصلاً ، وباسم العقل ما كان متبرئاً الذات من الحركة والملاقة مع للوضوح أصلاً ، فكذلك يجب أن يقال في الأنفس الجزئية إن اسم النفس يقع عليها باعتبار سببه لها إلى الجسم . فإذا كان هذا هكذا فيجب أن يؤخذ البدن في حد النفس ، ويجب أن يوضع الجسم للكل دون الصورة والقوة . وذلك

(١) كالشوق : بالشوق ح || والعلقة : وسموا الله ح (١ - ٢) والعلقة التمامية : والتنامية هـ .

(٢) عدة : عدة م || وسموها : باسم هـ || عقل الحركات : سالطة من م .

(٣) الواصلة وسموها : سالطة من م || فإن : كان ح ، م ، هـ .

(٤) فيها : فيه م .

(٥) القدر : القدر هـ .

(٦) يعقد : يعقد ح || به : بها ح ، م .

(٧) كل : كلية م || البدن : القدر ح | كما : سالطة من م .

(٨) كذلك : كذلك م .

(٩) سببه : سببه هـ || فإذا : وإذا م .

(١٠) الكل : الكل ح .

لأنه ليس كل ما هو نفس هو صورة للبدن ، فإن النفس الناطقة سيظهر من حالها أن
قوامها ليس بأن تطمع في ملء البدن ؛ فإذا قيل لها صورة ، فذلك باشتراك الاسم .

وأيضاً فإن النفس يُقال لها - وهي نفس لى بدن - قوة بالقياس إلى التحريك ،
وبالقياس إلى الإدراك . فإذا قيل لها قوة بالقياس إلى التحريك كانت بمعنى القوة الفاعلة ؛
وبالقياس إلى الإدراك كانت لا بهذا المعنى بل بمعنى القوة الانفعالية ؛ فهكون وقوع اسم
القوة عليها من الجهتين بالاشتراك . وإن اقتصر على كونها قوة بأحد الطرفين ، كان ما وضع
جنباً لها مقولاً عليها من جهة واحدة من حوت وحودها وهي نفس في البدن .

وقد تهيئ في طويقا أن الجسم يجب أن يُحمل مطلقاً على الشيء ، ومن كل جهاته
لا من جهة واحدة ، وحسباً على رأى من يرى أن النفس ليست ذاتاً واحدة ، بل أبعداً ،
فهكون القوة المدركة عند نفس وليست قوة بمعنى الفاعلة ، والحركة نفساً وليست قوة بمعنى
المنفصلة .

فوجب إذن أن نضع السكال كالجس للنفس ونقول : إنه كمال للجسم . لكن
السكال للجسم قد يكون مبدأ ، وقد يكون بعد المبدأ ، فإن الإحساس والتحريك أيضاً
كأن النوع الحيواني . وأما النفس فهي مبدأ لهذا ، فذلك نقول : إن النفس كمال أول

(١) هو صورة ؛ فهو صورة هـ ، لأن ؛ روت هـ ، هـ .

(٤) لا إذا التحريك ؛ ساطعة من س .

(٥) بهذا ؛ الحدا ؛ || وقوع ؛ ساطعة من هـ .

(٦) الجهتين ؛ الجسم هـ || ولذا ؛ ثابت هـ .

(٧) جهات ؛ جهة - (٧ - ٨) من جهة طويقا ؛ ساطعة من س (٨) ومن ؛ من هـ .

(٩) الفاعلة ؛ الفاعلة ؛ .

(١٠) ثابت ؛ ساطعة من هـ ، هـ .

(١٤) النوع ؛ النوع هـ || لهذا ؛ الحدا ؛ || فذلك ؛ روت هـ ، س .

للجسم . ولأن الكالات الأولية للأجسام الطبيعية تختلف بحسب اختلاف الأجسام الطبيعية ، وبحسب نوعيات الأجسام الطبيعية . ثم النفس التي نحن في تحديدها - وهي الأرضية - هي كالنوع من الأجسام الطبيعية ، فحين هي ما يصدر عنه من الفعل الذي صدره عنه بالآلات فيه ، حكوم النفس كالأول الجسم طبيعي آلي ، أو الجسم ذي حياة بالقوة ، أي من شأنه أن يحيا بالنشوء ويحيى بهنذاء ؛ وإنما يحيا بإحساس وتحريكها في قوته .

فهذا هو حد النفس .

—

-
- (١) لجسم : جسم م || للأجسام : الأجسام م || اختلاف : سالطة من م ، م ، هـ .
 (٢) نوع : النوع م ، م || على : سالطة من م ، م || عنه : عنها هـ .
 (٣) صدوره : صدوح || حياة : صورا م .
 (٤) وآلة : ورعما م ، م || وتحريك : ومركة هـ .
 (٥) لهذا : وهذا ج .

الفصل الثاني

في تعريف القوى النفسانية على سبيل، مختار

القوى النفسانية تنقسم بالقسم الأول أنما جسمية ثلاثة : أحدها النفس النباتية وهي الكمال الأول لجسم طبيعي آلي من جهة ما يتحرك وينمو ويتغذى ؛ والثاني جسم من شأنه أن يتشبه بطبيعة الجسم الذي قيل إنه غذؤه ، ويزيد فيه مقدار ما يعمل منه ، أو أكثر أو أقل . والثاني النفس الحيوانية ، وهي الكمال الأول لجسم طبيعي آلي من جهة ما هو يُدرك الجزئيات ، ويحرك بالإرادة . والثالث النفس الإنسانية ، وهي كمال أول لجسم طبيعي آلي من جهة ما يفعل ، الأفعال الكلية بالاختيار الفكري والاستنباط بالرأى ، ومن جهة ما يدرك الأمور الكلية .

والنفس النباتية قوى ثلاث : القوة الغاذية ، وهي قوة تحمل جسما آخر إلى مشاكلة ١٠ الجسم الذي هي فيه ، وفصلته به بدل ما يتحمل منه .

(٢) في ... الاختصار : في قواعد : القولان ساطع من م .

(٣) ما اجدها الوجود في النجاة الصبيحة الأولى صفحة ٢٢٨ ، وفي النجاة صفحة ٣٨٩ [] القوى . . . ثلاثة : والنفس كجسم تنقسم بثلاثة من القسم إلى ثلاثة أقسام م .

(٤) جهة : جهة م [] وينمو : ويريد م ، م ، م .

(٥) قيل إنه : قيل عنه م [] ويريد : يريد م [] يحصل : يحصل م ، م .

(٦) الإرادة : بإرادة .

(٧) م : ساطع من م [] بدلما : وما م .

والقوة المُنَمِّية ، وهو قوة تزيد في الجسم الذي هي فيه بالجسم للتشبه به زيادة مناسبة في أقطاره طولاً وعرضاً وعمقاً ، لتبلغ به كانه في الشو .

والقوة للولادة ، وهي القوة التي تأخذ من جسم الذي هي فيه جزءاً هو شبهه بالقوة ، فتفعل فيه باستعداد أجسام أخرى تشبه به من الخلق والتزيج ما يصير شيئاً به بالمثل .
والنفس الحيوانية بالقصة الأولى ثوبان : مُحرَّكة ومُذَرِّكة .
والحركة على قسمين : إما حركة بأها باعثة ، وإما حركة بأها فاعلة .

والحركة على أها باعثة هي القوة النزوعية الشوقية ، وهي القوة التي إذا ارتسنت في التخليل - الذي سنذكره - صرورة مطلوبة أو مهروب عنها ، حملت القوة التي تذكرها إلى التحريك . ولها شعبتان : شعبة تسمى قوة شهوانية ، وهي قوة تهبث على تحريك يقرب ١٠ به من الأشياء المتخلية ، صرورية أرباضة ، طلباً للذة ؛ وشعبة تسمى قوة غضبية ، وهي قوة تهبث على تحريك يدفع به الشيء التخليل ، صاراً أو مفسداً ، طلباً للتغلبة .

وأما القوة المحركة على أنها فاعلة فهي قوة تهبث في الأعصاب والمصلات ، من شأنها أن تشجع المصلات ، فتجذب الأوتار وتربطات المتصلة بالأعضاء إلى نحو جهة المبدأ ،

(١) لسمية : النامية س || هي : حو ح .

(٢) وعمداً : — مناسبة بقدر الواجب س || كانه . كال كانه ح .

(٣) وهي القوة : ساقطة من س ، هـ : هـ : هـ : هـ : هـ : هـ : هـ : هـ .

(٤) للمثل : لخصل هـ || ليه : ساقطة من س || الخلق : الخلق هـ .

(٥) القوية : والقوية هـ || ارتسنت : ارتسنت س ، هـ ، هـ .

(٦) هـ : ساقطة من س .

(٧) تهبث : تهبث هـ .

(٨) صرورية : صرورة ح .

(٩) يهبث : يهبث هـ || الغلبة : — والاعظام ح .

(١٠) القوة : ساقطة من س .

(١١) بالأعضاء : بالأعصاب ح ، هـ .

أو ترخيبها أو تمددها طولاً ، فتصير الأوتار والربا حث إلى خلاف جهة البدأ .

وأما القوة للتدرك من خارج فهي الحواس الخمسة أو الثمانية . فمنها البصر ، وهي قوة مرتبة في المصبة المهيوة تدرك صورة ما ينقطع في الرطوبة الجليدية من أشباح الأجسام ذوات اللون العادية في الأجسام المشنة فانقل إلى مطروح الأجسام الصلبة .

- ومنها السمع ، وهي قوة مرتبة في المصبة لفرق في سطح الصماخ ، تدرك صورة ما يتأدى إليه بتسويج الهواء المنضغط بين قارح ومفروج مقاوم له انصفاً بدمف يحدث منه صوت ، فيتأدى مضروباً إلى الهواء المحصور الزاكد في تحوير الصماخ ، ويحركه بشكل حركته ، وتنامس أمواج تلك الحركة تلك المصبة .

ومنها الشم ، وهي قوة مرتبة في زائدتى مقدم الصماخ الشبيهتين بحلقتى التدى ، تدرك ما يؤدي إليه الهواء المستنشق من الرائحة الخاطلة له البخار ، أو النطبعة فيه بالاستعانة ، ١٠ من جرم ذي رائحة .

ومنها الذوق ، وهي قوة مرتبة في المصبة لفروش على جرم اللسان ، تدرك الطعوم للتحلة من الأجرام الماسة له ، الخاطلة للرطوبة العذبة التي فيه لضمه .

(١) أو ترخيبها أو تمددها طولاً : ساقطة من م ، ح ، ف أو تمددها طولاً : ساقطة من م .

(٢) المدركة : + فتقسم قسمين قوة تدرك من طرج ومنها قوة تدرك من باطن والمدركة م || الخمسة : الخمسة م ، ح || الثمانية : كونه ثمانية يد ، على أن الخمس جلى شامل لأربع عامش م .

(٤) المعلقة : العذبة م ، م .

(٥) الفرق : المفروق م ، م : المفروق م .

(٦) موج : من موج م .

(٨) المصبة : + فسمع م .

(١٠) إليه الهواء : إليها بالهواء م || الهواء : ساقطة من م || الخاطلة له البخار : الخاطلة لها بالبخار م ، م || الموجودة في البخار الخاطلة م || لنطبعة : الرائحة النطبعة م .

(١٢) له الخاطلة : ساقطة من م || له نصبة : بب نصبتها م ، م : له خاطلة نصبه م .

ومنها الممس ، وهي قوة مرتبة في أعصاب جلد البدن كله ولحمه ، تدرك ما تلمسه ، وتؤثر فيه بالمصافحة ، وتنبه في المراج أو الهمة . ويشبه أن تكون هذه القوة لا نوعاً بل جنساً تقوى أربع منبئة معاً في الجلد كله ، واحتها حاكمة في التضاد الذي بين الحار والبارد ، والثانية حاكمة في التضاد الذي بين اليابس والرطب ، والثالثة حاكمة في التضاد الذي بين الصلب واللين ، والرابعة حاكمة في التضاد الذي بين الخشن والأملس ؛ إلا أن اجتماعها معاً في آلة واحدة يوم تأخذها في الذات .

وأما القوى المدركة من باطن فبعضها ترى تدرك صور المحسوسات ، وبعضها قوى تدرك معاني المحسوسات . ومن المدركات ما يدرك ويحل معاً ، ومنها ما يدرك ولا يفعل ، ومنها ما يدرك إدراكاً أولياً ، ومنها ما يدرك إدراكاً ثانياً .

١٠ والفرق بين إدراك الصورة وإدراك المعنى أن الصورة هي الشيء الذي تدركه النفس الباطنة والمحس الظاهر معاً ، لكن المحس يدركه أولاً ويؤديه إلى النفس ، مثل إدراك الشاة لصورة الذئب ، أمي شكله وهينته ولونه ، فمن نفس الشاة الباطنة تدركها ، ويدركها أولاً حسبها الظاهر . وأما المعنى فهو الشيء الذي تدركه النفس من المحسوس من غير أن يدركه المحس الظاهر أولاً ، مثل إدراك الشاة المعنى للضاد للذئب ، أو للمعنى الموجب

(١) مرتبة : منبئة س ، حر || ولحمه : سائلة مزيج ١ + فدية به قرين الأصابع س .

(٢) حاكمة : سائلة من حر

(٣) الذي : سائلة من حر (٤) الذي : سائلة من حر اجتماعها : اجتماعها س .

(٥) معاً : سائلة من س || في الذات : بالذات ١ ما سببه هذا الكلام في النتيجة من ٢٦٦ ، وسألف

الكلام من ٢٦٤ ، أما في الشفاء من ٢٩٠ لم يفتح .

(٦) وإدراك : وبين إدراك س ١ س : مزج حر ، حر .

(٧) الباطنة : الثالثة ج ، حر || مثل : مثلاً ج .

(٨) لين : وأن ج ، حر || ويدركها : ويدرك س ، س .

(٩) حسبها : بحسب ج || الظاهر : سائلة من حر || وأما : فأج ج .

(١٠) أو المعنى : والمعنى س .

لحوقها إليها وهربها عنه ، من غير أن يكون أحس يدرك ذلك ألبته . فالتى يدرك من الذئب أولا الحس ثم القوى الباطنة هو الصورة ، والتى تدرك القوى الباطنة دون الحس هو للمنى .

والفرق بين الإدراك مع الفعل والإدراك لا مع الفعل أن من شأن أفعال بعض القوى الباطنة أن تتركب من الصور والمعنى المدركة مع بعض ، وتنصله عن بعض ، فهكون • إدراك وفعل أيضاً فيما أدركت . وأما الإدراك لا مع الفعل فإن يكون الصورة أو المعنى يرسم في الشيء فقط من غير أن يكون له أن يفعل فيه تصرفاً ألبته .

والفرق بين الإدراك الأول والإدراك الثانى أن الإدراك الأول هو أن يكون حصول الصورة على عيهاً من الحصول ، قد وقع لشيء من نفسه . والإدراك الثانى هو أن يكون حصولها من جهة شيء آخر أدى إليها .

فمن القوى المدركة الباطنة قوة ساطعيا ، وهو الحس المشترك ، وهى قوة مرتبة في التجويف الأول من الدماغ ، تفعل بلياتها جميع الصور المنطبعة في الحواس الخمسة متأدية إليها .

(٢) هو : للمنى .

(٣) هو : فهو .

(٤) شأن : ساطعة من هـ .

(٥) أن تتركب : أن لا تتركب سـ .

(٦) أدركت : أدرك هـ ، سـ || يكون : يكون هـ ؛ ساطعة من سـ .

(٨) والإدراك الثانى : هو والثانى سـ .

(٩) قد : التى قد هـ ؛ وقد هـ || من : فى سـ (١٠) حصولها : + هـ .

(١١) القوى : القوة سـ || الباطنة : + الحيوانية هـ || ساطعيا : ساطعيا سـ || وهو الحس :

والحس سـ .

(١٣) متأدية : المتأدية هـ || إليها : إليه سـ .

ثم الحبال والمُصَوَّرة ، وهى قوة مرتبة أيضاً فى آخر التجويف للتقدم من الدماغ ، تحفظ ما قبله الحس المشترك من الحواس الجزئية غثة ، وتبقى فيها بعد غيبة الحسوسات .
واعلم أن القبول بقوة غير القوة التى بها الحفظ ؛ واعتبر ذلك من الماء ، فإن له قوة قبول النقش ، وليس له قوة حفظه .

ثم القوة التى تسمى مضمونة بالقياس إلى النفس الحيوانية ، ومفكرة بالقياس إلى النفس الإنسانية . وهى قوة مرتبة فى التجويف الأوسط من الدماغ عند الدودة ، من شأنها أن تتركب ببعض ما فى الحبال مع بعض ، وتنفصل بعضه عن بعض ، بحسب الاحتياج .

ثم القوة الوهمية ، وهى قوة مرتبة فى نهاية التجويف الأوسط من الدماغ ، تدرك المعانى للمير المحسوسة الموجودة فى الحسوسات جزئية ، كالقوة الحاككة بأن الذئب مهربة ١٠ عنه ، وأن الولد مطوف عليه .

ثم القوة الحافظة الذائكة ، وهى قوة مرتبة فى التجويف المؤخر من الدماغ تحفظ ما تدركه القوة الوهمية من المعانى للنهر المحسوسة الموجودة فى الحسوسات الجزئية . وسهبة للقوة الحافظة إلى القوة الوهمية ، كسبة القوة التى تسمى حبالاً بالقياس إلى الحس . ونسبة تلك القوة إلى المعانى كنسبة هذه القوة إلى الصور المحسوسة .

١١ فهذه هى قوى النفس الحيوانية .

(١) والصورة : والصورة هـ ؛ والنسورة م || آخر : أجزاء هـ .

(٢) ليما : يهـ ، م .

(٣) بقوة : لقوة م || واعتبر : لمعتبر هـ ، م ، هـ (١ ، ٣) قوة قبول : قبول م ، م .

(١٠) عنه : منه هـ .

(١٢) الحس : الحس م .

(١٤) الصور : الصورة م ، هـ .

وأما النفس الناطقة الإنسانية فتقسم قواها أيضاً إلى قوة عاملة ، وقوة عالة . وكل واحدة من القوتين تسمى عقلاً باشتراك الاسم .

فالعالة قوة هي مبدأ حركة لبدن الإنسان إلى الأفعال الجزئية الخاصة بالرؤية ، على مقتضى آراء تخصصها اصطلاحية . ولما اعتبرت بالقياس إلى القوة الحيوانية النزوعية ، واعتبرت بالقياس إلى القوة الحيوانية المنخيلة والمنزوعة ، واعتبرت بالقياس إلى نفسها ، وقياسها إلى القوة الحيوانية النزوعية أن تحدث عنها فيها هيئات تخص الإنسان يتبها بها سرعة فعله وانفعال ، مثل : الخجل ، والحياء ، والضحك ، والبكاء ، وما أشبه ذلك . وقياسها إلى القوة الحيوانية المنخيلة والمنزوعة هو أن تستعملها في استنباط التدبير في الأمور السكافة والفاسدة ، واستنباط الصناعات الإنسانية . وقياسها إلى نفسها أن يبينها وبين العقل النظري بقوله الآراء الدائمة المشهورة ، مثل : أن الكذب قبيح ، والظلم قبيح ، وما أشبه ذلك من المقدمات المحدودة الانفصال عن العقيدة المختصة في كتب للنطق .

وهذه القوة هي القوة التي يجب أن تكسب على سائر قوى البدن ، على حسب ما توجبه أحكام القوة الأخرى التي يذكرها حتى لا تنفصل عنها ألفتة ، بل تنفصل هي عنها ، وتكون مقبوضة دونها ، لئلا يحدث فيها من البدن هيئات اتهادية مسفاهة من الأمور الطبيعية ،

(١) في النجاة ص ٢٩٧ هذا السؤال : هل في النفس ثلاثة ؟

(٢) حركة : الحركة ح .

(٣) عنها : أمسها هـ .

(٤) عنها فيما : بينها لها ح ، عنها فيها ص ، بينها هـ .

(٥) واستنباط : واستنباطت ح .

(٦) والظلم : وأن الظلم ح .

(٧) في كسب : يكتب ح .

(٨) القوة التي : التي ح ، ص ، هـ [] تستبط : تستبط هـ .

وهي التي تنس أخلاقاً رذيلة . بل يجب أن تكون غير منعمة ألينة ، وغير مفادة ، بل متسلطة ، فيكون لها أخلاق فصيحة . وقد يجوز أن تُنسَب الأخلاق إلى القوى البدنية أيضاً ، ولكن إن كانت هي الغالبة تكون لها هيئة فعلية ، وهذه هيئة انفعالية ، فيكون شيء واحد يحدث منه حُتْق في هذا ، وخلق في ذلك . وإن كانت هي للعلوية تكون لها هيئة انفعالية ، وهذه هيئة نفسية غير غريبة . أو يكون الخلق واحداً ، وله نسبتان .

وإنما كانت الأخلاق عند التحقيق لهذه القوة ، لأن النفس الإنسانية — كما يظهر من بعد — جوهر واحد ، وله نسبة وثبات إلى جانبين : جهة هي تحت ، وجهة هي فوق ؛ وله بحسب كل جهة قوة بها تنظم العلاقة بينها وبين تلك القوة . فهذه القوة العملية هي القوة التي لها بالقياس إلى الجهة التي دورها ، وهي البدن وسياسة .

١٠ وأما القوة النظرية فهي القوة التي لها بالقياس إلى الجهة التي فوقها لتفعل ، وتستفيد منها ، وتقبل عنها . فكان للنفس وجهان : وجه إلى البدن ، ويجب أن يكون هذا الوجه غير قابل ألينة أثر من جسم مقتضى طبيعة البدن ؛ ووجه إلى المبادئ العالية ، ويجب أن يكون هذا الوجه دائماً للقبول مما هناك ، والتأثر منه هذا .

(١) رذيلة : رذيلة س ؛ رذيلة س ؛ رذيلة س .

(٢) فضيلة : فضيلة س .

(٣) إن : إذا س ؛ وهذه : وهذا س .

(٤) ذلك : ذلك س ؛ س .

(٥) وهذه : وهذا س ، س ، س .

(٦) تحت : تحت س ؛ علة : فوق س .

(٧) وهي : وهو س ، س ، س .

(٨) التي : ساقطة من س .

(٩) منها : منه س ، س ؛ عنها : منه س ، س ؛ مكان : ولا س ، س ؛ النفس : منها س .

(١٠) والتأثر : والتأثر س ؛ منه : منه س .

وأما القوة النظرية فهي قوة من شأنها أن تطبع بالصورة الكلية المجردة عن المادة .
فإن كانت مجردة بذاتها فذاك ، وإن لم تكن فإنها تُصيرها مجردة بجبريدها إليها ، حتى
لا يبقى فيها من علائق المادة شيء . وسنوضح هذا بعد .

وهذه القوة النظرية لها إلى هذه الصورة نسبة ؛ وذلك لأن الشيء الذي من شأنه أن
يقبل شيئاً ، قد يكون بالقوة قبله ، وقد يكون بالفعل .

- والقوة تقال على ثلاثة معانٍ بالتقديم والتأخير : فيقال قوة الاستعداد للطلق الذي
لا يكون خرج منه إلى الفعل شيء ، ولا أيضاً حصل ما به يخرج ؛ وهذا كقوة الطفل على
الكتابة . ويقال قوة لهذا الاستعداد إذا لم يحصل للشيء إلا ما يمكنه به أن يتوصل إلى
اكتساب الفعل بلا واسطة ؛ كقوة الصبي الذي نرعرع وعرف القلم والدواة وبسائط
الحروف على الكتابة . ويقال قوة لهذا الاستعداد إذا نُمِّ بالآلة ، وحلت مع الآلة أيضاً .
كأن الاستعداد ، بأن يكون له أن يفعل متى شاء بلا حاجة إلى الاكتساب ، بل يمكنه
أن يقصد فقط ؛ كقوة الكاتب المستكمل للصداقة إذا كان لا يكتب .
والقوة الأولى نسي قوة مطلقة وهيولاً ؛ والقوة الثانية نسي قوة ممكنة ؛ والقوة
الثالثة نسي ممكنة . وربما سميت للقوة الثانية ممكنة ، والثالثة كمال قوة .

(١) في النجاة ص ٢٦٩ صواب : فصل في القوة النظرية .

(٢) مجردة بذاتها ؛ ساقطة من سـ [فذاك : مطلقه جـ] لها : إياه سـ .

(٣) الصورة نسبة : الصور نسب سـ ، مـ [نسبة : نسب هـ] .

(٤) منه إلى الفعل : بالفعل مـ سـ ؛ منه بالفعل جـ ، هـ ؛ وهذا : وهذه هـ .

(٥) لهذا الاستعداد : فله الاستعدادات سـ || لم : جـ كان هـ .

(٦) بلا واسطة ؛ بالواسطة سـ .

(٧) بأن : وبأن جـ || يكتبه : يكتبه هـ .

(٨) ممكنة ؛ للممكنة جـ .

فالقوة النظرية إذن تارة تكون نسبتها إلى الصورة المجردة التي ذكرناها نسبةً ما بالقوة للعلّة ، حتى تكون هذه القوة للنفس لم تقبل بعد شيئاً من الكمال الذي يحسبها ، وجهت نفس عقلا هيولانيا . وهذه القوة التي تسمى عقلا هيولانيا موجودة لكل شخص من اللوح . وإنما سميت هيولانية تشبيهاً بالهيول الأولى ، التي ليست هي بذاتها ذات صورة • من الصور ، وهي موضوعة لكل صورة .

وتارة نسبةً ما بالقوة للمسكنة ، وهي أن تكون القوة الهيولانية قد حصل فيها من الكمالات المتقولات الأولى التي يتوصل منها وبها إلى المتقولات الثانية - أعني بالمقولات الأولى للخدمات التي يقع بها التصديق لا بالاكتمال ، ولا بأن يشر المصدق بها أنه كان يجوز له أن يحل من التصديق بها وقتاً أبته ، مثل اعتقاده بأن لكلٍ أعظم من الجزء ، وأن الأشياء المساوية لشيء واحد متساوية - لما دام إنما حصل فيه من العقل هذا القدر منه فإنه يسمى عقلا بالمسكنة . ويجوز أن يسمى هذا عقلا بالفعل بالقياس إلى الأولى ، لأن تلك جد ليس لها أن تعقل شيئاً بالفعل ، وأما جدم فإنها تعقل إذا أخذت تقبس بالفعل .

وتارة نسبةً ما بالقوة للكتابة ، وهو أن يكون قد حصل فيها أيضاً الصورة المقولة للكتابة بعد المتقولة الأولية ؛ إلا أنه ليس يطالعها ويرجع إليها بالفعل ، بل كأنها عنده

(١) ذكرناها : ذكرناها .

(٢) وهذه هيولانيا : سالطة من هـ .

(٣) هيولانية : هيولانياً هـ || التي ليست : وليست هـ .

(٤) القوة : بالقوة هـ || قد : وقد هـ .

(٥) الكمالات : سالطة من هـ ، هـ .

(٦) إنما حصل : يحصل هـ || حصل : يحصل هـ .

(٧) عقلا بالمسكنة ويجوز أن يسمى : سالطة من هـ || الأول : الأول هـ || تلك : الأولى هـ ؟

سالطة من هـ .

(٨) وتارة : + تكون هـ || الصور : الصور هـ .

مخزونة ، فتي شاء طالع تلك الصورة بالفعل نفسه ، وعقل أنه عجب ؛ وبسى عقلا بالفعل لأنه عقل يقتل متى شاء بلا تكلف اكتساب ، وإن كان يجوز أن يسى عقلا بالقوة بالقياس إلى ما بعده .

وتارة يكون نسبةً بالفعل للطلق ، وهو أن تكون الصورة المقولة حاضرة فيه ، وهو
يطالعها بالفعل ، فيعقلها بالفعل ، ويعقل أنه يحسب بالفعل ، فيكون حينئذ متفاداً .
وإما سُمِّيَ متفاداً لأنه سيتضح لك أن النفس بالقوة إنما يخرج إلى الفعل بسبب عقل
هو دائماً بالفعل ، وأنه إذا اتصل به العقل بالقوة نوحاً من الاتصال اطبع منه بالفعل نوع من
الصور تكون مستفادة من خارج .

فهذه أيضاً مراتب القوى التي نسي منها بطرية .

وعند العقل التضاد يتم الجنس المجهول ، واللعويع الإنسانى منه . وهناك تكون القوة ١٠
الإسابة تشبهت بالمبادئ الأولية للوجود كله .

فاحذر الآن وانظر إلى هدم القوي كيف يروّض سبها بيساً، وكيف يخدم سبها بيساً، فإنك تجد العقل المستنار بل العقل القوي رئيساً، ويخدمه الكل، وهو المايه التصوي. ثم العقل

(۲) حبل : قس ، ح ، فاعل حبل ه || لا تكلف الكتاب : من غير الكتاب ه ، لا تكلفن غير الكتاب ه .

(1) المورد : المورد ٥

(٧) حوفاً بالليل : كلاً ما هو بالليل ع || وأنه : فإنه ع || به : سائلة من ماء ع || مه : فيه ع
 بالليل : + فيه ع ، مه ع .

(۹) ایضاً : + من .

(١١) الإنسانية : حاكمة من دور || نفسيات : حربية ح .

(١٧) إلى : ساعة من .

(۱۴) یٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا : سَاطِعَةٌ مِّنْ جَدِّهِ ۖ وَهُوَ : لَهُو ح .

بالفعل يخدمه العقل بالملكة ، ثم النفس المهيولاني بما فيه من الاستعداد يخدم العقل بالملكة . ثم العقل الصلي يخدم جميع هذا ، لأن العلاقة البدنية ، كما سبق بحد ، لأجل تكامل العقل النظري وتركيبه ؛ والعقل الصلي هو مدبر تلك العلاقة . ثم العقل الصلي يخدمه الوهم . والوهم يخدمه قوتان : قوة يمدّه وقوة قبله ؛ فالقوة التي يمدّه هي القوة التي تحفظ ما أدّاه الوهم ؛ والقوة التي قبله هي جميع القوى الحيوانية . ثم الشخصية تخدمها قوتان مختلفتان الأخذين ، فالقوة الزوجية تخدمها بالانتهاز له لأنه يبحثها عن التحريك ، والقوة الخيالية تخدمها بقبول التركيب والتفصيل فيما فيه من صورها . ثم هذان ريثان لطاقتين : أما القوة الخيالية فيخدمها غنطاسيا ، وفتنطاسيا تخدمها الخواص الخمس .

وأما القوة الزوجية فتخدمها الشهوة والنفس . والشهوة والنفس تخدمها القوة المحركة ١٠ في العقل . فها هنا تنفي القوى الحيوانية .

ثم القوى الحيوانية بالجهة تخدمها النباتية ، وأولها ورأسها المولدة ؛ ثم اللبنة تخدم المولدة ؛ ثم للماذية تخدمها جميعا . ثم القوى الطبيعية الأربع تخدم هذه ، وهي الماضية والجاذبة والمانسة والدافعة ، والمانسة منها تخدمها بالملكة من جهة والجاذبة من جهة ، والدافعة تخدم جميعها . وتخدم جميعها للكيفيات الأربع ، لكن الحرارة تخدمها البرودة ، وتخدم كليهما اليبوسة والرطوبة . وهناك آخر درجات القوى .

(١) ثم العقل المهيولاني بالملكة : ساطعة من س .

(٢) هنا : هذه ج ، نه .

(٤) أهله : أدنى س .

(٦) فالقوة : والقوة س || لأنه : لأنها ج ، نه ، ه .

(٨) الخس : الخسة ه .

(١٠) تنفي : تنفي نه .

(١١) للنسبة : المزية ج ، س ؛ التامية نه .

(١٣ ، ١٤) والمانسة منها تخدمها بالملكة من جهة والجاذبة من جهة ، والدافعة تخدم جميعها : الماضية وتخدمها من جهة للمانسة وهي جهة الجاذبة وتخدمها جميعاً الماضية ومن جهة الماضية والجاذبة ج ؛ الماضية تخدمها من جهة للمانسة ومن جهة الماضية والمانسة تخدم جميعها س .

الفصل الثالث

في اختلاف أفاضل القوى لمركز من انفس

- يشبه أن يحسبون كل إحراك أنه هو أخذ صورة للذرك ، فإن كان لمادى فهو أخذ صورته مجردة من المادة تجزئاً م . إلا أن أصناف التجريد مختلفة ، ومراتبها متفاوتة ؛
- فإن الصورة المادية تعرض لها بسبب المادة أحوال وأمور ليست هي لها بذاتها من جهة ما هي تلك الصورة . فغارة يكون النزع نزاعاً مع تلك العلائق كلها أو بعضها . وتارة يكون النزع نزاعاً كاملاً ، بأن يجرد عن المادة وعن اللواحق التي لها من جهة للمادة . مثله أن الصورة الإنسانية ، والماهية الإنسانية ، طبيعة لا محجة ، يشترك فيها أشخاص النوع كله بالسوية ؛ وهي بمذهاشي ؛ واحد . وقد عرض لها أنب ووجدت في هذا الشخص وذلك الشخص فكثر ، وليس لها فلك من جهة طبيعتها الإنسانية . ولو كانت الطبيعة الإنسانية يجب ١٠ فيها التكثر لما كان يوجد إنسان محمولاً على واحد بالعدد . ولو كانت الإنسانية موجودة

(٢) في اختلاف أفاضل خواصها : المتوان ساطع من م ؛ فصل في الفرق بين إدراك الحس وإدراك الضيل والوهم وإدراك العقل من م ٢٢٥ ؛ في الفلاحة من ما تحتك به أفاضل القوى المدركة من النفس .

(٣) لادى : المادى م ، المادى م ، م .

(٤) إلا أن أصناف : لأن الأصناف من م ؛ أصناف : الأصناف من م .

(٥) الصورة : الصور م ؛ م ؛ ساطعة من م ؛ جهة : جهة م .

(٦) لها : ساطعة من م .

(٩) بعضها : بعضها م .

(١٠) الطبيعة : ساطعة من م ، م .

(١١) كان يوجد : كان أن يوجد م .

زيد لأجل إنسانيته لما كانت لهمرو . فإذاً إحدى الموارض التي تعرض للصورة الإنسانية من جهة المادة هو التكثر والاقسام ، ويترش ما أيضاً غير هذه الموارض ، وهي أنها إذا كانت في مادة ما حصلت بقدر من السكم والسكيف والأين والوضع . وجميع هذه أمور غريبة عن طابعها ، لأنه لو كانت لأجل الإنسانية هي على هذا الحد ، أو حد آخر من السكم والسكيف والأين والوضع ، لكان يجب أن يكون كل إنسان مشاركاً تآخر في تلك المعاني ؛ ولو كان لأجل الإنسانية على حد آخر وجهة أخرى من السكم والسكيف والأين والوضع ، لكان كل واحد من الناس يجب أن يشتركوا فيه . فإذاً للصورة الإنسانية بذاتها غير مستوحية أن يلتحقها شيء من هذه الواحق .

فهذه الواحق عارضة لها من جهة المادة ضرورة ، لأن المادة التي تقارنها تكون قد يلتحقها ١٠ هذه الواحق . فالحس يأخذ الصورة من المادة مع هذه الواحق ، ومع وقوع لسطر بينها وبين المادة ، فإذا زالت تلك النسبة بطل ذلك لأخذ ، وذلك لأنه [لا] ينزع الصورة عن المادة مع جميع لواحقها ، ولا يمكنه أن يستقيم تلك الصورة إن عابت المادة ، فيكون كآله لم ينزع الصورة عن المادة زماً محكماً ، بل يحدج إلى وجود المادة أيضاً في أن تكون تلك الصورة موجودة لها .

(١) لأجل : — أنها هـ || إنسانيه : إنسانية هـ || كما هـ || الصورة : قصور هـ .

(٢) جميع : جميع هـ .

(٣) طابعها : — وذلك هـ .

(٤) تآخر : آخر هـ .

(٥) للصورة : الصور هـ .

(٦) الواحق : — غريبة هـ .

(٧) إذا : — هـ ، هـ ؛ ودوامه || الأخذ : الأصل هـ . لا : زيادة في النجاة والشفاء ، وله

أبشعها لاستعانة للنس .

(٨) يستت : — هـ || فيكون كآله : فكآله هـ .

وأما الخيال والتخيل فإنه يبرئ الصورة لثروته عن المدة تبرة أشد ، وذلك أنه يأخذها من المادة بحيث لا يحتاج في وجودها فيها إلى وجود مادتها ، لأن المادة ، وإن غابت وبطلت ، فإن الصورة تكون ثابتة للوجود في الخيال ، إلا أنها لا تكون مجردة عن لواحق المادية . فالحس لم يجردها عن المادة تجريداً تاماً ، ولا جردها عن لواحق المادة .

وأما الخيال فإنه قد جردها عن المادة تجريداً تاماً ، ولكنه لم يجردها أثرة من لواحق المادة ، لأن الصورة في الخيال هي على حسب الصورة المحسوسة ، وعلى تقدير ما ، وتكييف ما ، ووضع ما . وليس يمكن في الخيال أثرة أن تتخيل صورة هي بحال يمكن أن يشترك فيه جميع أشخاص ذلك النوع ، فإن الإنسان للتخيل يكون كواحد من الناس . ويجوز أن يكون ناس موجودين ومتخيلين ليسوا على نحو ما يحيل الخيال ذلك الإنسان .

وأما الهم فإنه قد ندى قبله من هذه المرتبة في التجريد ، لأنه يقال للماني التي ليست هي في قواتها بادية ، وإن قررت لها أن تكون في مادة ؛ وذلك لأن الشكل واللون والوضع وما أشبه ذلك ، أمور لا يمكن أن تكون إلا مواد جسمانية .

وأما الظاهر والشر ، واللواحق والخاصات ، وما أشبه ذلك ، فهي أمور في أنفسها غير مادية ،

(١) تبرة : تبرا س || وذلك أنه : وكذلك ج ا وذلك هـ .

(٢) مادتها : مادته ب ، س .

(٣) مجردة : مجردة س .

(٤) فالحس : والحس س .

(٥) ولكنه : ولكنه ج ، س .

(٦) الصورة المحسوسة : الصور المحسوسة ج ، س .

(٧) موجودين : موجودون ب ، هـ ا ومتخيلون : ومتخيلون ب ، ج ، هـ ؛ متخيلون س .

(٨) التي : سائلة من ب || هي : سائلة من ب .

(٩) ذلك : ذلك هي ج || لوله : في مواد هـ .

(١٠) فهي : فهو س .

وقد يمرض لها أن تكون في مادة ؛ والدليل على أن هذه الأمور غير مادية ، أن هذه الأمور لو كانت بالذات مادية لما كانت تعقل حياً أو شراً ، وموافقاً أو مخالفاً ، إلا عارضاً لجسم ، وقد تعقل ذلك . فبين أن هذه الأمور هي في أنفسها غير مادية ، وقد عرض لها أن كانت مادية .

والوم إنما يقال ويُذكر أمثال هذه الأمور ، فإذئ هو يُذكر أموراً غير مادية ، وبأحدها عن المادة . فهذا النزاع إذن أشد استقصاءً ، وأقرب إلى البساطة من النزاعين الأولين ، إلا أنه مع ذلك لا يبرر هذه الصورة عن لواحق المادة ، لأنه يأخذها حروية ، وبحسب مادة مادية ، وبالقياس إليها ، وبمشركة الخيال فيها .

وأما القوة التي تكون الصور المستتجة بها ، إما صور موجودات ليست بمادية ألبتة ١٠ ولا يتعرض لها أن تكون مادية ؛ أو صور موجودات ليست بمادية ولكن قد يتعرض لها أن تكون مادية ؛ أو صور موجودات مادية ولكن مبرأة من علانق المادة من كل وجه . فبين أنها تدرك الصور بأن تأخذها أحداً محرراً عن المادة من كل وجه .

أما ما هو متغير بذاته عن المادة ، فالأمر فيه ظاهر .

وأما ما هو موجود للمادة ، إما لأن وجوده مادي ، وإما عارض له ذلك ، فهذهها

(٢) عارضاً لجسم : عارضاً بالجسم .

(٣) وقد: ولكن قد . [] الأمور تأمرح .

(٤) هو : هي ، س : س : ألومح س .

(٥) المادة : ساطعة من هـ [] لأنه : لأنها س .

(٦) وبالقياس : بالقياس س [] إليها : + ومنطقة صور محسوسة مكنونة لواحق المادة ولأنه يأخذها س .

[] ومشركة : أو بمشركة : بمشركة س .

(٧) مادية : + كصورة الإنسية هـ .

(٨) من المادة : ساطعة من س .

(٩) المادة : في المادة س .

من المادة من كل وجه ومن لواحق المادة معها ، فبأخذها أخذاً مجرداً ، حتى يكون الإنسان الذي يقال على كثيرين ، يأخذ الكثير طبيعة واحدة ، ويفرزه عن كل كم وكيف وابن ووضع مادي ، ثم يجرده عن ذلك بما يصلح أن يُقال على الجميع .

فبهذا يفترق إدراك الحاكم الحسى ، وإدراك الحاكم الخيالى ، وإدراك الحاكم الومى ، وإدراك الحاكم العقلى .

وإلى هذا كنا نسوق الكلام فى هذا الفصل .

(١) من كل وجه : ساقطة من ب ، س ، هـ .

(٢) ويفرزه : ويجرده س .

٣ (١) يفترق : يفرق ج .

٤ (٦) كنا : الحى هـ || هذا : ساقطة من هـ .

الفصل الرابع

في الدلالة على أن كل ما كان يمكن تمييزه يدركه الحواس

فنعول : أما الإدراك من الصور الجزئية كما تدركه الحواس للظاهرة على هيئة غير تامة
التعريف والتفريد من المادة ، ولا مجردة أصلاً من علائق المادة ، فالأمر فيه واضح سهل .
وذلك لأن هذه الصور إنما تُدرك ما دامت المواد حاضرة وموجودة . والجسم الحاضر
للوجود إنما يكون حاضراً موجوداً عند جسم ، وليس يكون حاضراً عند ما ليس بجسم ،
فإنه لا نسبة له إلى قوة مجردة من جهة الحضور والغيبة ؛ فإن الشيء الذي ليس في مكان
لا يكون الشيء المكاني إليه نسبة في الحضور عنه ، والغيبة عنه ، بل الحضور لا يقع
إلا على وضع وقرب وبعد الحاضر عند المصور . وهذا لا يمكن إذا كان الحاضر جسماً ،
إلا أن يكون المصور جسماً أو كجسم .
وأما الإدراك للصور الجزئية على تفريد تام من المادة ، وعدم تجريدها أبداً من العلائق

(٢) في بآلة : في أن إدراكها يكون بآلات في حال ب ؛ سالطة من س ؛ فصل في أنه لا شيء
من الإدراك الجزئي مجرد ، ولا من الإدراك لتلكي بجاني ، وكل إدراك جزئي هو بآلة جسيائية به ؛ في أن
للإدراكات الجزئية إنما هي بآلة ه .

(٣) الظاهرة : هـ وهو الإدراك به .

(٤) والتفريد : والتفريق ب ، به ؛ ولا مجردة : ومجردة هـ .

(٥) هذه : أخذ هـ ؛ وموجودة : موجودة س ؛ وجسم : فالجسم ج .

(٦) قوة : القوة هـ ؛ مجردة : مجردة س ؛ هـ ؛ ونسبة : سالطة من س .

(٨) والغيبة : ولا الغيبة ب ؛ عنه : عنه ج ، س ، هـ .

(٩) الإدراك : الإدراك ج .

كالخيال ، فهو لا يتخيل إلا أن ترسم الصورة الخيالية فيه في جسم ارتسائاً مشتركاً بينه وبين الجسم .

ولنفرض الصورة المرسمة في الخيال صورة زيد على شكله ونصليطه ، ووضع أعضائها بعضها عند بعض ، فنقول : إن تلك الأجزاء والجهات من أعضائه يجب أن ترسم في جسم ، وتختلف جهات تلك الصورة في جهات ذلك الجسم ، وأحزازه في أجزائه .

ولننقل صورة زيد إلى صورة مربع $ا ب ح د$ المحدود المقدار ، والجهة ، والكيفية ، واختلاف الزوايا بالعدد . وليكن متصلاً بزوايا $ا ب$ منه مربعان كل واحد مثل الآخر ، ولكل واحد جهة معينة ، لكليهما مناسبا الصورة . ويرسم من الجهة صورة شكل جزئية واحدة بالعدد في الخيال . فنقول : إن مربع $ا ه و ز$ وقع غيراً بالعدد لمربع $ب ح ط ي$

ووقع في الخيال منه بمناصب الجمين ، ومميزاً بالوضع في الخيال ، فلا يغلوإماً أن تكون صورة المرسمة أو تكون عارض خاص له في المرسمة غير ضروري ، أو تكون للمادة التي هي تقطع منه . ولا يجوز أن تكون مغايرة له من جهة الصورة المرسمة في ذلك أما فرضناهما متشاكلين متشابهين متساويين .

ولا يجوز أن يكون ذلك لعارض عنده . أمّ أولاً فلا لا يحتاج في تخيله شيئاً إلى اعتبار

(٣) أعضائها : أعضاها هـ .

(٧) وليكن : ولكن س || واحد : + منها هـ .

(١٠) ومميزاً : + منه هـ .

(١٣) س : ساطعة من س || له : بينها حـ .

(١٤) مغايرة : مغايرة حـ : سـ .

(١٥) متشاكلين : شكلين هـ .

(١٦) لعارض : + خاص حـ || فلا : فلا حـ .

لإقناع عارض فيه ليس في ذلك . وأما ثانياً فإن ذلك العارض إما أن يكون شيئاً في نفسه لذاته ، أو يكون شيئاً له بالتبعية إلى ما هو شكله في الموجودات حتى يكون كأنه شكل منزوع عن موجود هو لهذا التحاليل ، أو يكون شيئاً له بالتبعية إلى القوة القابلة ، أو يكون شيئاً له بالتبعية إلى اللاتجاه الحاملة . ولا يجوز أن يكون شيئاً له في نفسه من العوارض التي تخصه ، لأنه إما أن يكون لازماً أو زائلاً ؛ ولا يجوز أن يكون لازماً له بالذات ، إلا وهو لازم لمشاركة في النوع ، فلا يكون لهذا عارض لازم ليس كذلك . وأيضاً فإنه لا يجوز إن كان هو في قوة غير متجزئة أن يمرض له شيء دون الآخر الذي هو مثله ، ومحلها واحد غير متجزئ ، وهو القوة القابلة . ولا يجوز أن يكون زائلاً ، لأنه يجب إذا زال ذلك الأمر أن تتغير صورته في التحاليل ؛ والتحاليل إما يصحبه هكذا ، لا بسبب شيء يقرنه به ، بل يشمله .
١٠ كذلك كيف كان . ولهذا لا يجوز أن يقال إن فرض الفارض جده بهذه الحال ، كما يجوز أن يقال في مثله للمقول ؛ وذلك لأنه تبقى للساعة بحالها ، يقال كيف أمكن للعارض أن يفرضه بهذه الحال فستخرج من الثاني ، وما الشيء انتهى بسببه به حتى فرض هذا هكذا ، وذلك كذلك .

وأما في السكلي فهذه أمور يقرنه به العقل وهو حد التماس مع حد التماس ، وذلك
١٥ الحد لأمر مقول كلي يصح . وأما لهذا الجزئي ليس يوجد له هذا الحد دون صاحبه ، إلا لأمر به يستحق زيادة هذا الحد دون صاحبه ، ولا التحاليل يفرضه هكذا بشرط يقرنه به ،

(٣) هذا التحاليل : بهذه الحالة .

(٤) زائلاً : زائلاً هو .

(٥) النوع : + فإن المربون وضاً متساويين || كذلك : كذلك هو .

(٦) بسبب : لسبب .

(٧) العارض : الفارض هو .

(٨) به : سائلاً من ع || هكذا يفرض : هذا العارض هو .

بل يتخيله كذلك دفعةً على أنه في نفسه ، كذلك لا يفرضه فنتخيل هذا عيماً وذلك يساراً
إلا بسبب شرط يُقرن بذلك أو بهذا ، وحد التماس والتباس يصدق هناك للربع ، وهو مربع
لم يعرض له شيء آخر لحوق الكل بالكل . وأما ما هنا فما لم يقع له أولاً وضع محدود
جزئى ، فلا يقع تحت الحد ، ليس العرض ما حد يجعله بذلك الوضع في الخيال ؛ بل وقوع
ذلك الوضع في الخيال يجعله بحيث يصدق عليه ذلك القرض ، وانتهال ليس عنده حد البتة ،
لأن الحد كلى ، فكيف يلحق هوية الحد ؟ قد نطّل أن يكون هذا التمييز بسبب عارض ،
لازم أو غير لازم ، في ذاته أو مفروض ، فنقول :

ولا يجوز أن يكون ذلك بالتباس إلى الشيء للوجود الذى هو خاله ، وذلك لأنه
كثيراً ما يتخيل ما ليس ، ولا تكون نسبة البتة إلى ما ليس . وأيضاً فإن وقع لأحد
المرسعين نسبة إلى جسم ، وللمربع الآخر نسبة أخرى ، فليس يجوز أن يقع وهما غير
منقسم . وليس أحد المربعين الخياليين أولى من يُنسب إلى أحد المرسعين الخياليين دون
الآخر ، إلا أن يكون قد وقع هذا في نسبة فاعطى إلى الجسم لا يقع الآخر فيها ، فيكون
إذن محل ذلك غير محل هذا ، وتكون القوة منقسمة ؛ ولا تنقسم بذاتها بل بالقسائم ما
فيها ، فتكون جسمانية ، وللصورة ترسمية في حكم . فإذاً ليس يصح أن يفترق المربعان في
التهال لا افتراق المربعين الموجودين ، وبالتباس إليهما ، فبأن يكون ذلك إما بسبب افتراق
الجزء من القوة القابلة ، أو الجزء من الآلة التى بها تنقل القوة . وكيف كان فالخلاص يبيّن

(١) كذلك : كذلك ج || كذلك لا : حق لا ج .

(٤) فلا : حق لا ج .

(١٠) ومعلما : معلما ج .

(١١) وليس : ليس ج || الخياليين : جسمانيين م ؛ الخارجين ه .

(١٢) قد : ساقطة من ج ، م ، فاعطى : الحاصل م ، ج .

(١٦) فالحاصل : فإن الحاصل م ، م .

أن الإدراك مادة جسمية . أما القوة القابلة فلاها لا تنقسم إلا بأقسام مادتها ؛ وأما الآلة الجسمية ، فهي التي إياها نفى .

فقد اتضح أن الإدراك الخيالي هو أيضاً بحسب . وما يبين ذلك أننا نتخيل الصورة الخيالية ، كمصورة الإنسان مثلاً ، أصغر أو أكبر ؛ ولا محالة أنها ترسم وهي أكبر ، وترسم وهي أصغر في شيء ، لا في مثل ذلك الشيء بعينه ، لأنها إن ارتست في مثل ذلك الشيء فالفاوت في الصغر والكبر إما أن يكون بالقياس إلى المأخوذ عنه للصورة ، وإما بالقياس إلى الأخذ ، وإما بالقياس إلى الصورتين . وليس يجوز أن يكون بالقياس إلى المأخوذ عنه الصورة ، فكثير من الصور الخيالية غير مأخوذة عن شيء البتة ؛ ولا يجوز أن يكون بسبب الصورتين في أنفسهما ، فلنهما لما اتفقت في الحد ولاحية ، واحتدفا في الصغر والكبر ، فليس ذلك لتفسيهما ، فإذا ذلك بالقياس إلى الشيء القابل ، لأن الصورة تارة ترسم في جزء منه أكبر ، وتارة في جزء منه أصغر . وأيضاً فإنه ليس يمكننا أن نتخيل السواد والبياض في شئ واحد معاً ، وبمكننا ذلك في جزأين منه ؛ ولو كان الجزآن لا يعبران في الوضع ، بل كانا خياليين برسمان في شيء غير مقسم ، لكان لا يفرق الأمر بين

(٤) الإنسان : النفس س || أو أكبر : وأكبر س ، ج || وهي أكبر : ساطعة من س .

(٥) مثل : ساطعة من س .

(٦) الصغر والكبر : الصغير والكبير س .

(٧) وإما : وما س || بالقياس إلى : لنفس س ، هـ .

(٨) مأخوذة : مأخوذ س .

(٩) الصغر والكبر : الصغير والكبير س .

(١٠) لتفسيهما : لأنفسهما س .

(١١) مكان : مكان س .

للتفكر منها والممكن . فإذن الجزءان متعبران في الوضع . ولما علمت هذا في الخيال ، فقد علمت في الوجود أن الشيء يدركه إما يدركه متصفاً بصورة حركية خيالية ، على ما أوضحناه قبل .

وقد يمكنك أن تزيد هذا القول شرحاً واستشهاداً ، إلا أننا نؤثر الاختصار ما أمكننا ، خصوصاً فيما يجري مجرى الرسائل .

(٢) أن الشيء الذي ما به س ، هـ || أوضحناه : أوضحناه هـ .

(١) واستشهاداً : وإشهاداً س ، هـ .

(١٤) وقد . . . الرسائل : هذه العبارة ساقطة من النسخة .

الفصل الخامس

في أن إدراكها لا يكون بآلة في حال

نقول : إن الجوهر الذي هو محل للقولات ليس بحسم ، ولا قائم بحسم ، هل أنه
 قوة فيه ، أو صورة له بوجه . فإنه إن كان محل للقولات جسماً أو مقداراً من المقادير ،
 فلما أن يكون محل الصور فيه طرفاً منه لا ينقسم ، أو يكون إنما يحل منه شيئاً متفصلاً .
 ولتضمن أولاً أنه هل يمكن أن يكون طرفاً غير منقسم : فأقول . إن هذا محال ؛
 وذلك لأن النقطة هي نهاية ما لا يتميز لها في الوصف من الخط أو المقدار الذي هو متصل به ،
 حتى ينقش فيه شيء من غير أن يكون في شيء من ذلك الخط . بل كما أن النقطة لا تنفرد
 بذاتها ، وإنما هي طرف ذاتي لما هو بالذات مقدار ، كذلك إنما يجوز أن يقال بوجه ما إنه
 ١٠ يحل فيها طرف شيء حال في المقدار الذي هو طرفه متقدر به بالعرض ؛ وكما أنه يقتدر به
 بالعرض كذلك يتناهى بالعرض مع النقطة . ويركبت النقطة منفردة تقبل شيئاً من الأشياء ،
 لكان يتميز لها ذات ، فكانت النقطة حينئذ ذات حنتين ، جهة منها تل الخط ، وجهة

(٦) بآلات : بالآلة ج || في حال : ساطعة من م ؛ فصل في تكميل الكلام على تهره الجوهر
 الذي هو محل القولات م ؛ في أن المترك الصور السالبة لا يكون بآلات بحال ه .

(٥) الصور : الصورة م .

(٧) لها م || أو . . . م ؛ والمقدار الذي هو م ؛ إليها م .

(٨) ينقش : يستخرج .

(٩) مقدار : ساطعة من م || ما : ساطعة من م

(١٠) مظهر : فيظهر م || وكما : فكما م .

(١١) مع : في م || منفرجة : منفردة ه .

(١٢) فكانت : وكانت م || الخط : م ؛ التي تميزت م ه .

منها مخالفة له مقابلة ، فتكون حينئذ منفصلة عن الخط ، والخط نهاية غيرها تلاقيها ، فتكون تلك النقطة نهاية الخط لا هذه ، والكلام فيها وفي هذه النقطة واحد ، ويؤدي هذا إلى أن تكون النقط متشافة في الخط ، إما متناهية وإما غير متناهية ؛ وهذا أمر قد بان لنا في مواضع أخرى استحالة . فقد بان أن النقط لا تتركب بتشافها ، وبان أيضاً أن النقطة لا يتميز لها وضع خاص . ونشير إلى طرف من القول : إن النقطتين حينئذ اللتين تطبقان بقطة واحدة من جيبها إما أن تكون هذه النقطة للوسطة تحجز بينهما فلا تماسان ، فيلزم حينئذ في البديهة العقلية الأولية أن تكون كل واحدة منهما مختص بشيء من الوسطى تماسه ، فينقسم حينئذ الوسطة ، وهذا محال . وإما أن تكون الوسطى لا تحجز المكتنفتين من التماس فينئذ تكون الصورة للبقوة حادة في جميع النقط ، وجميع النقط كنقطة واحدة . وقد وضعنا هذه النقطة الواحدة منفصلة عن الخط ، فخط من جهة ما يفصل عنها طرف غيرها بها .
١٠ . يتصل عنها ، فلك النقطة تكون مبدية لهذه في الوضع ، وقد وصفت النقط كلها مشتركة في الوضع ، هذا حلف . فقد بطل أن يكون محل للقولات من الجسم شيئاً غير منقسم ، فبقى أن يكون محلها من الجسم - إن كان محله جسماً - شيئاً منقسماً .

(١) له : لها : || مخالفة له : مخالفة التي تشير به من وجهي له .

(٢) هذه : هذا هـ .

(٣) متشافة : متشابهة ح || أمر : الأمر ح .

(٤) لقد ... بتشافها : ساطعة من ب ، س .

(٥ و ٤) وبان ... طمس : ساطعة من ب ، ح ، س .

(٥) يتميز : يتم به .

(٦) جيبها : جنبتيه ح ، س || هذه : ساطعة من ب .

(٧) وجميع النقط : ساطعة من هـ .

(٨) مبدية : متباينة ح .

(٩) بطل : + لأنه هـ || من الجسم : ساطعة من ب ، ح ، هـ .

(١٠) محلها : محله ح ، س || إن كان محلها جسماً : ساطعة من ح ، س .

(٦ - أحوال للنفس)

- فنفرض صورة مقولة في شيء متقسم ، فإذا فرضناها في الشيء للنفس انقساماً
عرض للصورة أن تنقسم ، حينئذ لا يخلو أن يكون الجزءان متشابهين أو غير متشابهين .
فإن كانا متشابهين ، فكيف يجمع منهما ما ليس هما ؟ إلا أن يكون ذلك الشيء شيئاً يحصل
فيهما من جهة المقدار أو الزيادة في العدد ، لا من جهة الصورة ، فتكون حينئذ الصورة
للمقولة شكلاً ما أو عدداً ما ، وليس كل صورة مقولة شكل ، وتصور حينئذ الصورة
خيالية لا عقلية . وأظهر من ذلك أنه ليس يمكن أن يقال إن كل واحد من الجزأين هو
بمعنى الكل في المعنى ، لأن الثاني إن كان غير داخلي في معنى الكل ، فيجب أن نضع
في الابداء معنى الكل لهذا الواحد لا لكتبيها ، وإن كان داخلياً في معناه . فنقول
الواضح أن الواحد منها وتحدّه ليس يدل على معنى التمام ، وإن كانا غير متشابهين .
١٠ فنسظر كيف يمكن أن يكون الصورة المقولة أجزاء غير متشابهة ، فإنه ليس يمكن أن تكون
الأجزاء الغير المتشابهة إلا أجزاء الحد التي هي الأجناس والفصول . ويلزم من هذا محالات :
منها أن كل جزء من الجسم يقبل القسمة أيضاً بالقوة فهو لا غير متناه ، فيجب أن تكون
الأجناس والفصول بالقوة غير متناهية ؛ وقد صرح أن الأجناس والفصول الذاتية للشيء
الواحد ليست في القوة غير متناهية . ولأنه ليس يمكن أن يكون توهم القسمة بقدر الجنس
١١ والفصل ، بل بما لا شك فيه أنه إذا كان هناك جنس ومصل يستحقان تمييزاً في المحل ،

(١) فرضنا : فرضنا ج ، هـ .

(٢) من جهة المقدار : من جهة الزيادة في المقادير ، هـ .

(٣) لهذا : هو هـ || لكتبيها : كتبيها هـ .

(٤) ليس معنى : ساطعة من هـ ؛ معنى ليس ج ، هـ .

(٥) بالقوة : في القوة هـ ، هـ || بالقوة فهو لا غير متناه : ساطعة من هـ .

(٦) أن يكون : ساطعة من هـ .

(٧) والفصل : جهة تمييزاً بينهما هـ .

أن ذلك التمييز لا يتوقف على 'توهم' القسمة ، فوجب أن تكون الأجناسُ والفصولُ أيضاً بال فعل غير متناهية ؛ وقد صحَّ أن الأجناسَ والتصولَ وأجزاء الحدِّ قسماً الواحد متناهية من كل وجه . ولو كانت غير متناهية بالفعل هـ هنا ، لكانت توجب أن الجسم الواحد يُفصل بأجزاء غير متناهية .

- وأيضاً لفك القسمة رقت من جهة ، وأفرزت من جانبٍ جسماً ، ومن جانبٍ فصلاً ، فهو غيرنا القسمة لكان يقع منها في جانبٍ نصف جس ونصف فصل ؛ أو كان يقلب [الجنس إلى مكان الفصل ، والفصل إلى مكان الجنس] فكان فرضنا الوهمي بدور مقام الجنس والفصل فيه . على أن ذلك أيضاً لا يُبنى ، فإنه يمكن أن يقع قسماً في قسم .

- وأيضاً ليس كل مقول يمكن أن يقسم إلى مقولات أبسط منه ، فإن هـ هنا مقولات هي أسط المقولات ، ومبادئ التركيب في سائر المقولات ، وليس لها أحسن ولا فصول ، ولا هي منقسمة في السكم ، ولا هي منقسمة في المعى . فإذن ليس يمكن أن تكون الأجزاء المتوهمه فيه جزءاً متشابهة كـ وكل واحد منها هو غير معنى الكل ؛ وإنما يحصل الكل بالاجتماع . فإذا كان ليس يمكن أن تنقسم الصورة للمقولة ، ولا أن تُحل

(١) على : إلى ج ، هـ .

(٢) وأجزاء الحد : والحد هـ .

(٣) جاعداً لكانت : لما كان يجوز أن يمنع في الجسم شيئاً على هذه الصورة لإذ ذلك هـ || أن : + يكون هـ .

(٤) يوصل : الفصل ج ، هـ .

(٥) رقت : وقع هـ || وأفرزت : فأفرزت ج ؟ وأورد هـ ؟ فأفرز هـ .

(٦) الجنس ... الجنس : زيادة في هـ .

(٨) فيه : + وكان غير كل واحد منها إلى جهة هـ بحسب إرادة من يدين خارج هـ .

(٩) التركيب : + ليست ج .

(١٠) وكل : كل هـ ، س || هو غير : وهو في هـ .

(١١) الشكل : الشكل هـ || هذا : فإن هـ || الصورة للمقولة : صورة مقولة ج .

طرفاً من المقادير غير منقسم ، فبيّن أن محلّ المقولات جوهر ليس بجسم ، ولا أيضاً قوة في جسم ، فلهذه ما يلحق الجسم من الاقسام ، ثم يتبعه سائر الحالات .

ولنا أن نبرهن على هذا ببرهان آخر ، فنقول :

إنّ القوة العقلية هي التي تجرد المقولات من الحكم المحدود والأين والوضع وسائر ما قبل ، فيجب أن ننظر في ذات هذه الصورة المجردة عن الوضع كيف هي مجردة عنه ، إما بالقياس إلى الشيء للأحوذ منه أو بالقياس إلى الشيء الآخذ ، أهى أن هذه الذات المقولة متجردة عن الوضع في الوجود الخارجى ، أو هي موجود للتصور في الجوهر العاقل ، ومحال أن تكون كذلك في الوجود الخارجى ، فبقي أن تكون إنما هي معارضة للوضع والأين عند وجودها في العقل . فإذا إذا وجدت في العقل ، لم تكن ذات وضع ، وبمبحث تقع إليها ١٠ إشارة تمحيز ، أى اقسام أو شيء ، أشبه هذا لمسى ، فلا يمكن أن تكون في جسم .

وأيضاً إذا انطلعت الصورة الأحادية الغير ملقمة ، التي هي لأشياء غير منقسمة في النفس ، في مادة ذات جهات ، فلا يمكن أن تكون ولا شيء من أجزائها التي تُفرض

(١) منقسم : + ولا بد لها من قابل لينا به .

(٢) فيلحقه : فيلحقها ج || م : في م || الحالات : نصيب النجاة عرائناً في وسط البحر هو : برهان آخر في البحث المذكور .

(٣) المقولات : الطليات س .

(٤) ما قبل : المقولات ه || إما : سائلة من ج ، م : هل ذلك متجرد به .

(٥) أن : سائلة من ج ، م ، ه .

(٦) متجردة : وكيف متجرد ج : متجرد م ، ه || الجوهر : + وهو ج .

(٧) م : هو م || مفارقة : مطلق ج ، م .

(٨) وجودها : وجوده ج ، م .

(٩) أى : أو ج ، م ، ه .

(١٠) مادة : + منقسمة ه || تكون : لا تكون م || ولا : سائلة من م .

فيها بحسب جهاتها نسبةً إلى الشيء المقول ، «واحد الذات ، الغير للنقسم ، المتجرد من المادة ، أو يكون ذلك لكل واحد من أجزائها التي تفرض ، أو يكون لبعضها دون بعض . فإن لم يكن ولا شيء منها [نسبة] ، فليس ولا لكلها لا محالة نسبة ؛ وإن كان لبعضها نسبة دون بعض ، فالعض الذي لا نسبة له ليس هو من معناه في شيء ؛ وإن كان لكل جزء يفرض نسبة ما ، فلما أن يكون لكل جزء يفرض [نسبة] إلى الذات بأسرها ، أو إلى جزء من الذات . فإن كان لكل جزء يفرض نسبة إلى الذات بأسرها فليست الأجزاء إذن أجزاء الشيء المقول ، بل كل واحد منها مقول في نفسه مفرد . وإن كان كل جزء له نسبة غير الأجزاء الأخرى إلى الذات ، فنصوم أن الذات منقسمة في المقول ، وقد وضعناها غير منقسمة ، هذا حلف . وإن كان نسبة كل واحد إلى شيء من الذات غير ما إليه نسبة الآخر ، فانقسام الذات أظهر .

١٠

ومن هذا يتبين أن الصور المنطوقة في المادة لا تكون إلا أشباحاً لأمواد حركية منقسمة ، ولكل جزء منها نسبة بالقول أو بالقوة إلى جزء منها . وأيضاً فإن الشيء المفكر أيضاً في

(١) إليها : مبه ح ، م س .

(٢) ذلك : تلك ح ، م س .

(٣) الشيء : شيء م || نسبة : زائدة في م .

(٤) نسبة : سالطة من ح ، م س ، هـ .

(٥) نسبة : سالطة من ح ، م س ، هـ . زائدة في م (٦٥) أو . . . بأسرها : سالطة من م .

(٦) نسبة : سالطة من هـ .

(٧) الشيء : معنى ح ، م || بل : فلاسكل م || كل : لاسكل م . مفرد : + بل المقول كما هو

ليكون مقولاً مرات لا نهاية لها بالقول في آن واحد م .

(٨) الأجزاء : سالطة من م ، م س . المقول : القبول م ؛ المقول م .

(٩ ، ١٠) وإن . . . أظهر : سالطة من ح ، م س ، هـ .

(١١) المادة : الخاصة م ، م س .

(١٢) أو بالقوة : وبالقوة م .

أجزاء الحد له من جهة التمام وحدة هويها لا ينقسم ، فثلث الوحدة = بما هي وحدة = كيف
ترسم في المنقسم ؟ وإلا فيعرض أيضاً ما قلناه في غير التفكير أجزاء حده .

وأيضاً فإنه قد صح لنا أن المقولات المروضة التي من شأن القوة الناطقة أن تعقل
بالفعل واحداً واحداً منها غير متناهية بالقوة ، ليس واحداً أولى من الآخر . وقد صح لنا
أن الشيء الذي يقوى على أمور غير متناهية ، القوة لا يجوز أن يكون محله جسماً ، ولا قوة
في جسم ، وقد برهن على هذا في السماع الطبيعي ، فلا يجوز إذن أن تكون الذات القابلة
للمقولات قابعة في جسم أبته ، ولا محلها المكان في جسم ، ولا بجسم .

وقد كان يمكننا أن نزيد هذا ، لكن احتصرنا على ما هو أقرب إلى الأفهام .

(١) فثلث : بذلك س || وحدة : + به ه .

(٢) ترسم : + أيضاً ه || وإلا فيعرض : ساطعة من س أيضاً : ساطعة من ه || لناء :
قلنا ه ، س .

(٣) قد : ساطعة من س || لنا : ساطعة من ه .

(٤) وقد : قد ب ه س || المداينة : المائلة س .

(٥) جسم : الجسم ه || محلها المكان : محلها بكار ه .

(٦) لكننا : لكن س .

الفصل السادس

في بيان أن الشرك يستعين بالبدن وكيف تستعين منه بالضرر

إن القوى الحيوانية تعين النفس الناطقة في أشياء ، منها أن يورد عليه الحس الجزئيات ، فيحدث لها من الجزئيات أمور أربعة :

أحدها : التزام النفس الكلمات المفردة عن الجزئيات على سبيل تحريد لها ، منها من المادة ، وعن علائق المادة وخواصها ، ومراعاة لشرك فيها ولتباين بها ، والذاتي وجوده والعرضي وجوده ، فيحدث للنفس من ذلك مبادئ التصور ، وذلك بمعاونة استعمالها للتخيل والوهم .

والثاني : إيقاع النفس مقاسات بين هذه الكلمات المفردة على مثل سلب أو إيجاب .

فما كان التأليف فيها سلباً أو إيجاباً فأتى بها بنفسه أحده ، وما كان ليس كذلك تركته إلى مصادفة الواسطة .

(٢) في . . . بضررها : في أنها قد تحتاج إلى البدن وقد لا تحتاج ، هـ : العنوان ساقط من ص .
حصل في إمالة القوى الحيوانية للنفس الناطقة به .

(٣) الحس : + احسبات ص .

(٤) الكلمات : الكلمات ج .

(٥) فيها إليه ج || بها : به ج .

(٦) وذلك بمعاونة : عن ج ، هـ || استعمالها : استعماله ج ، ص ، هـ .

(٧) إيجاب : إيجاب ج ، ص || أو إيجاب : وإيجاب ج ، ص .

(٨) ليس : ساقطة من ص || فأتى : ساقطة من ص ، هـ || أحده : أحده ج ، ص ، هـ .

(٩) تركته : تركه ج ، ص ، هـ .

والثالث : تحصيل للتقدمات التجريبية : وهو أن يؤخذ بالحس محمولاً لازم الحكم لموضوع لازم الإيجاب والسلب ، أو مناهياً له ، وبس ذلك في بعض الأحيان دون بعض ، ولا على المساواة ، بل دائماً ، حتى نتمكن النفس بأن طبيعة هذا المحمول أن تكون فيه هذه النسبة إلى هذا الموضوع . وأن طبيعة هذا التالي أن يلزم هذا المقدم أو يتناهي لذاته ، لا بالاتفاق ، فيكون ذلك اعتقاداً حاصل من حس أو قياس . أما الحس فلا محل لمشاهدة ذلك ، وأما القياس فلا أنه لو كان اعتقاداً لما وجد دائماً أو الأكثر . وهذا كالحكم من أن السموات مسطحة للصفراء بطبيعتها ، لإحسان ذلك كثيراً ، أو بقياسنا أنه لو كان لا من الطبع بل من الاتفاق ، لو وجد في بعض الأحيان .

والرابع : الأخبار التي يقع التصديق بها لشدة التواتر .

١٠ فالنفس الإنسانية تستعمل بالبدن لتحصيل هذه للهادي للتصور والتصديق ؛ ثم إذا حصلت راجعت إلى ذاتها . فإن عرض لها عجز من القوى التي دوسها بأن تشغلها به ، شغلها عن فعلها ، وأضرت بفعلها إلا في أمور تحتاج النفس فيها خاصة بأن تصاد القوى الخيالية مرة أخرى لاختصاص مبدئ غير الذي حصل ، أو مطبوعة بإحضار خيال . وهذا يقع في الابتداء

(٢) له : — أو تالياً موجب الاتصال أو مسلوفاً أو مرصوب الصاد أو مسلوفاً غير مناهياً له .

(٣) على : + سبيل هو || لك أن : على أن سـ أ بـ أن يتبين أن من به .

(٤) وأن طبيعة هذا التالي : والتالي سـ عـ .

(٥) أو قياس : وقياس سـ عـ .

(٦) وجد : وجدته سـ || وهذا : ساطعة من هو .

(٧) بأن : أن سـ عـ || بطيئة : بطيئة عـ ، سـ || إحساناً : إحسانه عـ || بقياس : بقياس عـ .

(١٠) فالنفس : والنفس عـ .

(١١) حصلت : حصلت عـ ، سـ || ذاتها : ذاتها عـ ، سـ || فإن عجزاً : فإن عجز عـ ؛ فإن عجزاً عـ

(١٦ ، ١٧) بأن تشغلها به فعلها من فعلها وأضرت بفعلها : بأن تشغلها به عجزها من عجزها وأضرت

بفعلها عـ ، سـ ؛ شاغلة لها بما يليها من الأحوال فعلها من فعلها وأضرت بفعلها سـ .

كثيراً ، ولا يقع بهذه إلا قليلاً .

وأما إذا استكملت النفس وقويت ، فإنها تنفرد بأدائها على الإطلاق ، وتكون القوى الحسية والخيالية وسائر القوى البدنية صارقةً لها عن فعلها ؛ ومثال هذا أن الإنسان قد يحتاج إلى ذاته وآلاته ليتوصل بها إلى مقصده ، فإذا وصل إليه ، ثم عرض من الأسباب ما يحمله عن مفارقتها ، صار السبب الموصول بينه عائقاً .

(١) يمدد : عنده ج .

(٢) البدنية : — غير ج .

(٣) مفارقتها : مفارقتها هـ || عائقاً : مفارقتها هـ .

الفصل السابع

في صفة استغنائه عن البدن

أما البراهين التي أقنأها على أن محل المقولات ، أهي النفس الناطقة ، ليست بجسم ، ولا هي قوة في جسم ، فقد كفتنا مؤونة الاستشهاد على صحة قيام النفس بذاتها مفعلة عن البدن ؛ إلا أننا نستشهد كذلك أيضاً من فصح ، فنقول :

إن القوة العقلية لو كانت تعقل بالآلة الجسدية حتى يكون فعلها إنما يستعمل استعمال تلك الآلة الجسدية ، لكان يجب أن لا تعقل ذاتها وأن لا تعقل الآلة ، وأن لا تعقل أنها عقلت ؛ فإنه ليس بيننا وبين ذاتها آلة ، وليس بينها وبين آلتها آلة ، ولا بينها وبين أنها عقلت آلة ؛ لكنها تعقل ذاتها ، وآلتها التي تدعى آلتها ، وتعقل أنها عقلت ، فلو أن تعقل بذاتها لا آلة .

وأيضاً لا يخفى إنما أن يكون نفسها آلتها لوجود ذات صورة آلتها ، إنما تلك وإما أخرى محالقة لها ، وهي صورتها أيضاً فيها وفي آلتها ، أو لوجود صورة أخرى غير صورة آلتها تلك فيها وفي آلتها . فإن كان لوجود صورة آلتها ، فصورة آلتها في آلتها ، وفيها

(٧) أ . . . البدن : ساطعة من م . . . الكلام في الجاء متصل م سبق .

(٨) (٥ ، ٤) مؤونة . . . البدن : هذه المؤونة م ، م ، هـ (٥) فعلها : + مرة م م ؛ مرة هـ .

(٦) تعقل : ساطعة من م || يستعمل : يستعمل م م م (٦ ، ٧) يستعمل : يستعمل م م .

(٨) وبين ذاتها : وبين تعقل ذاتها م .

(٩) وتعقل أنها : وأنها م ، م .

(١٠) بآلة : بآلة م .

(١١) كان : كانت م ، م ، هـ .

بالشركة دائماً ، فيجب أن تنقل آلتها دائماً التي كانت تنقل لوصول للصورة إليها . وإن كان لوجود صورة غير تلك الصورة ، فإن للذرة بين أشياء تدخل في حدٍّ واحد ، إما لاختلاف المواد والأحوال والأعراض ، وإما لاختلاف ما بين الكلّي والجزئي ، والمجرد عن المادة والوجود في الالة . وليس ها هنا اختلاف موادٍ وأعراض ، فإن المادة واحدة والأعراض واحدة . وليس ها هنا اختلاف الخصوصيّ والمعموم ، لأنّ أحدهما إما يستفيد الجزئية بسبب المادة الجزئية ، والذات التي تلحقها من حية للمادة التي فيها ؛ وهذا المعنى لا يختص بأحدهما دون الآخر . وأما ذات النفس فإنها تُدرك دائماً وجودةً لها لأشياء من الأجسام التي معها وفيها ، ولا يجوز أن يكون لوجود صورة أخرى معقولة غير صورة آلتها ، فإنّ هذا أشدُّ استحالة ، لأنّ الصورة المعقولة إذا حلت الجوهر المائل جملة عاقلاً ، لما تلك للصورة صورته ، أو لما تلك الصورة مضافة إليه ، فتكون صورة المضاف داحلة في هذه الصورة ، وهذه الصورة المعقولة ليست صورة هذه الآلة ، ولا أيضاً صورة شيء مضاف إليها بالذات ، لأنّ ذات هذه الآلة جوهر . ونحن إنما يأخذ ولنسب صورة ذاته ، والجوهر في ذاته غير مصاف البتة .

فهذا برهان عظيم هل أنه لا يجوز أن يُدرك للدرك آلة هي آله في الإدراك . ولهذا كان الحقّ إنما يحس شيئاً خارجاً ، ولا يحس ذاته ، ولا آله ، ولا إحساسه . وكذلك

(١) تنقل آلتها : تنقل آلتها ذاتها .

(٥) والأعراض واحدة : والعرض واحد ، س .

(٩) الجزئية : الجزئية هـ (٩ ، ٧) بسبب الالة عينية : ساقطة من س (٧) دون : هـ س ، ك س

س ، هـ ، هـ .

(٨) وأما ، ، وفيها : ساقطة من س (١) وفيها : رها ج .

(١٠) المائل : القابل س (١) لما ، + في س (١) أو ما : ولا هـ .

(١١) برهان : + بين ج ، هـ (١) آلة هي : س كن هو ج .

(١٥) كان : فإن هـ (١) ولا آله : + ولا إحساسه س ، س .

الحيل لا يتخيل ذاته ، ولا فعله ، ولا آتته . بل إن تخيل آتته تخيلها لا على محو بخصها بأنه لا محالة له دون غيره ، إلا أن يكون الحس يورد عليه صورة آتته لو أمكن ، فيكون حينئذ إنما يحكى خيالاً مأخوفاً من الحس غير مصافٍ عنده إلى شيء ، حتى لو لم يكن ألبته كذلك لم يتخيله .

وأيضاً مما يشهد لنا بهذا ، وقع فيه ، أن القوى الإدراكية بانطباع الصور في الآلات معرض لها من إدامة العمل أن تنكل ، لأجل أن الآلات نكلها إدامة الحركة ، وتفسد مزاجها الذي هو جوهرها وطبيعتها . والأمور القريبة الشاقة الإدراك توهمها ، وربما أفسدتها ، حتى لا تدرك رادها الأصناف منها ، لانغماسها في الإفعال عن الشاق كافي الحس ، فإن المحسوسات الشاقة والمتكررة تضعفه ، وربما أفسدت ، كالضوء القوي للبصر ، والرهج الشديد للسمع . وعند إدراك القوى لا تقوى على إدراك الضيف ، فإن البصر ضوءاً عالياً ، لا يهبط منه ولا عظيمه صوماً صغيلاً ، والسمع صوتاً لا يسمع منه ولا عظيمه صوتاً ضعيفاً . ومن داق الحلاوة للشديدة لا يحس بعدها بالضعيفة .

والأمر في القوة العقلية بالمعكس ، فإن إدراكها لثقل ، وتصورها للأمر الأقوى ، يكسبها قوة وسهولة قبول لما بعدها مما هو أضعف منها ، فإن عرض لها في بعض الأوقات

(١) تخيل : كان يتخيل هـ || تخيلها : تخيله هـ || بخصها : يحمله هـ .

(٢) بأنه : لونه هـ ، هـ || محالة : هل هـ .

(٣) من : من هـ .

(٤) وقع : أو وقع هـ .

(٥) لأجل أن : لأجل هـ .

(٦) حتى : وحتى هـ هـ .

(٧) والمتكررة : المتكررة هـ || أقوى : القوي هـ ؛ ساطعة من هـ هـ .

(٨) صوماً صغيلاً : توراً صغيلاً هـ || صوتاً : صوتاً هـ || ولا عظيمه : وعظيمه هـ .

(٩) لثقل : لثقل هـ ؛ لثقل هـ || الأقوى : أقوى هـ || للأمر الأقوى : للأمر الأقوى هـ .

(١٠) لم يثبت عرض لها : وإن عرض له هـ .

ملال وكلال ، فذلك لاستعانة العقل بالخيال للصقل للآلة التي تكل هي ، فلا تخلم العقل .
ولو كان لغير هذا لكان يقع دائما ، وفي أكثر الأحوال ، والأسر بالصد .

وأیضا فإن البدن تأخذ أجزاءه كلها تضعف لو اها بعد منتهى التشوه والوقوف ، وذلك
دون الأربعين أو عند الأربعين . وهذه القوة إنما تقوى بعد ذلك في أكثر الأسر ؛ ولو
كانت من القوى البدنية لكان يجب دائما وفي كل حال أن تضعف حينئذ . لكن ليس •
يجب ذلك ، إلا في أحوال وموافاة هوائك دون جميع الأحوال ، فليست إذن من القوى
البدنية .

ومن هذه الأشياء يتبين أن كل قوة تترك بآلة ، فلا تترك ذاتها ولا آلتها ولا
إحدا كها ، ويضعفها تضاعف العقل ، ولا تترك الضميف أثر القوى ، والقوى يوهنها ،
وعند ضعف الآلات يضعف فعلها . والقوة الضعيفة بخلاف ذلك كله . ٩٠

وأما الذي يقوم من أن البس تنس [مقولاتها] ، ولا تفعل فعلها مع مرض
البدن ، وعند الشيفوخة ، وأن ذلك لم يجب أن فعلها لا يتم إلا بالبدن ، فظن خير

-
- (١) فلا : ولا ب .
(٢) وفي : في ب ، س || والأسر : الأسر ب .
(٣) البدن : ب الواحد ه .
(٤) القوى : القوة ب || لكان : لكان ج .
(٥) إلا . . . الأحوال : ساقطة من ج ، س ، ه .
(٦) البدنية : في النجاة عنوان : سؤال وشرح عام للإجابة ب .
(٧) (١٠ ، ٨) ومن . . . كله : ساقطة من النجاة .
(٨) ولا آلتها : ساقطة من ب .
(٩) تضاعف : تضاعف س .
(١٠) وعند : عند ج || يصعب : يصعب ج || الطبية : الطبية ب || كله : كلية ب .
(١١) مقولاتها : زيادة في ه || نفس : نفس ب ، ج .
(١٢) وأن : لأن ب ، ج .

ضروري ولا حق . وذلك أنه بعد ما صحَّ له أن النفس تعقل بذاتها يجب أن نطلب المعللة في هذا . فإن كان يمكن أن يجتمع أن لنفس فضلاً بذاتها ، وأنها أيضاً تترك معها مع أمر البدن ولا تفعل من غير تناقض ، فليس لهذا الاعتراض اعتبار ؛ فنقول :

إن النفس لها فعلان : فعل لها بالقياس إلى البدن وهو السياسة ، وفعل لها بالقياس إلى ذاتها وإلى مبادئها ، وهو التعقل ؛ وهما صائدان متان ، فإنها إذا اشتغلت بأحدهما انصرفت عن الآخر ، ويصعب عليها الجمع بين الأمرين . وشواغلها من جهة البدن الإحساس ، والتخيل ، والشهوات ، والغضب والخوف ، والعم والوجع .

وأنت تعلم هذا بأنك إذا أحسست تفكر في القول لتعلم عليك كل شيء من هذه ، إلا أن تغيب أو تفسر النفس بالرجوع إلى جهتها .

وأنت تعلم أن الحس يمنع النفس عن التعقل ، [فإن النفس] إذا أكتبت على الحسوس ، شنت عن القول ، من غير أن يكون أصاب آلة العقل أو ذاتها آفة بوجه . وتعلم أن السبب في ذلك هو اشتغال النفس بعمل دون عقل ؛ فهذا السبب ما تتعطل أفعال العقل عند المرض . ولو كانت الصور المنقولة قد بطلت وفقدت لأجل الآلة ، لكان رجوع

(١) لنا : سالطة من س .

(٢) معاً : — العارض للمفككة له || فإن : فإن ج || مع : مع س .

(٤) النفس لها : النفس له س || فعل لها : فعل له س || وقيل لها : وقيل س .

(٥) ذاتها وإلى مبادئها : ذاته وإلى مبادئه ه || فإنها إذا اشتغلت : فإنه إذا اشتغل ج ، س ، ه .

(٦) انصرفت : انصرفت ج ، س ، ه || عليها : عليه ج ، س ، ه . وشواغلها : وشواغلها ج ، س ، ه .

(٧) والوجع : والوجع س .

(٨) بأنك : أنك ج || القول : مقول ج ، س || عند : عند ج .

(٩) فإن النفس : زيادة من له .

(١٠) شنت عن القول : سالطة من ج ، س ، ه .

(١١) ولو : ولو ج || الصور : الصورة س .

الآلة إلى حالها بخروج إلى اكتساب من الرأس ؛ وليس الأمر كذلك ، فإنه قد تعود النفس عاقلة لجميع ما عقلته بحاله . فقد كانت إذن كلها معها ، إلا أنها كانت مشغولة عنه . وليس اختلاف جهتي فعل النفس فقط يوجب في أصلها التمايز ، بل تكثر أفعال جهتي واحدة قد يوجب هذا معنى ؛ فإن الخوف يمنع من التوجه ، والشهوة تصد عن الغضب ، والغضب يصرف عن الخوف . والسبب في جميع ذلك واحد ، وهو انصراف النفس • بالسكينة إلى أمر واحد . فإذن ليس يجب إذا لم يفعل شيء فعله عند اشتغاله بشيء أن لا يكون فاعلا فعله إلا عند وجود ذلك الشيء .

ولنا أن التوسع في بيان هذا الباب ، إلا أن بوج الكفاية يستب الزيادة إلى تكلف ما يحتاج إليه .

وقد ظهر من أصولنا التي قررناها أن النفس ليست مطبوعة في البدن ، ولا قائمة به ١٠ فيجب أن يكون سبيل اختصاصها به سبيل منقضى هيئته فيها جزئية جاذبة إلى الاشتغال بهاسة هذا البدن الجزئي ، على سبيل رعاية ذاتية مخصصة به .

(١) الرأس : الرأي ج .

(٢) بحاله : بحالها م .

(٣) التمايز : التباين هاشم ج || تمكث : يكون م .

(٤) قد : وقد ج || ينقل عن التوجه : يفعل من التوجه م .

(٥) اعتزاله : + بحاله م ، م .

(١٠) أصولنا : أصولها م ؛ أصوله ج || قررناها : قررنا م || به : ساقطة من م .

(١١) الاشتغال : الاستعداد م .

الفصل الثامن

في أن حدوثها مع حدوثها بغير

نقول : إن النفس الإنسانية متعينة في النعم والنعى ، فإن وجدت قبل البدن ، فلما أن تكون متعينة الذوات ، أو تكون ذاتاً واحدة . ومحال أن تكون متعينة الذوات ، ومحال أن تكون ذاتاً واحدة ، هل ما تبين ، فمحال أن تكون قد وجدت قبل البدن .
فنبداً ببيان استحالة تكررها بالعدد ، فنقول :

إن مغايرة النفس - قبل الأبدان - بعضها لبعض ، إما أن يكون من جهة الماهية والصورة ، وإما أن يكون من جهة النسبة إلى المنصر ، وولادة متعينة بالأمكنة التي تشمل كل مادة على جهة الأزمنة التي يختص بكل واحد منها في حدوثها في مادتها ، والعللي القائمة لمادتها ، وليست متغايرة بالماهية والصورة ، لأن صورتها واحدة . فإذاً إنما تتباير من جهة قابلية الماهية ، أو النسب إلى الماهية بالاختصاص ، وهو البدن .
وأما قبل البدن ، فالنفس مجرد ماهية فقط ، فليس يمكن أن تتباير نفساً بالعدد .

(٢) السران صالط من س : إثبات حدوث النفس به .

(٣) النفس : النفس ح .

(٤) القنوت : الذات هـ .

(٥) لفصل : فصل ح ، س || حدوثها : حدوثه س ، هـ || مادتها : مادته ح ، س ، هـ .

(٦) مادتها : مادته ح ، س ، هـ || متغيرة : متغيرة ح .

(٧) للماهية : للماهيات س || وهو : وهذا هو هـ .

واللهية لا تقبل اختلافاً ذاتياً ، وهذا مطلق في كل شيء ، فإن الأشياء التي ذواتها معاني فقط ، فتكثر نوصياتها إنما هو بالحوامل والفواصل والنفصلات عنها ؛ وإذا كانت مجردة أصلاً لم تنفرد بما قلنا ، فمحال أن يكون يسبها منافية وتكاثر . فقد بطل أن تكون الأنفس قبل دخولها الأبدان معكثرة الذات بالعدد .

- وأقول : لا يجوز أن تكون واحدة الذات بالعدد لأنه إذا حصل بدنان ، حصل في البدنين نفسان ؛ فإما أن يكونا في نفس تلك النفس واحدة ، فيكون الشيء الواحد الذي يسبها عظم وحجيم منقسماً بالقوة ، وهذا ظاهر البطلان بالأصول المنقورة في الطيبيات ؛ وإما أن تكون النفس الواحدة بالعدد في بدنين ، وهذا لا يحتاج إلى كثير تكلف في إبطاله .
- فقد صرح إذن أن النفس تحدث كلما يحدث البدن الصالح لاستعمالها إياه ، ويكون البدن الحادث ممسكها وآلتها ، ويكون في جوهر النفس الحادثة مع بدن ما . ذلك البدن استحققه بزراع طبيعي إلى الاشتغال به ، واستعماله ، والاهتمام بأحواله ، والاعتماد إليه ،

- (١) واللهية لا : وأما ما عيه والجهة فلا : وأما ما عيه لا : || ولاعبة ... ذاتياً : سالطة من ه || معان : تنابر ه .
- (٢) فقط : سالطة من ه : سم || فتكثرت : فتكون ه || أصلاً : سالطة من ه (٢ ، ٣) أصلاً ... لنا : سالطة من ه ، سم .
- (٤) الذات : النوات ه .
- (٥) لا : ولا ه || بدنان حصل : بدنان حصلت ه .
- (٦) الواحدة : سالطة من ه ، ه .
- (٧) المنقورة : للقررة ه .
- (٨) النفس الواحدة : الأخص واحدة ه الواحدة : واحدة ه ، سم || يحتاج : + أصلاً ه .
- (٩) إياه : + أو لاستعمالها ه .
- (١٠) مملكتها وآلتها : مملكتها وآله ه ، سم .
- (١١) لمستحقته بزراع طبيعي : الذي يستحق حدوثها من بدني الأولية بزراع طبيعي ه ، ه .
- (٧ - أحوال النفس)

يخصه ويصرفه عن كل الأجسام غيره . فلا بد أنها إذا وجدت متشخصة فإن مبدأ تشخصها يلحق بها من الهيئات ما تتعين به شخصاً ؛ وهذه الهيئات تكون مقتضية لاحتصاصها بذلك البدن ومناسبة لإصلاح أحدهم للآخر [وإن خفي علينا تلك الحال وتلك النسبة] وتكون مبادئ الاستكمال متوقفاً على بوساطته ، وهو بدنها بالطبع لا بوساطته .

• وأما بعد مفارقة البدن فإن الأفس تكون قد وجدت كل واحدة منها ذاتاً مفردة باختلاف موادها التي كانت ، وباختلاف أزمدة حدوثها ، واختلاف هوياتها التي لها بحسب أيدانها الحقيقية لا بحالة بأحوالها .

(١ ، ١) فلا بد ... بوساطته : سألته من ج ، ص (٣) وإن خفي علينا تلك الحال وتلك النسبة : زيادة من به

(٥) واحدة : واحد ج ، ص .

(٦) لها : بها ج .

الفصل الثاني

في بطلانها

أما أنها لا تموت بموت البدن ، فلأن كل شيء يفسد بخلاف شيء آخر ، فهو متعلق به نوعاً من التعلق ؛ وكل متعلق بشيء آخر يوصف من التعلق ، وإما أن يكون تعلقه به تعلق المكافئ في الوجود ، وإما أن يكون نفسه به تعلق المتأخر عنه في الوجود ، وإما أن يكون تعلقه به تعلق المتقدم له في الوجود الذي هو قبله بالذات لا بالزمان .

وإن كان تعلق النفس بالبدن تعلق المكافئ في الوجود ، وذلك أمر ذاتي له لا عارض ، وكل واحد منهما مصاف الذات إلى صاحبه ، فليس لا النفس ولا البدن بغيره ، لكهما جوهران ؛ وإن كان تعلق الأمر عرضياً لا ذاتياً ، فإذا صد أحدهما بطل العارض الآخر من الإضافة ، ولم تجد الذات بضافه .

١٠

وإن كان تعلقه به تعلق متأخر عنه في الوجود فالبدن علة للنفس في الوجود ؛ والعلل أربع ، فإذا أن يكون البدن علة فاعلية للنفس معطية لها الوجود ، وإما أن يكون علة

(١) وكل ... التعلق : ساقطة من هـ .

(٢) بالذات لا بالزمان : في الثالث لا في الرابع ج ، هـ .

(٣) له : ساقطة من هـ .

(٤) وكل : مكمل بـ .

(٥) وإن : وإذا بـ || وإذا : حيث ج ، هـ .

(٦) النفس : النفس بـ .

(٧) البدن : ساقطة من بـ || وإما ... الوجود : ساقطة من هـ .

قابلية لها بسبيل التركيب كالعناصر للأبدان ، أو بسبيل الساطة كالنحاس للصم ؛ وإما أن يكون علةً صوريةً ؛ وإما أن يكون علةً كائنية . ومحال أن يكون علةً فاعية ، فإن الجسم - بما هو جسم - لا يفعل شيئاً ، وإنما يفعل بقوة ؛ ولو كان يفعل لكانه لا بقوة ، لكان كل جسم يفعل ذلك للفعل . ثم القوى الجسمية كلها إما أراض ، وإما صور مادية ، ومحال أن تفيد الأراض أو الصور القديمة بالمواد ووجود ذات فاعية بنفسها لا في مادة ، ووجود جوهري مطلق ؛ ومحال أيضاً أن تكون علةً قابلية .

١٠ فقد بينا وبرهنا أن النفس ليست منطبعة في البدن بوجه من الوجود ، فلا يكون إذن البدن معصوماً بصورة النفس لا بحسب الساطة ولا على [سبيل] التركيب ، بأن يكون جزءاً من أجزاء النفس بتركيب وبتخرج تركيبها ، ومزاجاً لها ، فتطبع فيه النفس . ومحال أن يكون علةً صوريةً للنفس ، أو كائنية ؛ فإن الأولى أن يكون الأمر بالعكس . فإذا ليس تعلق النفس بالبدن تسبقاً لمطلوب علةً فاعية . نعم البدن والمزاج علة بالعرض للنفس ، فإنه إذا حدثت نفس يصلح أن يكون آلة النفس ، وملكها لها ، أحداثت السبل للنفارة النفس الجزئية ، أو حدثت عنها تلك ، فإن إحداثها بلا سبب يخصص لإحداث واحد دون واحد ، ويمنع من وقوع تلك كثرة فيها بالعدد ، لما قد بيناه . ولأنه لا بد لكل كائن بعد أن لم يكن من أن تضمه مادة يكون فيها هيئته قبله ، أو هيئته

(٢) بما : ما ج || يتوله : بقوة ج .

(٤) الفعل : ساطة من هـ .

(٧) لقد بينا وبرهنا : لقد برهنا على استحالة هذا وبها س .

(٨) صورة : تصور س || سويل : زيادة من هـ .

(٩) النفس : البدن هـ || يتركب : النفس : يحدث النفس ج ، س .

(١٢) بدن : اتبعن هـ || لها : له ج ، س ، هـ .

(١٣) النفس : نفس ج ، س || حدثت عنها تلك : حدثت عنها ذلك هـ .

(١٥) بعد أن : بعد ما ج || لهجة : نسبة س .

إليه ، كما تبين في العلوم الأخرى . ولأنه لو كان يجوز أيضاً أن تكون نفس جزئية تحدث ، ولم يحدث لها آلة بها تستكمل وتتم ، لكانت معطلة الوجود ؛ ولا شيء معطل في الطبيعة . ولكن إذا حدث التمييز للنسبة والامتداد بآلة ، يلزم حينئذ أن يحدث من العلل المفارقة شيء هو النفس . وليس إذا وحب حدوث شيء من حدوث شيء ، وجب أن يمتل مع بطلانه ؛ إما يكون ذلك إذا كانت ذات الشيء قائمة بذلك الشيء وفيه .

وقد تحدث أمور من أمور ، وتبطل تلك الأمور ، وتبين تلك الأمور إذا كانت ذاتها غير قائمة فيها ، وخصوصاً إذا كان مفيد الوجود لها شيء آخر غير الذي إيمانها أفاده وجودها مع وجوده . ومفيد وجود النفس شيء غير جسم ، كما بينا ، ولا قوة في جسم ، بل هو لا محالة جوهر أيضاً غير جسم . فإذا كان وجوده من ذلك الشيء ومن البدن يحصل وقت استحقاقه لوجوده قطع ، فليس له تعلق في نفس الوجود بالبدن ، ولا البدن حلة له إلا بالرض ، فلا يجوز إذن أن يقال إن التعلق بينهما على نحو وجب أن يكون الجسم متقدماً تقدم العلية بالذات على النفس .

وأما القسم الثالث مما ذكرنا في الأبدان ، وهو أن يكون تعلق النفس بالجسم تعلقاً متقدماً في الوجود ، إما أن يكون التقدم مع ذلك زمانياً ، فيستحيل أن يتصل

(١) الأخرى : الأخرى ع ؛ الآخر ه ؛ ولأنه : ولأنه ع .

(٢) وجب : ساقطة من ه .

(٣) مع بطلانه : بطلانه ه ؛ كانت : كان ه .

(٤) من : غير ع ؛ ذاتها : ذاتها ع ، ه .

(٥) إنما : إنما ع ؛ وجودها : وجوده ه ، ه .

(٦) ولا قوة : ولا قوة ع .

(٧) أيضاً : آخر ه .

(٨ ، ٩) متقدماً : تقدم العلية بالذات : متقدم ه ؛ (١٠) العلية بالذات : ذات ع .

(١١) ممكن : ساقطة من ه .

(١٢) التعلق : التعلق ه ؛ أن يمتل : عليه تعلق ه .

وجوده به ، وقد تقدمه في الزمان ؛ وإما أن يكون التقدم في الذات لا في الزمان ، لأنه في الزمان لا يفارقه . وهذا النحو من التقدم هو أن تكون الذات متقدمة كلها توجد يلزم أن يستفاد عنها ذات المتأخر في الوجود ، وحينئذ لا يوجد أيضا هذا التقدم في الوجود ، إذا فرض التأخر قد عُد ، لا أن فرض عدم التأخر أوجب عدم التقدم ، ولكن لأن التأخر لا يجوز أن يكون عُد إلا وقد عرض أولا باطبع للتقدم ما أعنيته ، حينئذ عدم المتأخر .

فليس فرض عدم التأخر يوجب عدم التقدم ؛ ولكن فرض عدم التقدم نفسه ، لأنه إما الفرض للتأخر مقدوما ، بعد أن عرض للتقدم أن عُد في نفسه . وإذا كان كذلك فيجب أن يكون السبب للتقدم يمرض في جوهر النفس فيفسد معه البدن ، وأن لا يكون البدن ألبته يفسد بسبب محضه ، لكن فساد البدن يكون بسبب يحصه من تغير المزاج أو التركيب . فياظر أن تكون النفس تتعلق بالبدن تعلق للتقدم بالذات ، ثم يفسد البدن ألبته بسبب في نفسه . فليس إذن بينهما هذا التعلق .

فإذا كان الأمر على هذا ، فقد بطلت الحجة المتعلق كلها ، ويبقى أن لا تعلق للنفس في الوجود بالبدن ، بل تعلقه في الوجود بالمبادئ الأخر التي لا تسهيل ولا تعطل .

(٢) التقدم : للتقدم ج || كما : كما ج ، س || لز : + غير ج .

(٣) وحقيقته : حينئذ ج || أمسا : ساطعة من س || تقدم : التقدم س .

(٤) عدم للتقدم : عدم هذا التقدم س .

(٥) عدم : عسا ج .

(٦) نفسه : بنفسه س .

(٨) للتقدم : التقدم : س ، س ؛ التقدم س .

(٩) يكون : ساطعة من ج ، س ، س .

(١٠) يفسد : + المزاج ج .

(١١) بسبب في نفسه : ساطعة من ج ، س .

(١٢) فإذا : وإذا ج ، س || بطل : بطلت س .

وأقول أيضا : إن شيئا آخر لا يدم النفس أبنة ؛ وذلك أن كل شيء من شأنه أن يفسد بسبب ما فيه قوة أن يفسد ، وقبل الفساد فيه فعل أن يبقى . ومحال أن يكون من جهة واحدة وفي شيء واحد قوة أن يفسد وفعل أن يبقى ، بل هيئة الفساد ليس بفعله أن يبقى ؛ فإن معنى القوة مغاير لمعنى الفعل ، وإضافة هذه القوة مغايرة لإضافة هذا للفعل ، لأن إضافة ذلك إلى الفساد ، وإضافة هذا إلى البقاء ؛ فإذا لأمرين مختلفين في الشيء يوجد هذان المعنيان ، فنقول : إن الأشياء مركبة والأشياء البسيطة التي هي قائمة في المركبة ، يجوز أن يجتمع فيها فعل أن يبقى ، وقوة أن يفسد ؛ وفي الأشياء البسيطة للفارقة الثبات ، فلا يجوز أن يجتمع هذان الأمران .

وأقول بوجه مطلق : إنه لا يجوز أن يجتمع في شيء أحدهما هذان المعنيان ؛ وذلك لأن كل شيء يبقى وله قوة أن يفسد ، فله أيضا قوة أن يبقى ، لأن عدمه ليس بواجب ضروري . وإذا لم يكن واجبا كان ممكنا ؛ والإمكان هو طبيعة القوة ؛ فإذا يكون له في جوهره قوة أن يبقى ، وفعل أن يبقى لا محالة ليس هو قوة أن يبقى منه ؛ وهذا بين . فيكون إذن فعل أن يبقى منه أمرا يمرض الشيء ، وله قوة أن يبقى منه . فتلك القوة لا تكون لذات ما بالفعل ، بل للشيء الذي يمرض بذاته أن يبقى بالفعل ، لا بوجود ذاته ،

(١) هيئا : سببا ، س .

(٢) للبه : فيه ، س ، س .

(٣) واحدة : سالطة من س .

(٤) يفسد : يفسد ، س || فإن : فإذا ، ع .

(٥) وأقول : لأقول ، ع .

(٦) له : له ، ع .

(٧) أمرا : أمرا ، ع .

(٨) لذاته : له ، ع ، س .

فيلزم من هذا أن تكون ذاته مركبة من شيء ، إذا [وحده] كان به ذاته موجودا بالفعل ، وهو الصورة في كل شيء ، وعن شيء حصل له هذا الفعل ، وفي طابعه قوته ، وهو مادته . فإن كانت النفس بسيطة مطلقاً لم تنقسم إلى مادة وصورة ، وإن كانت مركبة ، فلتترك المركب ولتنظر في الجوهر الذي هو مادته ، وتُصرف القول إلى نفس مادته ، ولتتكلم فيها ، فنقول :

إن تلك المادة إما أن تنقسم هكذا دائماً ، ويثبت الكلام دائماً ، وهذا محال . وإما أن لا يوطأ الشيء الذي هو الجوهر والسنخ ، وكلامنا في هذا الشيء الذي هو السنخ والأصل ، لا في شيء مجتمع منه ومن شيء آخر . مِمَّنْ أن كل شيء هو بسيط غير مركب أو هو أصل مركب وسنخه ، فهو غير مجتمع فيه فعل أن يبقى وقوة أن يفسد بالقياس إلى ذاته . فإن كانت فيه قوة أن يفسد ، فمحال أن يكون فيه فعل أن يبقى ، وإذا كان فيه فعل أن يبقى وأن يوجد ، فليس فيه قوة أن يفسد . مِمَّنْ إذن أن جوهر النفس ليس به قوة أن يفسد .

وأما المسكنات التي تفسد ، فإن المقادير منها هو المركب المجتمع ؛ وقوة أن يفسد وأن يبقى ليس في الشيء الذي به المركب واحد بل في المادة التي هي بالقوة قابلة لكلا الضدين ؛

(١) وجد له ؛ زائدة في به || موجوداً ؛ موجودة ج .

(٢) وصورة ؛ — لم يقل المقادير .

(٣) لنقول ؛ ونقول ب . ج .

(٤) الشيء الذي هو ؛ ساقطة من ج .

(٥) مجتمع ؛ جمع ج .

(٦) يفسد ؛ يفسد ج || فإن ؛ إذا ج .

(٧) يفسد ؛ يفسد ب . ج .

(٨) وأن ؛ وقوة أن ج .

(٩) هي ؛ مدحة ج .

فليس إذن في الفاسد للركب لا قوة أن يبقى ، ولا قوة أن يفسد ، فلم يحتمل فيه .

وأما المادة فإنما أن تكون باقية لا بقوة تستمد بها البقاء ، كما ظن قوم^١ ؛ وإنما أن تكون باقية بقوة بها تبقى ، وليس لها قوة أن تفسد ، بل قوة أن تفسد شيء آخر فيها يحدث . والبسائط التي في المادة فإن قوة فسادها هي في لادة لا في جوهرها . والبرهان الذي يوجب أن كل^٢ كائن فاسد من جهة تنامي قوت^٣ البقاء والبطلان ، إنما يوجب فيما كونه من مادة • وصورة ؛ ويكون في المادة قوة أن تبقى فيه هذه الصورة ، وقوة أن تفسد هي فيه معاً . فقد بان إذن أن النفس أليقة لا تفسد . وإلى هذا سقنا كلامنا ؛ والله الموفق .

١ (٢) ظن : ظنوا به .

٢ (٤) في المادة : المادة .

٣ (٥) كائن : سائلة من هو [يتلوه] : التالي من [قوت] : قوا .

(٦) أت يبقى : وأن يبقى من [لا تفسد] : تفسد .

(٨) والله الموفق : سائلة من س ، به .

الفصل العاشر

في إبطال الشناخ

قد أوضحنا أن النفس إنما حدثت وتكثرت مع تهيؤ الأبدان ؛ على أن تهيؤ الأبدان
يوجب أن يفيض وجود النفس لها من الملل للقدرة لها ، وظهر من ذلك أن هذا يكون لا على
سبيل الاتفاق والبهت ، حتى يكون ليس وجود النفس الحادثة لاستحقاق هذا المزاج
نفساً مدبرة حادثة ، ولكن كانت بوجود نفس واتفق أن يكون وجد معها بدن ، فحينئذ
لا يكون لتكثرة ذاتية ألبتة ، بل مرضية . وقد عرفنا أن العمل الفاتية هي أولاً ، ثم
المرضية . فإذا كان كذلك فكل بدن يستحق مع حدوث مزاجه حدوث نفس له ، وليس
بدن يستحقه وبدن لا يستحقه ، إذ أشخاص الأنواع لا تختلف في الأمور التي بها تتقوم .
فإذا فرضنا أن نفساً تأسخها أبدان ، وكل بدن فيه بذاته يستحق نفساً تحدث له ، وتصلق
به ، فيكون البدن الواحد فيه يتصلق بها . ثم العلاقة بين النفس والبدن ليس هي على سبيل
الانطباع فيه - كما قلنا - بل علاقة الاشتغال به حتى تشر النفس بذلك البدن ، وينفصل

(٢) في إبطال الشناخ : ساطع من س .

(٣) النفس : الأنا ، هـ || وتكثرت : وتكررت ب .

(٤) يوجب : موجب ج ، س || يفيض : يفيض س ، هـ || لها : بها س || أن : بأن هـ .

(٦) مدبرة : تدبره س || يكون وجد معها : وجد معها ب ، س ، هـ .

(٧) الفاتية : ساطعة من س .

(٨) فإذا : وإذا ب .

(٩) يستحقه : ساطعة من ج ، هـ .

(١١) البدن : البدن ج || فيه : ساطعة من ج || هي : هو ج ، س .

البدن من تلك النفس . وكل حيوان فإنه يستثمر نفسه فمما واحدة هي المصرفة
والدبرة . فإن كان هناك نفس أخرى لا يشعر الحيوان بها ، ولا هي بنفسها ، ولا تشغل
بالبدن ، فليس لها علاقة مع البدن ، لأن العلاقة لم تكن إلا بهذا النحو ، فلا يكون تناسخ
بوجه من الوجوه .

• وبهذا المقدار لمن أراد الاختصار كفاية ، سد أن فيه كلاماً طويلاً ؛ والله أعلم .

(١) المصرفة : المصرفة ب ، م .

(٢) والدبرة : والدبرة ج || ولا هي بنفسها : فلا هو نفسه ج ؛ ولا هو بنفسه م .

(٣) لها : له م .

(٤) والله أعلم : ساقطة من ب ، م ، هـ .

الفصل الحادى عشر

في أن جميع قواها بنفس واحدة

قد ظهر من لمباحث النفسانية التي آثرنا أن لا نطول بها الرسالة أن القوى النفسانية كلها من مبدأ واحد في البدن . وهذا الرأي هدف من الفيلسوف رأى الإلهي أفلاطون ، وفيه موضع شك ، وهو أن بعد القوى النهائية تكون في النهايات ولا نفس حساسة ولا نفس نامقة ؛ ويكونان معاً في الحيوان ، ولا نفس نامقة ، فإذا كل واحد منهما قوة أخرى غير متعلقة بالآخر . والتي يجب أن يُعرف حق يتعمل به هذا الشك ، أن الأجسام المنصرية ينمها صرفية التصاد من قبول الحياة . وكلما أمست في عدم صرف التصاد ، ورَدَّته إلى التوسط الذي لا غنى له ، سقطت تحرب إلى شبه الأجسام المتساوية ، فتستحق

(٢) في . . . واحدة : في أن جميع أنواع النفس واحدة ؛ : السوان ساقط من س ؛ فصل في واحد النفس له .

(٣) قد : ولد س || ظهر : يظهر ح ، ه || من : في س ، ه || بها : لها س .

(١) من : من س ، ح .

(٥) هناك : هـ وهو أن هذا النفس من مكتوب شجرة بين الفصل العاشر والحادى عشر من هذه الرسالة . قلل إن النفس ذات واحدة ولها قوى كثيرة [ثم قلت لخطوطة س للوجود في النجاة من س ٣١٠ إلى س ٣١٣] س .

(٦) ويكونان . . . نامقة : ساقطة من ح ، س ، ه || كل واحد منها : لكل واحد منها ح ؛ كل واحد منها س .

(٧) يجب : هـ علينا ه || هذا العقل : ساقطة من س .

(٨) وكذا : فسكها ح ، س .

(٩) تحرب : تصرف س ، ح .

بذلك القدر لقبول قوى محبة من الجوهر الفارق القدير . ثم إذا ازدادت قرباً من الوسط
ازدادت قبولاً حياً ، حتى تبلغ الغاية التي لا يمكن أن يكون أقرب منها إلى الوسط ،
وأهدم للطرفين المتضادين ، فضل جوهراً مقرب الشبه من وجهه للجوهر الفارق ، كما
قبله الجواهر الساوية ، فيكون حينئذ ما كان يحدث فيه قبل وجوده ، يحدث فيه من
هذا الجوهر .

- ومثل هذا في الطبيعيات أن تتوهم مكان الجوهر الفارق ناراً ، بل شمساً ، ومكان
البدن جبرماً يفاثر عن النار ؛ وليكن كوةً ما ، وليكن مكان النفس النباتية نسخينها
لياء ، ومكان النفس الحيوانية إنارتها له ، ومكان النفس الإنسانية إشعاعها فيه ناراً . فنقول :
إن ذلك الحرم التأثير كالكوة ، إن كان ليس وضعاً من ذلك للتأثير فيه وضعاً يقبل
إضاءته ، وإيرته ، ويشتمل شيء فيه عنه ، ولكنه وضعاً يقبل نسخته ، لم يقبل غير ذلك .
فإن كان وضعاً وضعاً يقبل نسخته ، ومع ذلك فهو مكشوف له ، أو مستشف ، أو على
نسبة إليه يستدير عنه استقارة قوية ، فإنه يسخن عنه ويضيء بها ، فيكون الضوء الواقع
فيه منه هو مبدأ أبصاً مع ذلك الفارق لتسخينه . فإن الشئ إنما يسخن بالشعاع . ثم إن

- (١) لقبول : وقبول .
(٢) مغلوب : مغلوب .
(٣) قبله الجواهر : لجواهر .
(٤) ومثل : مثاله . || في : ساطعة من . || أن تتوهم : تتوهم .
(٥) كوة : كوة . كوة : كوة .
(٦) لياء : لياء . || له : فيها . || إشعاعها : إشعاعها . || فيه : منها .
(٧) الحرم : الجسم . || كالكوة : كوة .
(٨) فيه : منه . || ولكنه : ولكن .
(٩) لأن : لأن . || ومع : ومع . || فهو : ساطعة من . (١١ ، ١٢) أو على نسبة :
بنسبة . (١٣) فيكون : فيكون .
(١٤) فيه : عنه . || لتسخينه : لتسخينه . || بالشعاع : بالشعاع .

كان الاستعداد أشد ، وهناك ما من شأنه أن يشتعل عن المؤثر الذي من شأنه أن يحرق بقوة أو شعاعه ، اشتعل فأحدثت الشعلة جرمًا شبيهًا بالمفارق من وجه . ثم تلك الشعلة أيضًا تكون مع المفارق هيئةً للتقوير والتسخين معًا . ومع هذا فقد صحت أن يوجد التسخين وحده ، أو التسخين والتقوير وحدهما ، وليس للتأخر منهما مبدأ يقهض عنه المتقدم ، وكان إذا اجتمعت الجملتان يصير حينئذ كل ما فُرض متأخرًا مبدأً أيضًا للتقدم ، وفائضًا عنه للتقدم .

فهيكذا فيتمصور في القوى النفسية ؛ والله موفق .

(٢) أو شعاعه ؛ وشعاعه هـ || فأحدثت : أحدثت هـ .

(٣) معاً ؛ + ولو جيت وحدهما لاستمر التسخين والتقوير هـ .

(٤) يقهض : يقهض ج هـ .

(٥) اجتمعت : جمت ج هـ .

(٦) والله الموفق : ساقطة من ج ؛ والله الموفق هـ .

الفصل الثاني عشر

في مخرج العقول من النفس

قد صح لنا أن وجود النفس مع البدن ، ليس حدوثاً من جسم ، بل من جوهر هو صورة غير جسمية ، فنقول :

- إن القوة النظرية فيه أيضاً تخرج من القوة إلى الفعل بإدارة جوهر هذا شأنه عليه ؛ وذلك لأن الشيء لا يخرج من ذاته إلى الفعل إلا شيء يفعله الفعل ؛ وهذا الفعل الذي يفعله هو صور المقولات ، فإن هذا شيء يفعله النفس ، ويطلع فيها من جوهره صور المقولات ، فذات هذا الشيء لا محالة عند صور المقولات ، وهذا الشيء إذن بذاته عقل . ولو كان بالقوة عقلاً ، لامتد الأمر إلى غير نهاية ، وهذا محال ؛ أو وقف عند شيء هو جوهره عقل ، وكان هو السبب لكل ما هو بالقوة عقل في أن يصير بالفعل عقلاً ، فكان يكنى وحده سبباً لإخراج القول من القوة إلى الفعل . وهذا الشيء يسمى بالقياس إلى القول التي بالقوة ، وتخرج منه إلى الفعل ، عقلاً محلاً ، كما يسمى العقل المهيولاني بالقياس إليه عقلاً متفعلاً ، ويسمى العقل السكاني لما بهما عقلاً مستفاداً .

(٢) في ... العقل : ساقطة من م ، أصل في الاستدلال بأحوال النفس الساقطة على وجود العقل الفعال وشرحه بوجه ما ذكره .

(٦) يفعله : يفعله ج .

(٧) فيها : فيه م ، جوهره : جوهر م ، ج .

(٨) لذات ... المقولات : ساقطة من م .

(٩) لامتد : لا يمتد ج || الأمر : + فيه م .

(١٠) لكل م ، ما م || فكان : وكان م || يكنى : ساقطة من م .

(١٢ ، ١٣) العقل ... متفعلاً : ساقطة من م .

ونسبة هذا الشيء إلى أنفسنا ، التي هي بالقوة عقل ، وإلى المعنويات التي هي بالقوة
معنويات ، نسبة الشمس إلى أبصارنا التي هي بالقوة رائية ، وإلى الألوان التي هي بالقوة
مرئية ، فإنها إذا اتصل أثرها بالمرئيات بالقوة ، وذلك الأثر هو الشاع ، عادت مرئيات
بالفعل ، وعاد البصر رائيا بالفعل . فكذلك هذا العقل الفعّال تفويض منه قوة تسبح إلى
الأشياء المعنوية ، التي هي بالقوة معنوية ، فحسبها معنوية بالفعل ، وتحمل العقل بالقوة
عقلا بالفعل ، وكما أن الشمس بذاتها مبصرة ، وسبب الإبصارنا أثر ما تبصر ، فكذلك
هذا الجوهر هو بذاته معقول ، وسبب أن يحصل سائر المعنويات التي هي بالقوة معنوية
بالفعل . لكن الشيء الذي هو بذاته معقول ، هو بذاته عقل ، فإن الشيء الذي هو بذاته
معقول ، هو الصورة المجردة عن المادة ، وخصوصا إذا كانت معرفة بذاتها لا غيرها ؛ وهذا
الشيء هو العقل بالفعل أيضا ، إذن هذا الشيء معقول بذاته أبدأ بالفعل ، وعقل بالفعل .

لكن ليس كل ما هو مبصر بذاته فهو مبصر بذاته ، أو بصير بذاته ؛ لأن للبصر بذاته هو
الذي ينزع آخر غيره هو البصر صورته ، فنقطع بها لا بوسط . والبصير بذاته هو الذي ينزع
صورة غيره فنقطع به . لهذا لم يستقم أن تكون الشمس متشابهة للعقل الفعّال من هذه
الجهة ، وليس كل شيئين يتشابهان في جهة يتشابهان في كل جهة .

ويجب أن نعرف أن هذا الجوهر الذي هو العقل ، هو جوهر مجرد عن المادة بالذات ،

(٧) أبصارنا : الإبصار (٣ ، ٤) رائية ... وذلك : سالطس س (٣) إذا : — صح أن هـ .

(٤) قوة : سالطة من س .

(٦) مبصرة : مبصر هـ || الإبصار : الإبصار س [لكنك : ككك هـ .

(٧) هي : سالطة من هـ .

(١١) بذاته : — أو بصير بذاته هـ || فهو : هو س || بصير : بصير س .

(١٢) البصر : البصر هـ || فيقطع : فيقطع س || لا بوسط : ليس لا بواسطة هـ || والبصير :

والبصير س .

(١٣) به : بها س هـ .

وبالعلاقة العقلية ، ومن كل جهة ، وأنه ليس هو وحده بهذه الصفة ، بل ذوات أخرى كثيرة أهل منه تشاركه في أن كل واحد منها جوهر عقلي مفارق للمادة أصلاً ، وتخالفه في أن كل واحد منها نوع على حدة . وهذه الأشياء كثيرة بحسب كثرة العوالم العالية والكرات السماوية ، وأن أهلها علة لوجود ما دونه ، ولوجود العالم الذي هو له كهذا العقل الفعّال لعالمنا ، أهني أن تلك العوالم حسيّة ، وأحس عاقلة ، يتشبه كل واحد من أنفسها بواحد من هذه البريئة من المادة ، ويستكن به ، ويتشبه به - ومع ذلك فالأسفل لا يصدر عن الأعلى ، ولا يحجب عنه . والمقولات مكتشفة ، ليس هناك ستر بوجه من الوجود - وأن علة عالم عالم ، وفلك فلك ، ونفس نفس ، لعالم واحد واحد من هذه ، وأن علة الكل وموجدّه هو المبدأ الأول الواحد لكل حق .

فهذه إشارة إلى ما ينفذ تصويره في هذا الموضع ، وإن كان التصديق به غير مأتأر ١٠ .
محقق (إلا) بالصناعة الإلهية .

-
- (١) العقلية : العقلية س || بل : ذوات س ، س .
(٢) والكرات : وبكثرة الكرات ه || لدى : إلهاء من هنا توجد صفيحتان في مخطوطة ج [أحد الثالث] مخطوستان .
(٣) يتشبه : يقبه س .
(٤) وأن : لأن ه || واحد : ساطعة من س ، ح .
(٥) حق : ثلثي جهة س ، ه .
(٦) يطلع : يطلع س .
(٧) متعلق : متعلق ه .

الفصل الثالث عشر

في إثبات النبوة

ليس يمكننا في تعلم العلوم كلها أن نحرز من مصادرة على مقدمات تنهين في علوم أخرى ؛ فإن مبادئ العلوم ، وخصوصاً الحزنية ، تتصرف إما من علوم جزئية غيرها ، أو من العلم الكلي الذي يسمى فلسفة أولى ؛ فليس يمكن أن يُبرهن على مبادئ العلوم من العلوم نفسها . فليس لنا ها هنا أن كل معلول فيجب أن يتلزم من علته حتى يوجد ؛ وما دام يمكن الوجود عنها بعد ، فليس يوجد . وأن الحركة السماوية احتمارية ، وأن الحركة الاحتمالية لا تلزم إلا من اختيار بالغ موجب للفعل . وأن الاختيار للأمر الكلي لا يوجب أمراً جزئياً ؛ وأنه إما يلزم الأمر الحزني منه من اختيار جزئي يحميه منه . وأن الحركات التي توجد بالفعل هي كلها حزنية ، فيجب أن كانت احتمالية أن تكون من اختيار جزئي ، فيجب أن يكون الحرك لها مثيراً حزنيته ، ولا يكون البتة عفلاً صرفاً ، بل يكون نفساً قد تستعمل آلة جسمية ، تدرك أموراً حزنية إدراكاً إما أن يكون محملاً عليها هو

(٢) في إثبات النبوة : ساطعة من م .

(٣) علم : ساطعة من م || تئين : ستنين م .

(٤ ، ٥) وخصوصاً ... العلوم : ساطعة من م .

(٦) إما من : أمم م .

(٧) عنها : عنه م .

(١٠) تكون من : تكوت هي م م .

(١٢) لد : ساطعة من م .

أرفع من التخيل ؛ وقد بيناه . فيظاهر من تسليم هذه أن الحركات السبائية يحرك كل واحد منها جوهره نفساني يتقل الجزئيات على النحو من التقل الذي يحصها ، وترسم فيه صورها وصور الحركات التي يختارها كل واحد منها ويجزئها ، حتى تكون الحركات متحدة فيها دائماً ، حتى تتحد الحركات ، ويكون متصوفاً لا محقة حينئذ النيات التي تؤدي إليها الحركات في هذا العالم ، ويتصور هذا العالم أيضاً بتفصيله وتلخيصه والأجزاء التي فيه ■ لا يترتب منها شيء . ويلزم من ذلك أن تصور الأمور التي تحدث في المستقبل ، وذلك لأنها أمور يلزم وجودها عن السب التي بين تلك الحركات ، لأنها المتعلقة عندها بالشمسية ، والنسب التي بين الأمور التي ههنا ، والنسب التي بين هذه الأمور وتلك الحركات . فلا يخرج شيء ألبنة عن أن يكون حدوثه في المستقبل لازماً لوجود هذه على ما هي عليه في الحال ؛ فإن الأمور إما أن تكون «طبع» ، وإما أن تكون بالاختيار ، وإما أن تكون بالانفاق . والتي تكون عن الطبع إما تكون بالزوم عن الطبع ، إما طبع حاصل هاهنا أولاً ، وإما طبع حادث هاهنا عن طبع هاهنا ، أو طبع حادث هاهنا عن طبع سبائي .
وأما الاختيارات فإنها يلزم الاختيار والاختيار حادث بعدما لم يكن ، فسله علة ، وحدوثه عنه بالزوم وعلة لما شيء كان هاهنا من إحدى الجهات ، أو شيء سبائي ، أو شيء مشترك بينهما .

(١) على النحو : بالنحو هـ .

(٢) إليها : إن سـ .

(٣) فيه : منه سـ .

(٤) يترتب : يترتب سـ .

(٥) لأنها المتعلقة : للصفة سـ .

(٦) بين : تل هـ || الأمور التي : الأمور هذه التي سـ .

(٧) بالزوم : بالضرورة سـ . (٨) عن : على سـ .

وأما الانقائيات فهي اصطكاكات ومصادفات بين هذه الأمور الطبيعية والاختيارية بعضها مع بعض في مجاريها ؛ فتكون إذن لأشياء للمكنة ما لم يجب لم توجد ، وإنما يجب لا بناتها بل بالنقياس إلى علتها ، وإلى الأجتماعات التي تسبب الشيء . فإذا كان يكون كل شيء مقصوداً بجميع الأحوال للوحدة في الحال من الطبيعة والإرادة الأرضية والسمائية ، ولأخذ كل واحد منها ومجرأ في الحال ، فإنه يتصور ما يجب عن استمرار هذه على مأخذها من الكائنات . ولا كائنات إلا ما يجب عليها . كما قلنا . فالكائنات إذن قد تدرك قبل الكون ، ولا من جهة ما هي ممكنة ، بل من جهة ما يجب . وإنما لا تدركها نحن لأنه إما أن نخفى عليها جميع أساليب الأحذية نحوها ، أو يظهر لنا بعضها ، ويعنى عليها بعضها . فمقدار ما يظهر لنا منها يقع لنا حدسٌ لمن وجودها ، ومقدار ما يخفى عليها منها يدركنا الشك ١٠ في وجودها .

وأما الحركات للأجرام السماوية فتعصرها جميع الأحوال للتقدم معاً ، فيجب أن تعصرها جميع الأحوال للتأخر معاً ، فتكون هيئة العالم بما يريد أن يكون مرتبةً معه هناك . ثم تلك الصور ، لا وحدتها . بل الصور النفسية التي في الجواهر الفارقة أيضاً غير محتجبة عن أنفسنا بحجاب البتة من جهتها ، إنما الحجب هو في قواها : إنما لضيقها ، وإنما لاستغنائها

(١) ومصادفات : ومصادفات ب .

(٢) التي لحال : ساقطة من ب .

(٣) مقصوداً : مقصور هو .

(٤) مأخذها : حد هو .

(٥) ولا : لا هو [] يجب : هنا نهاية المتضمن للمضمون في خصوصية [] تدركها : تدرك ب ، ع .

(٦) نحوها : نحواً ما ب [] بمقدار : مقدور هو .

(٧) بوجودها : لوجودها ب ، منها : مما ج .

(٨) معاً : ساقطة من هـ [] هيئة العالم : ساقطة من ب .

(٩) هو : ساقطة من ب [] قواها : لبقولنا ب .

بغير الجهة التي عندها يكون الوصول إليها ، والاتصال بها . وأما إذا لم يكن أحد المعنيين ، فإن الاتصال بها مبدول ، وليست بحاجة أخذ في إدراكها إلى شيء . فوير الاتصال بها ، ومطالعتها . فأما الصور العقلية فإن الاتصال بها ينقل النظرى ، وأما هذه الصور التي الكلام فيها ، فإن النفس إنما تصورده بقوة أخرى ، وهو عقل المعلى ، ويخدمه في ذلك باب الخيال . فتكون الأمور الحزئية تنالها النفس بقوة التي تسمى عقلاً حلياً ، من الجواهر العالية النفسانية . وتكون الأمور الشكلية تنالها النفس بقوة التي تسمى عقلاً نظرياً ، من الجواهر العالية العقلية ، التي لا يجوز أن يكون فيها شيء من الصور الحزئية البتة .

وتختلف الاستعدادات للقبول جميعاً في الأنس ، وخصوصاً الاستعداد لقبول الجزئيات بالاتصال بهذه الجواهر النفسانية . فبعض الأخرى يصنف فيها ويقبل هذا الاستعداد أصلاً ، ١٠ لضعف القوة المتحيلة أيضاً ، وبعضها يكون هذا فيها أقوى ، حتى إن النفس إذا ترك استعمال القوة المتحيلة ، وترك شغلها عما تورد عليه ، حدثتها القوة العملية إلى تلك الجهة ، حتى الطلبت فيها تلك الصور . إلا أن القوة المتحيلة ، فيها من التريزة الحكيمة والمتقلة من شيء إلى غيره ، تترك ما أحدثت ، وتورد شيئاً أو ضده أو مناسبه ، كما يمرض اليفطان من أمه

(١) يمكن : + بهذا .

(٢) الصور : الصورة ج || الصور : الصورة ج .

(٣) بقوتها : بقوة ص ، هـ .

(٤) بقوتها : بقوة هـ .

(٥) قبول : لتفوس ب ، ص .

(٦) أصلاً : سائلة من هـ .

(٧) لضعف : و ضعف ص || القوة : سائلة من هـ .

(٨) الطلبت : الطبع ب ، ج ، ف تطبع هـ || الصور : الصورة ج || من شيء : سائلة من ب .

(٩) أخذت : أخذته ص || وتورد : تورد ج || مناسبه : مناسكه ج || اليفطان : اليفطان ب .

بشاهد شيئاً ، فيتعطف عليه التحيل إلى أشياء أخرى تخضره بم تتصل به وجهه ، حتى ينسبه الشيء الأول ، فيعود على سبيل التحيل بالنسبة ، ويرجع إلى الشيء الأول ، بأن يأخذ الحاضر بما قد تآدى إليه الخيال ، فيعطن أنه حطرت الخيال تابعاً لأي صورة تقدمته ، وتلك لأي صورة أخرى ، وكذلك حتى ينتهي إلى البدء ، ويذكر ما فيه . كذلك التعبير هو تحيل بانكس لعل التحيل ، حتى ينتهي إلى الشيء الذي تكون النفس شاعده حين اتصالها بذلك العالم ، وأخذت للتخيلة تتقل عنه إلى أشياء أخرى . فهذه طبقة .

وطبقة أخرى يقوى استعداد نفسها حتى تستثبت ما نالته هناك ، ويستقر الخيال عليه ، من غير أن ينله الخيال ، وينقل إلى غيره منها ، فتكون الرؤيا التي لا تحتاج إلى تعبير .

١٠ وطبقة أخرى أشد شبيهاً من تلك الطبقة ، وهم القوم الذين بلغ من كمال قوتهم للتخيلة وشدها أمراً لا تستقر لها القوى الحسية في إرد ما يورد هيبها ، حتى يمنحها ذلك عن خدمة النفس الناطقة في اتصالها بتلك الهادي الموحية إليها الأمور الجبرية ، فتصل كذلك في حال اليقظة ، وتقبل تلك الصور .

- (١) عليه : عا هـ || أخرى : أخرى جـ || تخضره : تخضرها جـ ، م ، هـ (٢ ، ١) ينسبه القوم : ينسبه القوم جـ (٢) التحيل : التحيل جـ .
 (٣) ليعطى : ليعطى جـ || تقدمته : تقدمته جـ ، م ، هـ .
 (٤) البدء : البدء جـ ، م || كذلك : كذلك جـ .
 (٥) وأخذت : وأخذت جـ ، م ، هـ .
 (٦) الخيال : الخيال جـ ، م .
 (٧) غير : ساقطة من جـ || ينله : ينله جـ || منها : ساقطة من جـ ، م .
 (٨) بلغ : بلغ جـ .
 (٩) الجزئية : ساقطة من هـ || كذلك : كذلك جـ .
 (١٠) الصورة : الصورة جـ .

ثم إنَّ المتخيلة أيضاً تفعل مثل ما تفعل في حيز الرؤية المتخيلة إلى التعبير ، بأن تأخذ تلك الأحوال وتحاكيها ، وتسوى على الحسية ، حتى يؤثر ما يتخيل فيها من تلك في قوة بطناسيا ، بأن تنطبع الصور الحاصلة في البصاحب للمشاركة ، فتشاهد صوراً إلهية مجيبة مرئية ، وأقويل إلهية مسبوقة هي مثل تلك مدركات الوحيية .

٥

فهذه إذن درجات للمنى للسى بأسوة .

وأقوى من هذا أن تُستثبت تلك الأحوال والصور على هيئة مانعة لقوة المتخيلة عن الانصراف إلى محاكاتها بأشياء أخرى .

وأقوى من هذا أن تكون المتخيلة تسمر في محاكاتها ، والعقل العسل والوهم لا ينفكان عما استبقاه ، فثبتت في الذاكرة صورة ما أخذت ، وتقل المتخيلة على البطناسيا ، وتحاكي معه قبلت تصور هيبة مسبوقة ومُبصرة ، ويزدى كل واحد منها على وجهه .

١٠

فهذه طبقات النبوات المتعلقة بالقوة العقلية الحسية والخيالية .

وسنوضح فيما بعد خصوصية القوة النظرية

(١) عقل : عقل ، ع || مثل : ساطع من ع .

(٣) الصور : الصورة ع || ل : من ع .

(٤) وأقويل : بأقويل ع ، ع .

(٥) فهمه : فهمه ع ، ع || فهمه يدن : وعما دون ع .

(٦) هيئة : هيأتها ع .

(٧ ، ٨) بأشياء ... والعقل : ساطعة من ع .

(٩) أحدث : أحدثه ع || وتحاكي : وتحاكى ع .

(١٠) منه : فيه ع ، ع .

(١١) طبقات : طبقة ع ، ع || الحسية : ساطعة من ع .

(١٢) وسنوضح : — لها ع ، ع .

ولا يتمعين متعجب من قول إن التّعجب ينطبع في البطاسيا فيشاهد ، وإن الجاهلين قد يشاهدون ما يتحولون ؛ ولذلك أنه تنصل بزيادة السب الذي لأجله يعرض للرومين أن يخبروا بالأمور الكائنة ، فيصدقون في الكثير . ولذلك مقدمة ، وهي أن القوة للتحيلة كالوضوعة بين قوتين مستعملتين لها ، سائلة وعائية ؛ أما السائلة فالحس في أنها يورد عليه صوراً محسوسة تشغلها بها ؛ وأما العائية فتنقل فيه بقوة يصرفها عن تخيل الكاذبات التي يوردها الحس عليها ، ولا يستعملها العقل فيها . واجتماع هاتين القوتين على استعمالها يحول بينها وبين التمكن من إصدار أفعالها الخاصة بها على التمام ، حتى تكون الصور التي تحدثها بحيث تنطبع في البطاسيا انطباقاً تاماً فيحس . إذا أعرض عنها إحدى القوتين ، لم تعد أن تقاوم الأخرى في كثير من الأحوال ، فلم تمنع من صحتها بغيره ، فارة تنفصل عن مجاذبة الحس ، فتقوى على مقاومة العقل ، وتتميز فيها هو صحتها الخاص غير ملتفة إلى معانلة العقل ، وهذا في حال النوم عند إحضارها الصور كالمشاهدة . وتارة تنفصل من سياسة العقل عند فساد الآلة التي ينصلبها العقل في تدمير البصيرة ، فتستعص على الحس ، ولا يمكنه

(١) يتمعين : يتعجب م .

(٢) وم : وهو ج ، م .

(٣) لأنه يورث : يأتيها يورثها م || يورث : يورثها ه || يصرف : يرفقها ج || تخيل : التخييلات م || الكاذبات : الكاذبة ج || تخيل الكاذبات : التخييل كالكاذبات ه || التي : التي لا ج ، م .

(٤) ينصلبها : يستعملها ه || واجتماع : ولا اجتماع ج || استعمالها : استعمالها ج .

(٥) الصور : الصورة ج || تحدثها : تحدث ه .

(٦) بعد : بعد م .

(٧) الأخرى : أخرى ج || تمنع : تمنع م ، م || بمنع : بمنع م ؛ فمنعه ج || فارة : فارة ؛ يحصل م ، م .

(٨) عند : وعند ج || إحضارها : إحضارها ج ، م || الصور : الصورة م ، ج .

(٩) يمكنه : يمكنها م .

من شغلها ، بل تمنع في إثبات أفعالها حتى يصير ما ينطبع فيها من الصور كالمشاهدة لا يطأه في الحواس ؛ وهذا في حال الجنون والمرض . وقد يمرض مثل ذلك عند الخوف لما يمرض من ضعف النفس ويخذلها ، واستيلاء بطن والدم المصين لتحويل على العدل ، فيشاهد أموراً موحشة ، فالمرورون والمجانين يمرض لهم أن يتخيّلوا ما ليس بهذا السبب .

- وأما إخبارهم بالنيب ، فإنما يفتق أكثر ذلك لهم عند أحوال كالمصرع والغشي ، تفسد •
حركات قوائم الحسية . وقد يمرض أن تكل قوائم لتخيلة لكثرة حركاتها المضطربة ، لأنها قوة بدنية ، وتكون همهم من المحسوسات مصروبة ، فيكثر رفضهم للحس . وإذا كان كذلك ، فقد يفتق أن لا تشتغل هذه القوة بالحواس اشتغالاتاً مستغرقاً ، ويمرض لها أدنى سكون من حركاتها المضطربة ، ويسهل أيضاً محاسنها مع النفس الناطقة ، فيمرض للعقل المبطل اطلاع إلى أفاق عالم النفس المذكور ، يشاهد ما هناك ، ويتأذى ما يشاهده إلى ١٠ الحمال ، فيظهر منه كالمشاهد والمسحوح . حينئذ إذا أحبر به بالمرور ، وخرج وفق مقالته ، يكون قد تكهن بالكائنات المستقبلية .

والآن يجب أن نتم هذا الفصل ، فقد أوب به نكت هذه الأسرار المكتومة ؛ والله الهادي .

(١) بل : بأن هـ || إثبات : إيراد هـ .

(٢) العدل : العقل هـ ، ص .

(٣) فالمرورون : كالممرورين هـ ، فالمرورين هـ .

(٤) لهم : منهم ص .

(٥) حركات : حركة هـ || تكل قوائم : تكل قوائم هـ .

(٦) تكثر : يكون ص .

(٧) عن : من ص || أيضاً : سائفة من ص .

(٨) منه : له هـ || والمسحوح : المسحوح هـ ، ص .

(٩ ، ١٠) والله الهادي : سائفة من ص هـ (١١) الهادي : تلونق هـ .

الفصل الرابع عشر

في زكاء النفس

قد بيد فيما سلف ألقى ما تلمه القوة السمية في إدراكها ، وسياستها للبدن والعالم ،
ورتبنا درجات النبوات بالقياس إليها . والآن فلا نريد أن نعرف أشباه تلك الدرجات
• في القوة النظرية ، فنقول :

من المعلوم الظاهر أن الأمور المعقولة التي تتوصل إلى اكتسابها بعد الجهل بها ، إنما
تتوصل إلى اكتسابها بمحصل الحد الأوسط في القياس . وهذا الحد الأوسط قد يحصل
بضربين من الحصول : فتارة يحصل بالحدس ؛ والحدس هو قل الفهم يستبطن به بذاته
الحد الأوسط ؛ والدكاء قوة الحدس . وتارة يحصل بالتعليم ؛ ومبادئ التعليم الحدس ، فإن
الأشياء تنتهي لا محالة إلى حدوس استبطنها أرباب تلك الحدوس ، ثم أدوها إلى المصلحين .
فجاء إذن أن يقع للإنسان نفسه الحدس ، وأن يتقدم في دهنه القياس بلا معلم . وهذا مما
يختلف بالسكم والكيف ؛ أما في السكم فلأن بعض الناس يكون أكثر عدد حدوس

(٢) الصواب ساقط من س .

(٦ ، ٧) بعد الجهل بها إنما تتوصل إلى اكتسابها بمحصل الحد الأوسط في القياس ؛ بمحصل الحد
الأوسط بعد الجهل بها إنما تتوصل إلى اكتسابها بالقياس س ، هـ ؛ إنما تكتسب بمحصل الحد الأوسط
بعد الجهل بها س .

(٩) والدكاء ؛ ساقط من ج .

(١١) إذن ؛ ساقط من س ، ج ؛ ساقط من ج ، هـ ؛ ساقط من ج ، هـ .

(١١ ، ١٢) مما يختلف ؛ متفاوت ج ؛ متفاوت هـ .

للحدود الوسطى ؛ وأما في الكيف فالأمر نفس الناس يكون أسرع زمان حدس . ولأن
هذا الفاضل ليس منحصراً في حدس ، بل يقبل الزيادة والنقصان دائماً ، وينتهي في طرف
النقصان إلى مَنْ لا حدس له ألبتة ، فيجب أن ينشأ في طرف الزيادة إلى مَنْ له حدس
في كل المطلوبات أو أكثرها ، أو إلى مَنْ له حدس في أقصر وقت وأقصره ؛ فيمكن
إذن أن يكون شخص من الناس مزيّداً بنفس شدة الصفاء ، وشدة الاتصال بالمبادئ
العقلية إلى أن يشتمل حدساً ، أعني قولاً لإتمام لقل التمثال في كل شيء ، فترسم فيه
الصور التي في العقل التمثال ، أي دعة ، وإك قريباً من دعة ، أو تساماً عندياً لا تفيدياً ،
بل [بترتيب يشتمل على] الحدود الوسطى ، فإن التقليدات في الأمور التي إنما تُعرف
بأسبابها ليست بيقينية عقلية .

وقد ظهر لنا في العلوم الإلهية أن الصور التي هي في الأجسام العالية تامة في الوجود
للصور التي في الدوس والقول الكلية ؛ وأن هذه مادة طوع لقبول ما هو متصور في عالم
القل ؛ وأن تلك الصور العقلية مبادئ لتلك الصور الحسية يجب فيها لذاتها وجود هذه
الأشكال في العوالم الجسمية . والآن نرى الإيسانية قريبة من تلك الجواهر ، وقد نجد لها فضلاً

(١) في الكيف : بالكيف م || يكون . سائلة من م ، م .

(٢) ليس : سائلة من م .

(٣) ينشأ : + أيضاً م .

(٤) أول : وإلى م ، م || أقصر : أسرع م .

(٥) إذن : سائلة من م .

(٦ ، ٧) أمي . . . التمثال : سائلة من م ، م . (٧) عقلية : سائلة من م ، م || تفيدياً :

تفيداً م ، م .

(٨) بترتيب يشتمل على : زيادة من م ، الحدود : حدود م ، م .

(٩) عقلية : + ومعناها هرب من التوبة إلى أهل قربة النبوة ، والأول أن تسمى هذه القادة قودة

لنفسه ومع أهل صواب القوى الإيسانية [خاصة الفصل في التجدد] .

(١٣) قربة : مهتبة م || نجد : يحدث م .

طبيعياً في البدن الذي لكل نفس ؛ فإنَّ لصورة الإرادية التي ترسم في النفس ينبغيها ضرورةً شكلٌ فيسرى إلى الأعضاء ، وتحريكٌ غير طبيعي ، وسيلٌ غير غريزي ، تذهن لها الطبيعة .

والصورة الجوفية التي ترسم في الخيال يحدث عنها في البدن مزاج من غير استعانة
• عن تمثيل طبيعي شبيه بنفسه .

والصورة النفسية التي ترسم في الخيال يحدث عنها في البدن مزاج آخر من غير استعانة
عن تمثيل شبيه .

والصورة المعشوقة عند القوة الشهوانية ، دلت في الخيال حدث عنها مزاج يحدث ربحاً عن المادة الرطبة في البدن ، ويحدده إلى عضو الموضوع آلة للفعل للشهوان ، حتى
١٠ تستمد لذلك الشائب . وليست طبيعة البدن إلا من عنصر العالم . ولولا أنَّ هذه الطباع موجودة في جوهر العنصر ؛ لما وجد في هذا البدن . ولا مكر أن يكون من القوى النسائية ما هو أقوى فعلاً وتأثيراً من أنثى نحن ، حتى لا يقتصر منها في المادة التي رسم لها وهو بدنها ، بل إذا شاءت أحدثت في مادة العالم ما يتصور ؛ أسباب في نفسها ؛ وليس يكون مبدأ ذلك

(١) النفس : الخيال هـ .

(٢) ضرورة : صورة ح || لك الأعضاء : الأعضاء هـ .

(٣) تمثيل : تمثيل بـ .

(٤ ، ٦) عنها : منها ح ، هـ .

(٩) للفعل : الفعل بـ .

(١٠) الفأن : البيان ح || ولولا : ولو ب || الطبع : الصانع ح .

(١١) ولا : فلا حـ .

(١٢) في : عن ح || بينها : بينها ح ، هـ .

(١٣) بأسباب : ساقطة من ح ، هـ ؛ عنها هـ .

إلا إحداث تحريك وتسكين ، وتبريد وتسخين ، وتكثيف وتسيين ، كما تفعل في بدنها ،
فليتبع ذلك أن تحدث سحب ورياح ، ومواج وزلازل ، وتسرع مياه وهيون وما أشبه ذلك
في العالم البشري بإرادة هذا الإنسان .

فأفصل النوع البشري من أولى الكمال في حدة القوة النظرية ، حتى أستغنى عن
العلم البشري أصلاً ؛ وفي حكماته العملية ، حتى يشاهد العالم النفساني بما فيه من أحوال •
العالم ، ويستنتجها في اليقظة ، وتعمل القوة التخيلية فيه عملها التام فيه ، فيشاهدها بوجه خاص
آخر ، على ما ذكرنا ، ويكون لقوته النفسية أن تؤثر في عالم الطبيعة .
ثم الذي له الأسرار الأولان وليس له الأمر الثالث ، الذي له هذا التهيؤ الطبيعي في
القوة النظرية دون العملية .

ثم الذي اكتسب هذا الاستكمال في القوة النظرية ، ولا حصة له في أمر القوة العملية ، ١٠
من الحكماء المذكورين .

ثم الذي ليس له في القوة النظرية التهيؤ الطبيعي ، ولا اكتساب تكملي ، ولكن له
التهيؤ في القوة العملية ، فالرئيس الأول المظنون .

(١) وتبين : وتكثير م .

(٢) البصري : ساقطة من م ، م .

(٣) البصري : الإنساني ه || أول : أول م .

(٤) العملية : كان م .

(٥) العالم : العوالم م ، ه || فيه : م م ، م || محب : محله ه || خاص : ساقطة من م ، م ، ه .

(٦) لم : ساقطة من م || له : ساقطة من م || الأمر : ساقطة من م || الثالث : م م ، م .

(٧) اكتسب : يكتسب م .

(٨) لا تهيل : تهيل م .

ولذلك الحقيقى الذى يستوجب بذاته أن يملك ، هو الأول من المدة المذكورة ، الذى
إن نسب نفسه إلى عالم العقل وجد مكانه متصل به دفعة ، وإن نسب نفسه إلى عالم
النفس وجد مكانه من سكان ذلك العالم ، وإن نسب نفسه إلى عالم الطبيعة كان فعالاً فيه
ما يشاء .

والذى يتلوه أيضاً رئيس كبير بهذه فى مرتبة ؛ والبالون هم أشراف النوع الإنسانى
وكرامه .

وأما الذين ليس لهم استكمال شيء من القوى ، إلا أنهم يصلحون الأخلاق ، ويفتنون
للمسكات الفضيلية ، فهم الأذكياء من النوع الإنسانى ، ويسوا من ذوى المراتب العالية ،
إلا أنهم يميزون من سائر أصناف الناس .

-
- (١) يستوجب : يستحق ع ، هو : يملك : يملك ع || هو : سالطة من ع || المدة : القوة ع
|| المذكورة : المذكورين ع .
(٢) فعالاً : فعلاً ع .
(٣) أشراف : أشراف ع .
(٤) وكرامه : + وكبرائه علمش ع .
(٥) شيء : سالطة من ع || أنهم : سالطة من ع .
(٦) يميزون : يميزون ع .

الفصل الخامس عشر

في ساداتها وشيئا وتبا بعد ان افراق

- يجب أن نعلم أن لئلا منه ما هو مقبول من الشرع ولا سبيل إلى إثباته إلا من طريق الشريعة ، وتصديق خبر النبوة ، وهو الذي للبدن عند البحث . وخبرات البدن وشروعه معلومة لا تحتاج إلى أن نعلم . وقد بسطت الشريعة الحقة التي أتانا بها سيدنا • ومولانا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حال السعادة والشقاوة التي بحسب البدن ؛ ومنه ما هو مذكور بالعقل والقياس البرهاني وقد صدقته النبوة ، وهو السعادة والشقاوة البالغتان اللتان للأنفس . إلا أن الأفهام تقصر عنها ، لما نوضح من المال .
- والحكاه الإلهيون رحمتهم في إصابة هذه السعادة أعظم من رحمتهم في إصابة السعادة البديية ، بل كأنهم لا يلتفتون إلى ذلك ، وإن أعطوه ، ولا يستعملونه بحسب هذه السعادة •

(٢) في ... الفراق : ساقط من س .

(٣) من الفرع : من صاحب الفرع عليه الصلوات والصلوة والسلام س .

(٤) للفرقة : الفرع منه س .

(٥) أن ساقطة من هـ || نعلم : + ذلك س || الحقة : ساقطة من هـ || سيدنا ومولانا نبينا : ساقطة من هـ .

(٦) نبينا : ساقطة من س ، ع .

(٧) البالغتان : الكاشتان عه .

(٨) للأنفس : لنفس ع || الأصنام : الأوهام س ، عه .

(٩) الإلهيون : + ليس هـ (٩ ، ١٠) أعظم ... البديية : ساقطة من هـ (١٠) البديية :

النبوية ع | ذلك : تلك عه || أعطوه : أعطوها س ، عه ، عه || يستعملونه : يستعملونه س ، عه ؛

يستعملونها س ، عه || بحسب : في حسب عه .

التي هي مقارنة الحق الأول وعلى ما يصفها عن قريب . فنصف حال هذه المادة والشقاوة
للضادة لها ، فإن الهدية مفروغ منها في الشرع . فنقول :

يجب أن تعلم أن لكل قوة نفسية تارة وحيداً يخصصها ، وأذى وشراً يخصها . مثله أن
لذة الشهوة وحيرتها أن يتأذى إليها كيهيات محسوسة ملائمة من الخمسة ؛ ولذة الغضب
الظفر ؛ ولذة الهم الرجاء ؛ ولذة الحسب تذكر الأمور المرافقة للخاصة ؛ وأذى كل واحدة
منها ما يضادها . وتشارك كلها روعاً من المشاركة في أن الشهور بمواقفها وملائمتها هو الغير ،
واللذة الخاصة بها وموافق كل واحد منها هيات والحقيقة هو حصول السكال الذي هو
بالقياس إليه كمال الفعل . فهذا أصل .

وأيضاً فإن هذه القوى ، وإن اشتركت في هذه للمات ، فإن مراتبها في الحقيقة مختلفة .
١٠ فالذي كاله أصل وأنتم ، والذي كاله أكثر ، والذي كاله أدرم ، والذي كاله أوصل إليه ،
والذي هو في نفسه أكمل وأفضل ، والذي هو في نفسه أشد إدراكاً ، فاللذة التي له ألمغ
وأوفر لا محالة . وهذا أصل .

وأيضاً فإنه قد يكون الخروج إلى الفصل في كل ما بحيث نعلم أنه كان ولذبه ، ولا
تتصور كيهيته ولا شمر باللذذة ما لم تحصل . وب لم شمر به لم شفق إليه ، ولم نزع نحوه ؛

(١) كيهيات : كيهية س ، هـ || س : — الخوس هـ .

(٧) واللذة : والقوة س || حو : ساطعة من س .

(١٠) أوصل إليه : — وأحصل له س ، هـ .

(١١) فاللذة : فالقوة س .

(١٢) وأوفر : وأوفى هـ || لا محالة : ساطعة من س ، ح .

(١٣) الخروج : — من القوة س ، س || ما : ساطعة من س .

(١٤) نحوه : — الاحتشاء والخيف اللذين يكونان محسوسين به بل شهوة أخرى كما يفهم من يهرب
من حيث يحصل بها إدراك وإن كان مؤذياً وبالجملة فإنه س ، هـ .

مثل للعَيْنين فإنه متحقق أن للجماع لذة ، ولكنه لا يشبهه ، ولا يمن نحوه ، ولا يشغله . وكذلك حال الأكمة عند الصور الجميلة ، والأسم عند الألحان المنتظمة . ولهذا يجب أن لا يقوم العاقل أن كل لذة فهو كما للجماع في طهه وفرجه ؛ وأن المبادئ الأولى للتقربة عند رب العالمين عادة للذة والنبطة ؛ وأن رب العالمين ليس له في سلطانه ، وخاصة الهباء الذي له ، وقوته الغير المتناهية ، أمر في غاية القسوة والشرف والطيب نجد أن يسمى لذة .

ثم للجماع واليهائم حالة طيبة وندبة . كلا ، بل أي سبة تكون لك مع هذه الخبيثة !! ولكننا نتخيل هنا وشاهد ، ولم نعرف ذلك بالاستعمار بل بالقواس ، فإنا عنده كحال الأسم الذي لم يسمع قط في عدم تحبيل الذة الحمية ، وهو مشفق لطوبها . وهذا أصل .

وأيضا فإن السكالم والأمر الملائم قد يتيسر لقوة التراكمة ، وهناك مانع أو شغل ١٠ نفس ، فيكرهه ويؤثر ضده عليه ؛ مثل كراهية صف الرضى العلم الحلو وشهوتهم الطعوم الردية الكريمة بالذات ؛ وربما لم تكن كراهية ولكن عدم استلذاذ به ، كأنهائف يجد النذبة أو الذة فلا يشرب بها ، ولا يستلذ بها . وهذا أصل .

(١) معطل : يعطل .

(٢) فهو : + فمصوص ج || بقربة : لقرية ج ؛ المرولة م .

(٣) الداي : + بحال جده وتعمست أسبازه م || الصاين : + مبارك وتعالى م .

(٤) والطيب : + الذي م || عن : ساقطة من م .

(٥) خالنا : بحالنا ج .

(٦) عدم : عدمه ج (٨ ، ٩) وهو . . . أصل : ساقطة من م ، ج .

(٧) العلم : العلم م || وشهوتهم : وشهوتهم ج .

(٨) الطعوم : لظنوم م || بالذات : || وسكن : + كان م ، م || استلذاذ : الاستلذاذ

ج ، م ، م .

(٩ م أحوال النفس)

وأيضاً قد تكون القوة الداركة بمنوة بعد ما هو كالماء ، ولا تحس به ، ولا تنفر عنه ،
حتى إذا زال العائق تأذت كل العادي ، ورجعت إلى فريرتها ؛ مثل المرور ، فربما لم يحس
بمرارة له ، إلى أن يصبح مزاجه ، وتنشئ أعضاؤه ، فيشتد ينفر عن الحبل المارضة له .
وكذلك قد يكون الحيوان غير مشتهى الغذاء البتة - وهو أرقى شيء يكون له - وكارها له ،
وتبقى عنقه مدة طويلة ، فإذا زال العائق عاد إلى واجبه في طلبه ، فاشتد جوعه وشهوته
للغذاء ، حتى لا يصبر عنه ، ويهلك عند فنده . وكذلك يحصل بسبب الألم ، مثل إحراق
العار وتجريد الزمهرير ، إلا أن الحس مؤثرف آفة فلا يتأذى البدن بها حتى تزول الآفة ،
فيحس حينئذ بالألم العظيم .

فإذا تقررت هذه الأصول ، فيجب أن نعترف إلى الغرض الذي نؤمه ، فنقول :
إن النفس للناطق كالماء انما هي بها أن نصير عالمها حقيقاً مرتباً فيها صورة الكل ،
والنظام المقول في الكل ، وانظر للناس في الكل ، مبتدئاً من مبدأ الكل ، وسالماً
إلى الجواهر الشريفة التي هي مبدأها الروحانية الطلقة ، ثم الروحانية المتعلقة نوعاً ما
في الأبدان ، ثم الأجسام المادية بهيئاتها وقواها ، ثم كذلك حتى نستوفى في نفسها هيئة

(١) به : سالطة من س .

(٢) تأذت : تأذى ج + به ه || فريرتها : حريرته ج .

(٣) مرارة : بحرورة س ؛ لمرارة ه || وتنشئ : وتنفذ ه || له : سالطة من س .

(٤) الغذاء ، للغذاء س || يكون : سالطة من ج ، ه .

(٥) وتبقى عنقه : تبقى عليه س ، ج ، ه ، هه .

(٦) وكذلك : + قد س || الألم : + العظيم ه || إحراق : حرق س ، ج .

(٧) إلا ... البدن : لا يحس البدن س ؛ لأن لا يحس البدن آفة فلا يتأذى البدن ج ، ه .

(٨) فإذا : وإذا س ، ج .

(٩) صورة : صور س ، ج .

(١٠) الناقص : + من واجب الصور ه .

(١١) في الأبدان : بالأبدان ه . بهيئاتها : بهيئتها ج .

الوجود كله ، فننقب طالما معقولاً موازياً للعالم الموجود كله ، مشاهداً لما هو الحسن المطلق ، وانظير المطلق ، والجمال الحق ، ومعهداً به ، ومنفضاً بمثاله وهيبته ، ومنخرطاً في سلكه ، وصائراً من جوهره .

فلنفس هذا بالكمالات للشهوة لا تقوى الأخرى ، فتجد هذا في المرتبة بحيث يتبع معها أن يقال إنه أفضل وأتم منها ، بل لا نسبة لها إليه بوجه من الوجوه فضيلةً ونمساها • وكثرة ، وسائر ما يتم به إلغاء المذكرات بما ذكرنا .

وأما الدوام ، فكيف يقاس الدوام الأبدى بالدوام للتغير الفاسد ؟ وأما شدة الوصول ، فكيف يقاس ما وصوله بملاقاة السطوح مع ما هو سائر في جوهر قابله ، حتى يكون كأنه هو هو بلا انفصال ، إذ العقل والماثل والمقول واحد ، أو قريب من الواحد .

وأما أن المدرك نفسه أكل فأمراً لا ينحى . وأما أنه أشد إدراكاً فأمراً أيضاً يكشف عنه أدنى بحث ، فإنه أكثر عند مذكرات وأشد تنصباً للمدرك ، وتعميداً له عن الزوائد الغير المدخلة في معناه إلا بالعرض ، وانطوحي في باطنه وظاهره . بل كيف يقاس هذا الإدراك بذلك الإدراك ؟ وكيف يمكننا أن نسب الآلة الحسية والهيبة والتفضية إلى هذه

(١) فننقب : نصير من || الحسن المطلق : الخير للكلوب ج .

(٢) والجمال : والكمال ج || الحق : المطلق ب ، ج .

(٣) من : ل ج .

(٤) يلج : يصح ب ، هـ .

(٥) معها : سالقة من ب ، ج .

(٦) وسائر ... ذكرنا : سالقة من ب ، ج .

(٨) يقاس : يكون حاله بيقاس من ب ، هـ || كأنه : سالقة من ب ، ج ، هـ .

(٩) أو قريب من الواحد : سالقة من ب ، ج ، هـ .

(١٠) للمدرك نفسه : للمدرك في نفسه هـ || لأمر : للأمر ج .

(١١) لفته : فإن النفس النقية من ب ، هـ || تنصباً : لبناً ج .

(١٢) ينقله : بدائه ب .

السمادة واللذة ؟ ولكننا في طائفة وأبداننا هدين ، وانتماسنا في الرذائل ، لا نحس بشك اللذة إذا حصل عندنا شيء من أسبابها ، كما أومان إلية في بعض ما قدمناه من الأصول ؛ ولذلك لا نطلبها ، ولا نحزن إليها ، اللهم إلا أن نكون قد حلقنا ربة الشهوة والنفس وأخواتها من أعتاقنا ، وطالما شيئاً من تلك اللذة ، حيث نرى تحصيل منها خيراً لا طيفاً ضيقاً ، وخصوصاً عند انحلال المشكلات ، واستيضاح اللطائف النفسية ؛ والالتذاذ بذلك شبهة بالالتذاذ الحسى من اللذونات الدنية وروحها من مريد .

ثم إننا إذا انفصلنا عن البدن ، وكانت النفس ما تسبت في البدن لكيلا التي هو معشوقها ، ولم تحصله ، وهي بالطبع نازعة إلية ، إذا عقلت بأفضل أنه موجود ، إلا أن اشتغالها بالبدن — كما قلنا — قد أساء ذاتها ومشوقها ، كما ينسى المريض الحاجة إلى بذل ما يتحمل ، وكما ينسى المريض الاستلذاذ بالخلو واشتهاءه ، ويحول بالشهوة منه إلى المكروهات في الحقيقة ، عرض حيث لها من الألم بمقداره كفاء ما يمرض من اللذة التي أوجبها وجودها ، ودلنا على هضم منزلتها ؛ فيكون ذلك هو الشقاوة والنفرة التي لا يسلها تفريق النار للاتصال

(١) اللذة : القوة س ، ح .

(٢) قدمناه : قدمنا س ، ح .

(٣) قد : ساقطة من س ، ح .

(٤) شيئاً : ساقطة من س ، ح .

(٥) النفسية : النفسية س ، النفسية هـ .

(٦) اللذونات : اللذائذ س ، ورواها : وعراكها س ، س ، س ، في كتاب النجاء لقره طوبة زائدة .

(٨) تحصله : تحصل س ، س ، وتحملها هـ ، لا هـ ، اشتغالها : اشتغالها ح .

(٩) قد : ساقطة من س ، ح ، أساء ذاتها ومعشوقها : أساء ذاته ومعشوقه هـ .

(١٠) منه : ساقطة من س ، ح ، وأحبها ح .

(١١) كفاء ما : كما ح ، اللذة التي : اللذونات التي ح .

وتبديلها ، وتبديل الزمهرير للزجاج . فيكون مثلاً حينئذ مثل الخلد الذي أومأنا إليه
 فيما سلف ، أو الذي عمل فيه ناراً أو زمهرير^١ فبنت لادة الالبسة وجه الحس من الشعور به
 فلم يفاذ ، ثم عرض أن زال العائق مشعر بالبلاء العظيم .

وأما إذا كانت القوة العقلية بلغت من النفس حداً من الاستكمال يمكنها به إن فارقت
 البدن أن تستكمل الاستكمال التام الذي لها أن تبنيه ، كان مثلنا مثل الخلد الذي أذيق^٢
 للعلم الألد وعرض للحالة الأشبه وكان لا يشعر به ، فزال عنه الخلد^٣ ، فطاع اللذة العظيمة
 دفعةً ، وتكون تلك اللذة لا من جنس البذة الحسية والحيوانية بوجه ، بل لغة تشاكل الحالة
 للعلية التي للحواضر الحسية المحضة ، وهي أجل^٤ من كل لغة وأشرف .
 فهذا هو السعادة وتلك هي الشقاوة .

وتلك الشقاوة ليست تكون لكل واحد من الناقصين ، بل للذين اكتسبوا القوة ١٠
 العقلية الشوق إلى كمالها ، وذلك عند ما يبرهن^٥ لهم أن من شأن النفس إدراك ماهية الكل

(١) زمراج : الزجاج .

(٢) بنت : قتته . || الالبسة : الملابس .

(٣) زال : + العارض .

(٤) يمكنها : لا يمكنه . || به : ساقطة من ب || لاد فارقت : إذا فرق ما ، ج ، هـ .

(٥) العلم : ساقطة من ما ، ج ، هـ || ما : ل ب ، ج ، هـ || مثلك : مثله ب ، ص ، هـ || مثله : هـ .

(٦) العلم : العلم هـ || هـ : ساقطة من هـ .

(٧) اللذة : القوة ب ، ج || بل : + من ج .

(٨) العلية : العظيمة ص || وهي : ساقطة من ب ، ج ، هـ .

(٩) واحد من : ساقطة من ب .

(١٠) القوي : شوقاً ب .

بكسب المجهول من للعلوم والاستكمال بالقفل ؛ فترُ ذلك يس فيها بالطبع الأول ، ولا أيضاً في سائر القوى ، بل شعوراً أكثر القوى إنما يحدث بعد أسباب .

وأما النفوس والقوى السادة المعرفة فكأنها هيولى موضوع لم تكتسب البتة هذا الشوق ؛ لأنَّ هذا الشوق إنما يحدث حدوثاً وينطبع في جوهر النفس ، إذا تبرهن للقوة النفسانية أنَّ هاهنا أموراً تكتسب العلم بها بالحدود الوسطى ، وبمادة معلومة بأنفسها . وإنما قبل ذلك فلا يكون ، لأنَّ هذا الشوق يتبع رأياً ، وليس رأياً أولياً بل رأياً مكتسباً . فهؤلاء إذا اكتسبوا هذا الرأي لم النفس ضرورةً هذا الشوق ؛ فإذا فارق ولم يحصل معه ما تبلغ به نفسه بمقدّر الانفصال التام ، وقع في هذا النوع من الشقاء الأبدى ، لأنه إنما كانت تلك الآلة تكتسب بالبدن لا غير ، وقد فات .

١٠ هؤلاء إنما متصورون من الشيء كسب الكمال الإسى ، وإنما معاندون جاحدون متصبون لأراء فاسدة مصادرة للأراء الحقيقية . والجاحدون أسوأ حالاً لما اكتسبوا من هيئات مصادرة [لكمال] .

وأما أنه كم ينبغي أن يحصل عند نفس الإنسان من تصور المقولات حتى يجاوز به

(١) بكسب : لكسب ج || بالقفل : بالقفل ج .

(٢) بل : + هي ج || القوى : + بكمالاتها هـ .

(٣) فكأنها : فكأنها ج .

(٤) تبرهن : برهن ج .

(٥) وليس رأياً : وليس دائماً ب .

(٦) ولم : لم ب ، ص .

(٧) نفسه : ساقطة من ب ، ص هـ || وقع : وقع ج .

(٨) لأراء فاسدة : للأراء الفاسدة ب || الحقيقية : إما صحت النفس تبرهن أن كل حق بلا سقطة

للحقيقة ج (١٦ ، ١٧) والجاحدون ... مضاعف : ساقطة من ب ، ج ، هـ (١٢) لكمال : زيادة في النتيجة .

(١٣) نفس الإنسان : النفس هـ .

الحل الذي في مثل تقع هذه الشقاوة ، وفي تعديده وحرزه ترجى هذه المادة ، فليس يمكنني أن أنص عليه نصاً إلا بالتقريب .

وأظن أن ذلك بأن تصور نفس الإنسان مبادئ المفارقة تصوراً حقيقياً ، وتصديقها تصديقاً يقينياً ، لوجودها عنده بالبرهان ، وتعرف لملئ المائة بالأمر الواقعة في الحركات السلكية دون الجرئية التي لا تنفاهي ، وتتقرر هذه هيئة الكل ونسبة أجزائه بعضها إلى بعض ، والنظام الآخذ من المبدأ الأول إلى أنص لوجودات الواقعة في ترتيبه ؛ ويتصور العناية وترتيب وكيفية ، ويتحقق أن الذات المتقدمة لكل أي وجود يخصها ، وأي وحدة تخصها ، وأنها كيف تعرف حتى لا يلحقها تحسُّر ونفور بوجه من الوجوه ، وكيف ترتيب للوجودات إليها . ثم كلما ازداد الناظر استهواً ازداد للمادة استعداداً ؛ وكأنه ليس يبرأ الإنسان من هذا العالم وعلاقته إلا أن يكون أكَّد العلاقة مع ذلك العالم ، نصاره ١٠ شوق إلى ما هناك ، وعشق لما هناك ؛ يصده من الالتفات إلى ما حتمه جملة .

وتقول أيضاً : إن هذه السعادة الحقيقية لا تتم إلا بإصلاح الجزء المعنى من النفس ؛ وتقدم لذلك مقدمة كنا قد ذكرناها فيما سلف ، فنقول :

إنَّ الخلقَ ملكةٌ تصورها بها عن النفس أصلٌ ما بسهولة من غير تقدم روية . وقد

(١) وفي تعديده ... السعادة : سائلة من ب ، ج ، د .

(٢) نصاً : سائلة من ب ، ج ، د .

(٣) ونسبة : وسب ب ، ج ، د .

(٤) ينحسها : ينحس ب .

(٥) وكأنه : وكأنه ب .

(٦) وعلاقته : وعلاقه ب .

(٧) يصده : يصده ب ، ج ، د || ما : سائلة من ب .

(٨) كنا : وكأننا ب ، ج ، د .

(٩) الخلق : الخلق ب ، ج ، د || ما : سائلة من ب .

أمر في كتب الأخلاق بأن يستعمل التوسط بين الطرفين الضدين ، لا بأن تفعل أفعال التوسط دون أن تحصل مسكة التوسط . ومسكة التوسط كأنها موجودة للقوة الناطقة وللقوى الحيوانية معاً . أما القوى الحيوانية فبأن يحصل فيها هيئة الإذعان ، وأما القوة الناطقة فبأن يحصل فيها هيئة الاستعلاء ، كما أن مسكة الإطراط والتفريط موجودة للقوة الناطقة وللقوى الحيوانية معاً ، ولكن بعكس هذه النسبة ؛ ومعلوم أن الإطراط والتفريط هما مقتضى القوى الحيوانية التي في الشهوة . وإذا حصلت مسكتها يكون قد حدثت في النفس الناطقة هيئة إذعائية وأثر انتعالي قد رسخ في النفس الإنسانية ، ومن شأنها أن تجعلها قوية العلاقة مع البدن ، شديدة الانصراف إليه .

وأما مسكة التوسط فالمراد منها التنزيه عن الهيئات الاقصادية ، وتنقية النفس الناطقة على جبلتها ، مع إفاضة هيئة الاستعلاء والتنزيه ؛ وذلك غير مضاد لجوهرها ، ولا مائل بها إلى جهة البدن بل من جهة ، فإن التوسط يُنسب منه الطرفان دائماً . ثم النفس إنما كان البدن يقرها كما يليق ويغلبها عن الشوق الذي يخصها ، وعن

(١) كتب : كتاب س (٤ ، ٦) أصل التوسط . الأصل المتوسطة س .

(٢) أما القوى : أما القوى س ، س .

(٣) الاستعلاء : + والأعمال هـ .

(٤ ، ٥) ولكن ... الحيوانية : ساطعة من س (٦) التي ... ملكتها : وإذا لوت قوى الحيوانية وحصل لها مسكة استعلائية س || حدث : حدثت ج .

(٧) الإنسانية : الناطقة س هـ || ومن : من س || تمسكها : تمسك ج س || قوة : قوى ج س ، هـ .

(٨) شديدة : شديدة ج س ، هـ .

(٩) التنزيه : التبركة هـ || الهيئات : الهيئة ج .

(١٠) جبلتها : جبلتها ج || إفاضة : إفاضة ج || لجوهرها : لجوهر هـ || بها : به س ، هـ ، هـ .

(١١) لأن : لأن هـ || التوسط : التوسط س ، هـ .

(١٢) ثم : ثم س || يقرها ويلبها ويغلب : يقرها ويلبها ويغلب س ، هـ || يخصها : يخصه ج س ، هـ .

طلب السكّال الذي لها ، وعن الشعور بلبّة السكّال إنّ حصل لها ، أو الشعور بأن السكّال إنّ قصرت عنه ، لا بأنّ النفس منطبعة فيه ، أو منغصة فيه ، ولكن العلاقة التي كانت بينهما ، وهو الشوق الجليل إلى تديره والاشتغال بآثاره ، وما يورد عليها من حواراته .

فإذا فارقت وفيها ملكة الاتصال به ، كانت قريبة الشبه من حالها وهي فيه . فبما يقتض من ذلك لا ينفكها عن حركة الشوق الذي لا يتركها ، وبما يبقى منه معها يصدها عن الاتصال الصريح لحل سماتها ، ويحدث هناك من الحركات للتشوشة ما يعظم أذاه . ثم إنّ تلك الهيئة البدئية مصادرة لجوهرها ، مؤذية لها . وإنما كان يلويها هو أيضاً البدن ، ونظام سماته فيه . فإذا فارقت أحست بذلك للعادة العظيمة ، وتأذت أذى عظيماً . لكن هذا الأذى وهذا الألم ليس لأمر ذاتي ، بل لأمر عارض غريب ؛ والعارض الغريب لا يدوم ولا يلبس ، ويذول ويبطل مع ترك الأصل التي كانت تثبت تلك الهيئة بتكررها . فيلزم إذن أن تكون العقوبة التي بحسب ذلك غير حادثة ، بل تذول وتنحس قليلاً قليلاً حتى تزكو النفس ، وتبلغ السعادة التي تمنحها .

(١) ها : له هـ | لها : له هـ .

(٢) منغصة : مرتصة عاشر ج || اللعنة : اللعنة ج .

(٣) عليها : عليه هـ .

(٤) وليها : عليه ج ك وليه هـ || كانت قريبة : صكان قريب ج ، ص ، هـ || حالها وهي : حاله

وهو ج ، ص .

(٥) لا يلبسها : تزول لظلمته ص ؛ لا يلبسها هـ || كالمها : كالمه ج ، ص ، هـ || منه : ساقطة من ص

|| معها يصدها : منه يصده ج ، ص ، هـ .

(٦) سماتها : سماته ج ، ص ، هـ .

(٧) إنّ : ساقطة من هـ || مضادة : مصاد ج || لمهرها : لمهره ص ، هـ || لها : له ص ، هـ

|| يلويها : يلويه ص ، هـ .

(٨) فارقت : فارقت النفس البدن ص || العظيمة : ساقطة من ص .

(٩) العقوبة : العقوبات ص || غير : الغير ص || ونحس : ونحس هـ || قليلاً : ساقطة من ص .

وأما النفوس الهلّة التي لم تكنسب الشوق ، فإنها إذا فارت البدن وكانت غير مكتسبة للهبئات البدنية الرديّة ، صارت إلى سعة من رحمة الله تعالى ونوع من الراحة ، وإن كانت مكتسبة للهيئة البدنية الرديّة ، وليس عندها هيئة غير ذلك ، ولا معنى يضاده وينافيه ، فكون لا محالة ممّنة بشوقها إلى مفصاها ، فتعذب عذاباً شديداً بفقد البدن ومقتضيات البدن ، من غير أن يحصل للشوق إليه ، لأنّ آفة التذكر قد بطلت ، وخلق التعلق بالبدن قد بقى .

ويشبه أيضاً أن يكون ما قاله بعض المصنفين ، وهو أنّ هذه النفوس إن كانت زكية وفارقت البدن ، وقد رسخ فيها محو من الاعتقادات في العاقبة التي تكون لأمثلم ، حل مثل ما يمكن أن يحاطب به العامة ويصوّر في أنفسهم ذلك ، فإنهم إذا فارقوا البدن ولم يكن لهم معنى يجذب إلى الجهة التي هي موقعهم ، لا كمال فيحدوا تلك الحادة ، ولا شوق كال عيشقوا تلك الشقاوة ، بل كل عيشقهم النفسانية متوجّهة نحو الأسفل ، متجذبة إلى الأجسام ، ولا منع في التولد السهولة من أن تكون موضوعة لفعل نفس فيها ،

(١) البدن : الأبدان هـ .

(٢ ، ٣) صارت . . . الرديّة : سالفة من ب (٤) الهيئة : الهبئات هـ || وليس : ليس هـ
(أ) معنى : ما هـ .

(٥) ممّنة بفوقها : شوقها ب ، ع ، أ ، بقدر : بطلان ب ، هـ .

(٥) التذكر : ذلك هـ ، هـ .

(٧) أيضاً : سالفة من هـ || النفوس : الأنفس ج ، هـ ، هـ .

(٨) الاعتقادات : الاعتقاد ج .

(٩) لأنهم إذا : فإذا ب ، ع ، هـ .

(١١) كل : كانت ج ، هـ .

(١٢) ولا : فلا هـ || منع : محض ب ، هـ .

لأنها تتخيل جميع ما كانت اعتقدته من الأحوال الأخروية ، وتكون الآلة التي يمكنها بها التخيل شيئاً من الأجرام السماوية ، فتشهد جميع ما قيل لها في الدنيا من أحوال القبر والبعث وانفجرات الأخروية . وتكون الأنفس أودية أيضاً تشهد القلب للصور لهم في الدنيا؛ وأن الصور الخيالية ليست نصف من الحسية ، بل تزداد عيباً تأثيراً أو صفاء ، كما يوجد في المنام ، وذلك أشد استقراراً من الموجودة في اليقظة بحسب قسمة الموائع ، وتجرد النفس ، وصفاء القابل .

ولست الصور التي ترى في المنام ، والتي تحس في اليقظة إلا للرئسة في البطاسيا وللطنون ، إلا أن أحدهما يحدى من باطن وينحدر إليه ، والثاني يحدى من خارج ويرتفع إليه ، فإذا ارتسم في البطاسيا تمّ هناك الإدراك لشهد . وإنما يلزم ويؤلم بالحقيقة هذا الرسم في النفس ، لا الموجود في خارج . فإذا ارتسم في النفس قبل فعله ، وإن لم يكن سبب من خارج ، فإن السبب الثاني هو هذا للرسم من خارج سبب العرض .

فهذه هي السعادة والشقاوة الخسيتين والذات بالقياس إلى الأنفس الخسيسة .

وأما الأنفس القدسية فإنها تتجلى عن مثل هذه الأحوال ، وتتصل بكاملها بالذات

(٢١) يمكنها بها التخيل شيئاً : يمكنها تخيل شيء من .

(٣) الأنفس : للأنفس ب ، هـ || أيضاً : ساقطة من ب ، هـ س : تساعد : ساقطة من ب ، هـ ، هـ .

(٤) أو صفاء : أو صفاء س : وصفاء هـ .

(٥) النوم : النوم س || وذلك : ربما كان لغوهم به أعظم شأنًا في باب من المحسوس على أن الأخرى منه

(٦) والتي تحس : وتحس هـ || البطاسيا : بطاسيا ج ، هـ س : النفس هـ .

(٨) وللطنون : ساقطة من هـ .

(١٢) الخسيتان : الخسيتان ج || الخسيسة : طيبة ج .

(١٣) الأنفس : ساقطة من هـ || القدسية : القدسية ج ، هـ ، هـ ، هـ || بكاملها : بكاملها ج .

وتنضم في اللذة العقلية الحقيقية ، وتنبه عن سطر إلى ما حذنها ، وإلى اللسكة التي كانت لها كل التجري ، ولو كان بقي فيها أثر من ذلك اعتدادي أو خلق ، تأذت به ، وتخنفت لأجله من درجة عالين إلى أن تنفخ ، والله أعلم .

-
- (١) الطلبة : ساطعة من ب ، س ، هـ || ملكة : بـ ، وال ملكة : ا الملكة هـ .
 (٢) لها : بها ج || أثر : أمر ب || وتخنفت : وحشت ب ا وتخنفت ج .
 (٣) هلين : العليين ب || والله أعلم : ساطعة من ب ، ج ، هـ .

الفصل السادس عشر

في محل هذه الرسالة

إني تركت في هذه المقالة الكلام في الأمور الظاهرة من علم النفس ، إلا ما لم يكن منه بداً ، وحسشت النطاء ، ورافعت الحجاب ، ودلت على الأسرار الخزونة في بطون الكتب ، للصنوع بالتصريح بها ، ترقياً إلى إخواني ، وحقاً بأن الزمان قد خلا من الوارثين لهذه الأسرار تنقيهاً ، وعن للتندرين على الإحاطة بها استنباطاً ، وبأساً من أن يكون للراغب في تخليد العلم وإيراثه من بعده وجهٌ رحبةٌ إلا تدويله وإيداعه الكتب نسطراً ، دون الاعتماد على رغبة يتمم في تحفته على وجهه ، وحفظه وإيراثه من بعده ، ودون الاعتماد على هم أهل العصر ومن يكون قد قدم مثلهم في التفتيش من مواضع الرمز وتادويله إن رُمز به ، وتبسط القول الرجيز عليه إن التصريح . ثم حرمت على جميع من يقرؤه من الإخوان .

(٢) في محل هذه الرسالة : ساطع من س .

(٣) في الأمور الظاهرة : الظاهر .

(٤) ودلت : ودلتنا ب || بطون : ذواها ه .

(٥) جرباً : جرباً ج || ساطعة من س || وعة : وعباً ج ، ه || من : من ج .

(٦) تلقياً : تلقياً ج || وعن : وعن ب || وبأساً : قبساً لا ج .

(٧) الراغب : الراغب ج || بعده : ولا يكون له ج || وجه رحبة : وجه حبة ه || الكتب :

الكتب ب ، ج ، ه || نسطراً : نسطراً ج ، س .

(٨) الاعتماد : الاعتماد س .

(٩) مواضع : مواضع واضح ه (٩ ، ١٠) رمز ه : رمزه ج (١٠) إن : إن ج || عليه :

عليه ج ، س .

أن يبذل نفسه شريفة أو معاندة ، أو يظلمها عليه ، أو يصعه في غير موضعه . وجعلت الله تعالى خصمه مني . وهو للشئول التوفيق أن يتم به الحق . أن يهدي إليه ، وله الحمد على كل حال ، وصلواته على المصطفين من عباده ، وخصوصاً على صاحب شريعتنا محمد وآله للفقدين به . وهو حسبنا وسم الوكيل .

تمت الرسالة بحمد الله وتوفيقه .

(١) في : سالمة من ع .

(٢) وصلواته : وصلاته الله . (٥ . ٣) وخصوصاً . . . وتوفيقه : تم الكتاب وحسبنا الله وسم الوكيل .

(٣) للفقدين به وهو حسبنا [الذين استأجرنا] وحسبنا ع .

(٤) تم . . . وتوفيقه : سالمة من ع .

(٥) تم . . . وتوفيقه : تم كتاب النفس المسكينة لا يسهل في وقت ضيقة الكبرى في صامع عصر من شهر ربيع الأول يوم الخميس سنة خمس ومئتين ومائة على يد الفقير الضعيف المعروف بالهجر والتقصير المحتاج إلى رحمة ربه المودود أحمد القوي أمست الطالبين عبد الله مصطفى ، الحق منجياً ، للتأريدي اعتقاداً ، القاهري منزلاً . وقد لفت في شهر الروم المبرورة الآن في القسطنطينية المحبة صاتها الله من البنية ، يدار السلطنة المشابة من وقت ظهر السلطنة الثانية ليض الله الذي المثلول (١) اللهم يا ذا الجلال والإكرام وبهرمة حبيبك المصطفى ندم له وتجاوز من سيئاته وأجل له في وسط طرف الجنان آتيت يا حبيب السائلين وصل الله على سيدنا وعالمنا وتهدينا إلى سبيل الرشاد وعالمنا في يوم القيامة محمد قدي في قرآن يهديه بقوله : « ولأنك لكل خلق عظيم » وعلى آله السكرام وأصحابه الأخبار لما قيل في حقهم أصحاب كالتجوز ، يأتيهم القديم اعتداتهم وضوان الله تعالى عليهم آمين ولأمة المجتهدين والحمد للعلمين في يوم القدي والحمد لله رب العالمين . الله واحد لا شريك له في الملك ، وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً .

ثلاث رسائل في النفس لابن سينا

- ١- بحث عن القوى النفسانية
- ٢- رسالة في معرفة النفس الناطقة وأحوالها
- ٣- رسالة في الكلام على النفس الناطقة



١- بحث عن القوى النفسانية

[رأيت إتماماً لفائدة أن أضيف إلى رسالة أحوال النفس للشيخ الرئيس ثلاث رسائل أخرى من تأليفه في علم النفس ، وهي القوى النفسانية ، ورسالة في معرفة النفس الناطقة ، ورسالة في الكلام على النفس الناطقة . ومعلم هذه الرسائل مما يميز الحصول عليه على الرغم من أنها طبعت من قبل . وبذلك يتيسر الاطلاع على الرسائل النفسية لابن سينا في مجموع واحد .

وسكنت أود أن أرجع في تحقيق الرسائل ، لأولين إلى مخطوطات جديدة ، لولا أنني وجدت هذا العمل سوف يؤثر صدور الكتاب ، فأكتفت بالنظر في المطبوع وتصويب ما فيه من أخطاء بالذوق العربي ومعرفة سياق الكلام . وقد حذفت جميع الاختلافات الموجودة في الهامش ، حتى لا يضل القارئ في تيه من التراءات . وأترك تحقيقاتها للناس لأن يريد في طبعة مستقلة .

طبع رسالة القوى النفسانية للشيخ الرئيس في لندن عام ١٨٧٥ ، ثم قام بطبعها مرة أخرى بعد الرجوع إلى طبعة لاندور وتصحيحها للشيخ فنديك وذلك عام ١٩٠٦ م - ١٣٢٥ هـ ، بمطبعة المعارف . ووضع لها مقدمة شرح فيها النسخ التي رجع إليها ، سواء العربية أو اللاتينية أو العبرية .

والرسالة عنوانها ثلاثة هي : هدية الرئيس أبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا أهداها للأمير نوح بن منصور الساماني ؛ والثاني : بحث عن القوى النفسانية ؛ والثالث : كتاب في النفس على سنة الاختصار ومقتضى طريقة المنطقيين [.



سازمان اسناد و کتابخانه ملی

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم . رب يسر وأنهم بخير يا كريم .

قال الشيخ الرئيس الإمام العلامة المحقق المدقق حجة الحق على الخلق ، طيبب الأطباء ،
فيلسوف الإسلام ، أبو علي بن سينا ، رحمه الله تعالى :

حبر المبادئ ما زُيِّنَ بالحد لواحد القوة على حده ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد
نبيه وهدى ، وآله الطيبين الطاهرين من سلته .

وبعد ، فلولا أن العادة سوفت للأصاغر الانسلاط إلى الأكوار لاستعصمت عليهم
سهل الاعتصام بمرام ، والاستعانة بقوام ، والالتناء إلى خدمتهم ، والانحياز إلى جملتهم ،
والمهاجرة بالانصال لهم ، وللهادة في الاتكال عليهم ؛ بل لارتفع ارتباط العام بالخاص ، وامتناد
الرعية على الراعي ، وتمركز الراعي بالقوى ، واعتمس السائل بالعل ، واستكمال الجاهل بالعاقل ،
واقبال العاقل على الجاهل .

ولما وجدت العامة قد تهيجت هذه الحادة ، وشرعت هذه الشدة ، ظفرت بمنز
لنفسى في الانسلاط إلى الأمير - أطال الله بقاءه - بهدية ؛ فسقطت الفكر على اختيار
أرضى ما يتضمنه معنى لديه ، بعد ما تحققت أن رأس النصال اثنين : حب الحكمة
في العقائد ، وإيثار الزكي من الأفعال في القاصد . ووجدت الأمير - أطال الله بقاءه - قد
أعطى نفسه النفيسة من رونق الحكمة ما برز به بذناً لأقرانه ، غالباً على أشكاله ؛ فخبئت
أن آثر الهدايا عنده ما أدى إلى آثر النصال وهو الحكمة .

وكنت قد استغذت في تصفح كتب العلماء جهدى ، فصادت المباحث من القوى
النفسانية من أعصاها على الفكر تحصيلاً ، وأمرها سبلاً ، ورويت عن عدة من الحكماء
والأولياء أنهم اتفقوا على هذه الكلمة وهي : مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ . وسمعت رأس

الحكماء يقول على وفاق قولهم : مَنْ جُزَّ عن معرفة نفسه ، فأخفق به أن يميز عن معرفة خالقه . وكيف يرى المؤمن به في علم شيء من لأشياء بعد ما جهل نفسه .

ورأيت كتاب الله تعالى يشير إلى مصدق هذا بقوله عز وجل في ذكره البعداء عن رحمة من الضالين : « سوا الله فأسلم أنفسهم » . أليس تعاقبه نيلان النفس بنسائه تنبيهاً على تقريبه تذكره بهذا كرها ، ومعرفة معرفتها .

وقرأت في كتب الأوائل أنهم كُتِّموا حضور في معرفة النفس بوحى هبط عليهم يعمش الهياكل الإلهية يقول : « اعرف نفسك يا إنسان تعرف ربك » . وقرأت أن هذه الكلمة كانت مكتوبة في حجاب هيكل أسفليوس ، وهو معروف عندم في الأنبياء ، واشتهر من معجزاته أنه كان يشي المريض بصريح الدعاء ، وكذلك كل من تكلم بهيكله من الرهبان ، ومنه أخذت الفلاسفة علم الطب .

فأريت أن أحمل للأمير كذا في النفس على سنة الاحتصار .

وأما أسأل الله تعالى أن يطيل بقاءه ويصون من المنين حوائجه ، وينمش به الحكمة بعد ذبونها ، وينضرها بعد غفلها ، ويحدد دولتها بدولته ، ويؤيد أيامها بأيامه ، لهم بمكانه النفع بمكان أهله ، ويغزر عدد طالبي فصلها ؛ وما توفيق إلا بالله ، وهو حسبي ونعم المحين .

وجبت الكتاب فصلاً عشرة :

الفصل الأول : في إثبات القوى النفسانية التي شرعت في تفصيلها وإيضاحها .

الفصل الثاني : في تقسيم القوى النفسانية لأول ، وتحديد النفس على الإطلاق .

الفصل الثالث : في أنه ليس شيء من القوى النفسانية حادثاً عن امتزاج العناصر الأربعة ، بل وارد عليها من خارج .

الفصل الرابع : في تفصيل القول في القوى النهائية ، وذكر الحاجة إلى كل واحدة منها .

الفصل الخامس : في تفصيل القول في القوى الحيوانية ، وذكر الحاجة إلى كل واحدة منها .

الفصل السادس : في تفصيل القول في الحواس الظاهرة ، وكنية إدراكها ، وذكر الخلاف في كيفية الإبصار .

الفصل السابع : في تفصيل القول في الحواس الباطنة ، والقوة المحركة للبدن .

الفصل الثامن : في ذكر النفس الإنسانية من مرتبة بدنها إلى مرتبة كمالها .

الفصل التاسع : في إقامة البراهين الضرورية في حوسمية النفس الناطقة على طريقة المنطقيين .

الفصل العاشر : في إقامة الحجة على وجود حوسمة عقل مفارق للأجسام ، فأنهم للقوى العقلية مقام اليهود ومقام الصور للإبصار ، ويمن أن النفوس الناطقة تبقى متحدة به بعد موت البدن آمنة من الفساد والتمير ، وهي المسمى العقل الكلى .

الفصل الأول

في إثبات القوى النفسانية التي شرعت في تفصيلها

من رام وصف شيء من الأشياء قبل أن يضم فيثبت أولاً إتيته ، فهو معدود عند الحكماء من زاعغ من محبة الإيصاح ؛ فواجب علينا أن نتجرد أولاً لإثبات وجود القوى النفسانية قبل الشروع في تحديد كل واحدة منها ، وإيصاح القول فيه . ولما كانت أحسن النواحي بالقوى النفسانية شيئين : أحدهما التحريك ، والثاني الإدراك ، فواجب علينا أن نبين أن لكل جسم متحرك حركته ؛ ثم يبين لنا من ذلك أن الأجسام المتحركة بحركات زائدة على الحركات الطبيعية كالحابطة القتيبة ، والصاعدة الخفيفة ، لها مثل حركتها نفسها قوياً أو قوياً نفسانية ، وأن نبين أن بعض الأجسام مهيأ رسم بأنه مدرك ، فإن إدراكه لن يصح نسيجه إليه إلا لقوى فيه متصلة من الإدراك . وننتهي ونقول :

إن مما لا يصادف العقل فيه ريبه أن الأشياء منها ما اشتركت في شيء واختلفت في آخر ، وأن المشترك فيه غير المختلف ؛ ويصدق كافة الأجسام مشتركة في أنها أجسام ؛ لم يصادفها بعد ذلك متفرقة في أنها متحركة وإلا لا وجود لذات الكون بل لا حركة إلا على بغير مستدير ، إذ الحركات المستقيمة قد تقرر من صورتها أنها لن تنفذ إلا من وقفات وإلى وقفات . فبين أن الأجسام لن توصف بالحركة لأجسام ، بل لعل زائدة على جسميتها منها تصدر حركاتها صدور الأثر عن المؤثر .

وإذا قد تبين لنا هذا فنقول :

إننا وجدنا من الأجسام الخفيفة من العناصر الأربعة ما يتحرك لا بالقصر ضريين من الحركة بينهما خلاف ما ، أحدهما يلزم عنصره لاستيلاء قوة أحد الأركان عليه ، والفضائيات

تحريكه إلى حيزه المجهول له بالطبع ، كحركة الإنسان بطبع المنصرم الراجع التقليل إلى أسفل . وهذا الضرب من الحركات لا يوجد إلا إلى جهة واحدة وسبابة واحدة . وثانيهما بخلاف مقتضى عنصره الذي هو إيمان السكون في الخير الطبيعي حالة الاتصال به ، كتحريك الإنسان بدنه إلى مستقره الطبيعي وهو وجه الأرض ، وإما الحركة إلى الخير الطبيعي حالة مبدئته وذلك مثل حركة الحيوان الطائر بجسمه الثقيل إلى العلو في الجو ؛ فبين أن الحركتين حلتين ، وأنها مختلفتان ، إحداهما تسمى طبيعية ، وثانيتهما تسمى غشاً أو قوة نفسانية ؛ فقد صرح من جهة الحركة وجود القوى النفسانية .

وأما من جهة الإدراك ، فلأن الأجسام توحد مشتركة في أنها أجسام ، ومفترقة في أنها حركات . فبين بالتدوير الأول أن الإدراك لن يفرق عنها بذاتها ، بل بقوى محمودة فيها . فقد انضغ هذا الضرب من التبيان أن للقوى النفسانية وجوداً ؛ وذلك ما أردنا بيانه .

الفصل الثاني

في تقسيم القوى النفسانية بالقسمة الأولى وتحديد النفس على الإطلاق

قد سبق منا لإضاح أن الأشياء منها ما اشتركت في شيء ، وافترقت في آخر ، وأن المشترك فيه غير للفرق فيه ؛ ثم وجدنا الأجسام المركبة للثلاثة - أعني ذوات النفوس - قد اشتركت في كلتي خاصتي تحريكها وإدراكها . أما في التحريك ، فلأن كائنها قد اشتركت في أنها تتحرك في السهم حركة المو ، وافترقت بأن شرطاً منها يتحرك مع ذلك حركات مكانية بحسب الإرادة ، وشرطاً منها لا يتحرك كالنبات . وبمثلها الأجسام المهيوانية قد اشتركت في أنها حساسة مدركة ضرباً من الإدراك الحسي ، ثم افترقت بأن شرطاً منها مدرك مع ذلك بالإدراك العقلي ، وشرطاً منها لا يدرك به ، كالخار والفرس . ثم وجدنا قوة التحريك أهم من قوة الإدراك لما رأينا النبات صفاً عنها ، فحسبنا أن القوة التي وقع فيها الحيوان مع النبات اشتركتها أهم من هذه القوة للمدركة والحركة التي في الحيوان ، وكل واحدة منها أهم من القوة للنبات التي للإنسان . فحصلت لنا القوى النفسانية مرتبة بحسب اعتبار العموم والتخصص على ثلاث مراتب : أولاً تعرف بالقوة النباتية لأجل اشتراك الحيوان والنبات فيها ؛ وثانيها تعرف بالقوة المهيوانية ؛ وثالثها تعرف بالقوة العقلية . فإذاً الأقسام الأول للنفس بحسب اعتبار قواها ثلاثة .

وأما القول في تحديد النفس الكلية ، أعني لطلقة الجسمية ، فذلك سيضع على ما سأقول : إن من البين أن كل واحد من الأجسام الطبيعية مركب من حيولى ، أعني المادة ، ومن صورة . أما الحيولى فمن خاصيتها أن بها يعمل الجسم الطبيعي بالذات ، إذ السيف لا يقطع بحديد بل بحدته ، التي هي صورته ، وإعما يتل بحديد لا بحدته . ومنها أن الأجسام

لا تفرق بها أعضا الميول ، فإن الأرض لا تفرق للماء بمادتها بل بصورتها . ومنها أنها لا تغيد الأجسام الطبيعية ماهيتها الخاصة إلا بالقوة ، إذ الإنسان ليست إنسانيته بالفعل مستفادة من العناصر الأربعة إلا بالقوة . وأما الصورة فخاصيتها أن بها تؤدي الأجسام أفعالها ، إذ السيف ليس يقطع بحديدته بل بمحدثه ، وأن الأجسام إنما تتأثر بمحدثها ، أعضا الصورة ، إذ الأرض لا تتأثر للماء إلا بصورتها ، فاما بمادتها فلا ، وأن الأجسام الطبيعية إنما تستفيد ما هيأها بالفعل من الصورة ، إذ الإنسان إنسانيته بالفعل بصورته لا بمادته من العناصر الأربعة .

لنتخطى قليلاً فنقول : إن الجسم الحى جسم مركب طبيعى يمايز غير الحى بنفسه لا يبدنه ، وبمثل الأفاعيل الحيوانية بنفسه لا يبدنه ، وهو حى بنفسه لا يبدنه ؛ ونفسه فيه ، وما هو فى الشئ ، وهذه صورته ، فهو صورته . فالنفس إذن صورة ، والصور كالات ، إذ بها تكل هويات الأشياء ، فالنفس كمال . ولكالات على قسمين : إما مبادئ الأفاعيل والآثار ، وإما ذات الأفاعيل والآثار ، وأولها أول والآخرة ثان ؛ فالأول هو المبدأ ، والثانى هو النمل والأثر . فالنفس كمال أول لأنها مبدأ ، لا صادرة عن المبدأ . ولكالات منها ما هى للأجسام ، ومنها ما هى للحيوانية . فالنفس كمال أول لجسم ؛ والأجسام منها ما هى صماء ، ومنها ما هى طبيعية . والنفس ليس بكال جسم صماء ، ففى كمال أول لجسم طبيعى . والأجسام الطبيعية منها ما تفعل أفعالها بآلات ، ومنها ما لا تفعل أفعالها بآلات كالأجسام البسيطة والعاقل بقلبة القوى البسيطة . وإن شئنا قلنا : إن الأجسام الطبيعية منها ما من شأنها أن تصدر عن ذواتها أفاعيل حيوانية ، ومنها ما ليس ذلك من شأنها . ثم النفس ليست بكال للقسمين الأخيرين من كلا الوجهين . فإذا تمام حدها أن يقال : إنها كمال أول لجسم طبيعى آلى ، وإن شئنا قلنا : كمال أول لجسم طبيعى ذى حياة بالقوة ، أى مصدر الأفاعيل الحيوانية بالقوة . فإذن قد قسمنا النفس الجنسية وحددناها ؛ وذلك ما أردنا بياته .

الفصل الثالث

في تقرير أنه ليس شيء من القوى لفسائية بمحدث من امتزاج العناصر

بل وارد عليها من خارج

الأشياء المختلفة مهما تركبت وحصل في تركيب صورة ، فلما أن تكون ماثلة إلى شيء من صور البسائط أو لا تكون كذلك . فإن لم تكن كذلك ، فلما أن تكون حاصلة من جملة صور البسائط بحسب مفارقة التساوي ، ولما أن لا تكون متتمة إلى شيء من صور البسائط ، بل تكون صورة زائدة على مقتضى صور البسائط بحسب اعتبارها بالبساطة ، وبحسب اعتبارها بالتركيب . أما مثال القسم الأول فالعلم المائل إلى اللزوجة عند تركيب صبر غالب وحصل ملوب . وأما مثال الثاني فالعلم الأدكن للكاف في النسبة إلى طرفي البياض والسواد الحاصل عند تركيب أبيض وأسود مقوسين . ومثال الثالث من الأقسام المذكورة فنفس الخاتم الحاصل في الطين للركب من القرب اليابس ، والماء السائل ، عند احتلاطهما ؛ فعلوم أن النفس الحاصل في الطين ليس بمقتضى صور البسائط ، لا إذا اعتبرت بحسب التركيب ، ولا إذا اعتبرت بحسب البسائط . ومعلوم أن القسم الأول إذا كان واقعاً بين بسائط متضادة الصور ، لا بحسب الاحتلاط ، بل بحسب الامتزاج ، أن الأضداد المتعربة لا يكون لها في ذواتها أو في تأثيراتها الخاصة بها وجود ، لا امتناع سريان خديين في حامل واحد معاً ، بل تكون غاية تأثيراتها لإحلال النفس بقوة الغالب فقط . ومعلوم أن القسم الثاني منها وجد أوجب التكافؤ والتساوي في مقتضى أفاعيل صور البسائط ومقتضى اشتمالاتها . ومعلوم أن القسم الثالث إذا وجد لم يكن حاصلًا من ذات التركيب ، إذ ليس له اعتبار لا بحسب صورته البسيطة ولا للركبة ؛ فإذن هو مستفاد من خارج .

فواجب إذ قدمنا هذه المقدمات أن نخوض في موضوعنا ، فنقول :

إن النفس إنما حصلت في الأجرام المركبة المتضادة الصور ، ولا يخلو حصولها فيها من أحد الأقسام الثلاثة ، لكنه ليس من القسم الأول ، وإلا فهو حرارة أو برودة أو يهوسة أو رطوبة ، وقع في أيها كان خصه . وكيف نستعد إحدى هذه القوى أن تصدر من نفسها ، لأنها لا تحصل النفس للتركيب ، وما كانت شغلت به حالة كمالها وقوتها ؛ بل كيف يتحرك شيء منها إلا إلى جهة واحدة فقط ؛ ولماذا يجب مقتضى المناصفة مع الحركات النفسانية حتى تورث مما يصحها كلالاً ؛ إذ تأثير شيء واحد بالذات لا يقع فيها بمائة .

ولا هو من القسم الثاني ، إذ وجود القسم الثاني من التحصيل . وذلك أن العناصر معاً تركبت على تساوي القوى أوجب ذلك فيها بطلان جميع التأثيرات المنسوبة إلى كل واحد منهما ، فلم يكن إذ حلا من المركب أن يتحرك لا إلى جهة الطور ، وإلا فالحرارة غالبة والبرودة مغلبة ، ولا إلى أسفل ، وإلا فالبرودة غالبة والحرارة مغلبة ، بل ولا أن يسكن في أحد الأجزاء الأربعة ، وإلا فالطبيعة الجاذبة إليها فيه . وقد ظهر إن جميعها متساوية في الغلبة والمغلبة ، وهذا حلف ؛ فإذا هذا الجسم لا ساكن ولا متحرك . وكل جسم أحاط به جسم فإما ساكن وإما متحرك ، وهذا أيضاً حلف ، وما أدى إلى الخلف فهو حلف . فقولنا : إن العناصر قد يمكن أن تتركب على تساوي القوى حلف ، فنتقيضه ، وهو قولنا : إن ذلك ممنع صادق . فإذاً ليس حصول النفس على سبيل القسم الثاني . وقد قيل إن ما كان على سبيل القسم الثالث فهو مستفاد من خارج ، فالنفس مستفادة من خارج ؛ وذلك ما أردنا أن نبين .

الفصل الرابع

في تفصيل القوى النباتية وذكر الحاجة إلى كل واحدة منها

الأجسام المتنفسة ، أهي ذوات النفوس ، إذا اعتبرت من جهة قواها النباتية ، وجدت مشاركة في التمذي ، مفرقة في النمو والتوليد : إذ من المنفذات ما لا ينمو ، مثل : الجوهر الحلي الباع كالنشوء وزمان الوقوف ، أو للنحط عنه بالذبول ؛ ولكن كل نام منفذ . وإذا من المنفذات ما لا يولد كالزهر التي لم تنحصد بعد ، والحيوان الذي لم يدرك ؛ ولكن كل مولد فهو لا محالة قد تقدم عليه التغذية . وحالة التوليد لا تخرى عن التغذية .

ثم نجد ما بعد الاشتراك في التمذي مشاركة في النمو ، مفرقة في التولد ، إذ من النامية ما لا يولد ، مثل الحيوان العير المدرك والودود ؛ وسكن كل مولد قد تقدم عليه النماء ، وحالة التوليد لا تخرى عن الإتمام . فإن القوى النباتية ثلاث : أولها التغذية ، وثانيها للنمية ، وثالثها المولدة . والتغذية كالماء ، والنمو كالتربة ، والنسبة كالواسطة الرابطة الناية بالمبدأ . وإنما اضطر الجسم المتفلس إلى القوى الثلاث ، لأن الأمر الإلهي لما ورد على الطبيعة بأكملها تكوين إلى المركب من العناصر الأربعة لحكمة اقتضته ، وكانت الطبيعة بذاتها لا تقدر على إنشاء الجسم المتفلس دفعة واحدة بل بإعانة قليلاً قليلاً ، وكان الجوهر المركب تركيباً حيوانياً قابلاً لتحلل وتحويل بطاوعه ، وكان للمركب من الأضداد لا يحتمل البقاء المديد المقصود منه ، احتاجت الطبيعة إلى قوة تقدر بها على إنشاء الجسم الحلي بالإعانة فرغدت من العناية الإلهية بالقوة للنمية ؛ وإلى قوة تقدر بها على حفظ مقدار الجسم المتفلس عليه لئلا ما يهلك التحلل منه فأيدت من العناية الإلهية بالمعذية ؛ وإلى قوة تهين من الجسم الطبيعي الحلي جبراً مجتهداً ، حتى إذا حل الفساد بالجسم استخلف لنفسه بدلاً ليتوصل بذلك إلى استبقاء الأنواع ، فأعينت من العناية الإلهية بالقوة المولدة .

ويجب أن نتحقق أن القوة المنمية ، وإن وُجدت من الجهة التي ذكرنا تالية للمغذية ، والمولدة تالية للمنمية ، فإن شأن الثلاث في استيلائها على تكوين الجسم الحى وحفظه بخاص أهملها بالعكس من ذلك ؛ فإن أول ما يستولى على المادة المهيئة لقبول الحياة هي القوة المولدة ، فإنها تلبس المادة أولاً صورة المقصود بخدمة المنمية والنافذية ، فإذا حصلت فيها كمال الصورة سلمت الولاية إلى المنمية ، فتستول عليها المنمية بخدمة المغذية وتحركها - مع حفظ صورتها - على تناسب الأنظار الثلاثة التي هي الطول والعرض والعمق تحريكاً شوبهاً إلى الفرض المقصود من المنمية ، ثم تنف ، وتستول على المادة للقوة المغذية .

فالقوة المولدة مخدومة غير خادمة ، وبإزائها القوة العادية خادمة غير مخدومة . والقوة المنمية مخدومة من وجه خادمة من وجه . والقوة المغذية ، وإن لم توجد مخدومة في القوى النفسانية ، فإنها قد تستخدم القوى الأربع من الطهية ، أعنى الحادية والماسكة والماسصة والنافذة . وكما أن المقصود في التصوير إنما هو تمثيل الصورة في المادة على الهيئة المقصودة ، لا تمثيل العمو والتشديد ، إذ إنما احتيج إليهما لأجل تمثيل الصورة المقصودة لا بالعكس ، فكذلك النافذة في القوى هي القوة الدارئة دون المنمية والنافذة . فإذا كانت القوة المولدة تقدم الملة النافذة . وبالله التوفيق .

الفصل الخامس

في تفصيل القوى الحيوانية وذكر الحاجة إلى كل واحد منها

أقول : إن كل حيوان حاس فهو متحرك بالإرادة ضرباً من الحركة ، وكل حيوان متحرك ضرباً من الحركة بالإرادة فهو حاس ، إذ الحس فيها لا يتحرك بالإرادة معطل لا يفيد ، وعدمه فيها يتحرك بالإرادة صار . وطبيعة - لما قرئت بها من العناية الإلهية - لا تعطى شيئاً من الأشياء معطلاً ولا صاراً ، ولا تمنع ضرورياً ولا مافياً . وعلى ما لا يستترض علينا فنقول : إن الأهداف مما يحس ولا يتحرك بالإرادة . إلا أن هذا الاعتراض يزول سريعاً بالتجربة ، فإن الأهداف وإن لم تتحرك من مواضعها ضرباً من الحركة المسكوبة الآلية بالإرادة ، فإنها قد تنقبض وتنسبط في داخل صدعها ، وعلى ما شاهدناه بالعيان ، على أن قد جربت غير مرة أقلبت الصدع على ظهره حتى تباعد موضع جذبه الغذاء عن الأرض ، فزال بضارته سعى عاد فوقف على بحيث يسهل له بها جذب الغذاء من الأرض الجثة .

وإذا قد تحقق لنا هذا فنقول : إن الحكمة الإلهية ما اقتضت أن يكون حيوان متحرك بالإرادة مركباً من العناصر الأربعة ، وكان لا يؤمن عليه أضرار الأمكنة المتدانية عليه عند الحركة ، أي بالقوة التسمية حتى يهرب بها عن السكان الغير ثلاثم ، ويقصد بها السكان للثلاثم . ولما كان مثله من الحيوانات لا يستعنى بجهته عن التعدي ، وكان اكتسابه للغذاء بضرب إرادى ، وكان من الأعلمة ما يوافقها وسها ما لا يوافقها ، أهد بالقوة الذوقية . وهاتان القوتان نافعتان ضروريان في الحياة ، والبهوات يوافع غير ضروريات .

ويلى الذوقية في تأكيد الحاجة إليها القوة الشمية ، إذ كانت الروائح تدل الحيوان

على الأغذية الملائمة دلالة قوية ، ولم يكن للحيون مدٌّ من الغذاء ، ولم يكن غذاؤه يحصل له إلا بالاكْتساب ، أوجبت العناية الإلهية وضع القوة الشامة في أكثر الحيوان .

والتي تلي القوة الشامة في المنفعة هي القوة البصرة ، ووجه منفعتها أن الحيوان المتحرك بالإرادة لما كان تحريكه على بعض المواضع كوفد الثور ، ومن بعض المواقع كقتل الجبال وشطوط البحار مما يؤدي به إلى الإضرار به ، أوجبت العناية الإلهية وضع القوة البصرة في أكثر الحيوان .

والتي تلي القوة البصرة في المنفعة هي القوة السامعة ؛ ووجه منفعتها أن الأشياء الضارة والنافعة قد يستدل بها بخاص أصواتها ، فأوجبت العناية الإلهية وضع القوة السامعة في أكثر الحيوان . على أن منفعة هذه القوة من النوع الدقيق من الحيوان تكاد تفوق الثلاث ، فهذا ذكر وجه منافع الحواس الظاهرة الخمس .

ولما كان أكثر الوصول إلى معرفة المعاني وملائم إعمالها يكون بالتعربة ، أوجبت العناية الإلهية وضع الحاسة المشتركة ، أعني القوة المتصورة في الحيوانات ، ليحفظ بها صور الحسوسات ؛ ووضع القوة المتذكِّرة الحافظة ليحفظ بها المعاني المدركة من صور الحسوسات ؛ ووضع القوة المنحولة ليستعمل بها ما ينبغي من الذكر بضرب من الحركة ؛ ووضع القوة المقوِّمة ليوقف بها على صحيح ما يستنبطه التخيل وسبقه ضرباً من الوقوف الظلي حتى يعيِّنه في الذكر .

وأما وجه الحاجة إلى القوة والحركة ، فلأن الحيوان لما لم تكن حاله كمال النيات في جذب النافع من الأغذية ، ودفع العار المانع ، بل كان ذلك له بضرب من الاكْتساب ، احتاج إلى قوة محركة لاجتذاب النافع ودفع العار . فإذا جميع القوى في الحيوان إما مدركة ، وإما محركة . والمحركة هي القوة الشوقية ، وهي إما محركة إلى طلب مختار حيواني ، وهي القوة الشهوانية ؛ وإما محركة إلى دفع مكروه حيواني ، وهي القوة العنصرية . والمدركة إما ظاهرة

كالجواس الخس ؛ وإما باطنة كانتصورة وبشخيلة وانثومة والتذكرة ، والقوة المحركة لا تحرك إلى عند إشارة جازمة من القوة الوهمية باستخدام التخيلة .

والقوة المحركة في الحيوان الغير لائق هي الغاية ، وذلك لأنه لم توضع فيه القوة المحركة ليصلح له بها أسباب الخس والتخيل ، بل إنما رخصت به القوة الحاسة والتخيلة ليصلح له بها أسباب الحركة .

وأما النوع الناطق على العكس ، لأنه بما وضعت فيه القوة المتحركة لينتهي بها إصلاح النفس الناطقة العاقلة المراكمة لا بالعكس .

فالقوة المحركة في الحيوان المير الناطق كالأمير المخدم ، والجواس الخس كالجواسيس للثبوت ، والقوة المتصورة كصاحب بريد الأمير إليه برجع الجواسيس ، والقوة التخيلة كالقبيح السامع بين الوزير وبين صاحب البريد ، والقوة المتصورة كالوزير ، والقوة التذكرة كخزانة الأسرار .

والفلك والنهب لم توضع فيهما القوة الحاسة والتخيلة ، وإن كان لكل واحد منهما نفس ، وكان له حياة ؛ أما الفلك فلا يرتفعه ، وأما النهب فلا يخطئه عنه .

الفصل السادس

في تفصيل القول في الحواس الخمس وكيفية إدراكها

أما القوة الباصرة فقد اختلف الفلاسفة في كمية إدراكها ، فزعمت طائفة منهم أنها إنما تدرك شمع يبرز عن العين هلال الحسوس المرئية ؛ وهذه طريقة أفلاطن الفيلسوف . وزعم آخرون : أن للقوة الباصرة تلافى لذاتها الحسوس المرئية . وقال آخرون : إن الإدراك البصري انطباع أشباح الحسوس المرئية في الرطوبة الجبلدية من العين عند توسط الجسم المشف بالعمل عند إشراق الضوء عليه ، انطباع الصورة في المرآة ، فلو أن المرآة كانت ذات قوة باصرة لأدركت الصورة للنقطة فيها ؛ وهذه طريقة أرسطو طاليس الفيلسوف ، وهو القول الصحيح المتيقن .

فأما بطلان قول أفلاطن ملك بين : لأن الشمع لو كان يخرج من البصر ويلاق الحسوس لكان البصر لا يحتاج إلى الضوء الخارج ، بل لكان يدرك في الظلمة ، بل ولكان ينور الهواء عند غروجه في الظلام . على أن هذا الشمع لا يجوز إما أن يكون قوامه بالعين فقط ، فإذا قول أفلاطن يخرج من العين محال ؛ وإما أن يكون قوامه بجسم غير جسم العين ، إذ لا بد له من حامل ، إذ الشمع كمية عرضية ؛ وذلك الجسم لا يجوز إما أن يكون مذهباً من العين ، ويلزم حينئذ أن لا تبصر العين جميع ما تحت السماء الصافي ، إذ الجسم لا ينفذ في الجسم بأسره ، اللهم إلا أن ينفذ ويحلف مكانه . ولعل الجسم يعتبر بالخللاء ، إلا أن أفلاطن حكى وجود الخللاء أبداً ، وعلى أننا إذا سلمنا وجود الخللاء مساحية ، فإن الجسم الخارج من العين إنما ينفذ في جسم الماء في بعض فرجه الداخلية لا في جميع عظمه ، فيجب بحسب هذا القول أن لا تبصر العين إلا بعض المواضع مما تحت الماء . وإما أن

يكون جسما متوسطا بين المُبْصِر والمُبْصَر ، فيقوم به الضوء الخارج من العين . هل أن هذا القول أيضا غير صحيح ، وذلك أن كل شيء من الأشياء فإنه في القرب من منبعه أقوى ، ولا سيما الضوء ، فيلزم من ذلك أن يكون الجسم المُبْصَر مهما أَدْنَى من العين أدنا ، قريبا كان إدراكنا حينئذ أقوى ، فإذا رفض الجسم للوسط فتدرك العين محسوسها ، فاللوسط الحامل للضوء لا حاجة إليه إلا بالامتداد ، وحينئذ لا حاجة للإبصار إلى خروج الضوء ، وهذا كذب ؛ إذن قول أفلاطن باطل .

وأما الذين قالوا إن المدرك للمعنى هو لقوة المتصورة بذاتها بانطباع صورة المحسوس فيها ، فقد جعلوا الغائب كالحاضر ، إذ القوة المتصورة قد توجد فيها صورة المحسوس مع غيبة المحسوس عنه ، من غير أن يوصف الحى حينئذ بالإبصار بل بالتحصيل والذكر . هل أن هؤلاء قد ارتكبوا شناعة أعظم من هذا ، إذ جعروا حلقة وتركيبها معطلين لا يحددان فائدة ، ولا يحتاج إليهما في الإدراك المعنى ، إذ القوة المتصورة تلاق بذاتها المحسوسات ، وتكفى الطبيعة مؤونة تهيئة الآلة ، فيلزم للصحيح أن أشباح الأشياء تختفي في المشف إذا كان مشفا بالفضل عند إشراق الصورة عليه فلا تظهر إلا في جسم صديل قابل لها ، كالمرآة وما شابهها . وفي العين رطوبة جلدية تنطبع فيها صور لأشياء انطبعها في المرآة ، وقد ركبت فيها القوة الباصرة ، فإذا انطبعت فيها أدركتها . ومدرجات البصر بالحقيقة هي الألوان .

وأما القوة السامعة فإنه تسمع الصوت ؛ والصوت هو حركة هواء تحسه الأذن عند انضمام جسمين صليبين أملسين انضماما مريما ، واضطلات الهواء مما بينهما وقرعه الأذن ، وتحريكه الهواء المتحرك آلة السمع ، فإنه إذا حركها وأثر حركتها في عصب السمع ، أدركته القوة على شكلها . وإنما اشترطت الصلابة لأن الجسمين الرخوين لا ينفلت عنهما الهواء بل ينتشر في أرجاءهما . وإنما اشترطت الملاصقة لأن الأجسام الغير المتلاصقة لا ينفلت

الهواء عنها بأمره بالقوة ، بل يحتبس في أنفاذ . وري اشترط الانضمام المبرمج لأنه إذ تراخي وتباطأ لم ينفلت الهواء بالقوة . والصدى يكون من تولد الهواء انفلتت عن التصادمين لمصاكنه جسم آخر صلبا عريضا أو مجوفا مملوء من الهواء مع الهواء الذي فيه من ثقل الهواء المنفست وقرعه الأذنت سد الفرعة الأولى على الشكل الأول .

وأما القوة الشامة فإنها تشم الروائح عند مستشاق الهواء الذي قبيل من الجسم ذي الرائحة رثحته ، كما يقبل الجسم من الجسم السحي سحرته ، فإن الحيوان إذا استشق مثل هذا الهواء في أنفه حتى مس مقدم الدماغ ، وفبره إلى رثحته ، أحست به القوة الشامة .
وأما الدوق فإنما يكون عند استعانة رطوبة الآلة الدواق ، أهى اللسان ، إلى العلم الوارد ، وقبول جرم الآلة تلك العلم ، وإدراك القوة الدامة لما عرض في الآلة .

وأما اللس فإنما يكون عند قبول الآلة مكيفية للندوس ، وإدراك القوة التلامسة لما عرض في الآلة .

وجميع المحسوسات البسيطة الأربعة والأصبة أزواج ثمانية ، فإذا أفردها صار ستة عشر . وهالك بيانها :

وأما اللس فأربعة أزواج ، أولها الحرارة والبرودة ، وثانيها الرطوبة واليبوسة ، وثالثها الخشونة والنعومة ، ورابعها الصلابة واللين . وأما الحواس الأربع الباقية فكل واحد منها زوج ، فلشم زوج واحد وهو الرائحة الطيبة والنفنة ، والذوق زوج وهو الحلو والمر ، والسمع زوج وهو الصوت الثقيل والخفيف ، والبصر زوج وهو الأبيض والأسود . وسائر المحسوسات مركبة من هذه البسائط ، ومتوسطة بين اثنين منها ، كالأخضر من الأبيض والأسود ، والنفات من الحار والبارد . وجميع المحسوسات إنما تحس بضرب من الجمع والتفريق والقبض والبسط ، إلا الأصوات فإنها إنما تحس بتفريق .

[أما الحرارة فتحس بفريق] ، وأما البرودة فتحس بجمع ، وأما الرطوبة فيسط ،
وأما اليبوسة فيقبض ، وأما الخشونة فيتفريق ، وأما اللينة فيسط ، وأما الصلابة فيدفع ،
وذلك ضرب من الجمع والقبض ، وأما الحين فيندفع وذلك لا يحد من بسط وتفريق ، وأما
الحلاوة فيسط خال عن التفريق ، وأما المرارة فيتفريق وقبض ، وأما الرائحة الطيبة فيسط
خال عن التفريق ، وأما اللثة فيتفريق وقبض ، وأما البياض فيتفريق ، وأما السواد فيجمع .
وأما المتوسطات بين القوى الحسية والصور المحسوسة لخالية عن صور المحسوسات
بذاتها ، وإلا فلا يمكن أن تكون متوسطة إذ صورها حينئذ تكون شاغلة للقوة عن إدراك
غورها . وانظر هنا إما خلوا بالإطلاق ، وإما نحو باعتبارها فيما كاعتدال الكميات للموسمة
من اللحم الذي هو متوسط بين القوة اللينة وبين الكيفية للموسمة ، مع أن اللحم مركب
من الكميات للموسمة لا محالة ، إلا أن الاعتدال أعظمها فيه . وأما القسم الأول فخلو
الهواء والماء وماشابههما من متوسطات الإبصار من اللون ، وكحلو الماء الذي هو متوسط الذوق
عن العظم ، وكركد الهواء الذي هو متوسط السمع وحله من الحركة . وكل واحدة من هذه
القوى إذا حققت فإنما تدرك بانتهبه بالحواس ، بل إنما تدرك الصورة للمنطقة فيها من
الحواس ، وكذلك البؤى .

والحواس القوية الشاقة كالصوت الشديد ، والرائحة القوية ، والضوء المشرق
والبريق ، إذا تكررت على الآلة أفسدتها وأكثرتا بمشقتها عليها .

والحواس الخمس تدرك كل واحدة منها بوسط مدركها الحقيقي أشياء أخرى خمسة :
أحدها الشكل ، والثاني العدد ، والثالث العظم ، والرابع الحركة ، والخامس السكون . أما إدراك
البصر والسمع والذوق وإياها فظاهر . وأما السمع فإنه يدرك بحسب اختلاف عدد الأصوات
عدد للموتين ، وبقوتها عظم الجسمين للتضامين ، وبحسب ضرب من اختلافها وثباتها
الحركة والسكون ، وبحسب إحاطتها على للصوت للصوت والموت الجوف ضرها من

الأشكال . وأما التسم فإِنَّه يعرف بحسب اختلاف جهات ما يتأدى إليه من الروائح
وباختلافها في كمياتها عند الأشياء المشمومة ، وبمقدار السكثرة عظمها ، وبمقدار القرب
والبعد والاختلاف والتهات حركتها وسكونها ، وبحسب الجوانب التي تتأدى إليه رائحتها
من جسم واحد شكلها ؛ إلا أن هذا صعبٌ حد في هذه القوة في الناس لضعفها فيهم .

البُصُولُ السَّابِعُ

في تفصيل القول في الحواس الباطنة

الحواس الظاهرة ليس شيء منها يجمع بين إدراك اللون والرائحة واللين ؛ وربما لقينا جسما أصفر وأدركنا منه أنه حل حلو طيب الرائحة سائل ، ولم نذقه ولا شمناه ولا لمسناه . فبينما أن عندنا قوة اجتمعت فيها إدراكات الحواس الأربعة ، وصارت جعلتها عند صورة واحدة . ولولاها لما عرفنا أن الحرارة مثلا غير السواد ، إذ المميز بين شيئين هو الذي عرفهما بهما . وهذه القوة هي الموسومة بالحس المشترك وبالصورة ؛ ولو كانت من الحواس الظاهرة لاقتصرت سلطانها على حال لبقطة قط ؛ والمشاهدة تشهد بخلاف ذلك ، فإن هذه القوة قد تفعل فعلها في حالتي النوم واليقظة جميعا .

ثم في الحيوان قوة تركيب مد اجتمع في الحس المشترك من الصور ، وتفرق بينها ، وتوقع الاختلاف فيها ، من غير أن يتولد الصور من الحس المشترك . ولا محالة أن هذه القوة غير للقوة المصورة ، إذ القوة المصورة ليس فيها إلا الصور الصادقة المستفادة من الحس . وقد يمكن أن يكون الأمر في هذه القوة على خلاف هذا ، فتصور باطلا كذبا ، وما لم تأخذ على هيأته من الحس . وهذه القوة هي المسماة بالخيالة .

ثم في الحيوان قوة تحكم على الشيء بأنه كذا أو ليس كذا بالجزم ، وبها يهرب الحيوان من الهذور ، ويقصد المختار . وبين أن هذه القوة غير القوة للتصور ، إذ القوة للتصور تصور الشمس على حسب ما أخذت من الحس على مقدار فرصها ، والأمر في هذه القوة بخلاف هذا . وكذلك السبع يلقى الصيد من بعيد على حجم الطائر الصغير فلا يشكل عليه صوته ومقداره ، بل يقصده . وبين أيضا أن هذه القوة غير للخيالة ، وذلك أن القوة

المتحركة تفعل أفعالها من غير اعتقاد منها أن الأمور على حسب تصوراتها ، وهذه القوة هي المسماة بالمتوهمة والظانة .

ثم في الحيوان قوة تحفظ معنى ما أدركه الحواس مثل أن للذئب هدو ، والقرد حبسب ولي ، فمن البين أن هذه القوة غير المتصورة ، وذلك أن المتصورة لا تصور فيها إلا ما استفادتها من الحواس . ثم الحواس لم تحس صداوة الذئب ولا حدة الولد ، بل صورة الذئب وحلقة الولد . وأما الحبة والإصرار فإنهما الزوم ، ثم خزنهما في هذه القوة . وبين أن هذه القوة غير المتخيلة ، وذلك أن للتخيلة قد تتخيل مبرما استصوبه الزوم وصدقه واستنبطه من الحواس ، وأما هذه القوة فلا تصور غير ما استصوبه الزوم وصدقه واستنبطه من الحواس . وهذه القوة غير القوة المتوهمة ، وذلك لأن القوة المتوهمة ليست تحفظ ما صدقه شيء آخر ، بل تصدق بذاتها ؛ وأما هذه القوة فإنها لا تصدق بذاتها ، بل تحفظ ما صدقه شيء آخر ، وهذه القوة هي المسماة بالحسنة والتذكرة . والقوة المتحركة إذا استعملتها القوة المتوهمة بانفرادها سميت بهذا الاسم ، أمم المتخيلة ، وإذا استعملتها القوة الناطقة سميت بالقوة المفكرة .

والقلب ينبوع جميع هذه القوى عند أرسطو طاليس الفيلسوف ، إلا أن سلطانها في آلات مختلفة ، فأما سلطان الحواس الظاهرة من آلاتها المألوفة . وأما سلطان المتصورة في التجويف المنفذ من الدماغ . وأما سلطان القوة المتحركة في التجويف الأوسط .

وأما سلطان القوة التذكرة في التجويف المؤخر من الدماغ . وأما سلطان القوة المتوهمة في جميع الدماغ ، لأنها في حيز المتخيلة منه . وبحسب ما ينال التجاويف من الآلات يدل أفعال هذه القوى . ولو أنها كانت قائمة بذاتها فصارت بذاتها ، لما احتاجت في خصائص أفعالها إلى شيء من الآلات . وهذا فم أن هذه القوى لا تقوم بذاتها ، بل القوة الغير المائعة هي النفس النطقية ، كما سوضحه بعد . هل أنها قد تستخلص لنفسها لباي هذه القوى ضربا من الاستقلال فتوحدها بذاتها . وسوف يرد بين هنا قريبا ، إن شاء الله تعالى وحده .

الفصل الثامن

في ذكر النفس الإنسانية من مرتبة بدنها إلى مرتبة كمالها

لا شك أن نوع الحيوان الناطق يعتبر من غير الناطق بقوة بها يتمكن من تصور المقولات ؛ وهذه القوة هي تسمية النفس العقلية ، وقد جرت العادة بتسميتها العقل المهيولاني ، أي العقل بالقوة ، تشبيها لها بالهيول . وهذه القوة في النوع الإنساني كافة ، وليس لها في ذاتها شيء من الصور المنقولة ، بل يحصل بها ذلك بصريين من الحصول ، أحدهما بالهام إلى من غير تعلم ولا استفادة من الحواس ، كالمقولات الذهبية ، مثل اعتقادنا أن للكل أعظم من الجزء ، وأن التامنين لا يمتنعان في شيء واحد معا ؛ فالعقلاء البالغون مشتركون في مثل هذه الصور . والثاني بالكتساب قياسي ، واستنباط برهاني ، كتصور الحقائق المنطقية ، مثل الأجسام والأشياء والعقول والحواس ، والألفاظ المفردة والمركبة بالضرور المختلفة من التركيب ، والقياسات طويلة الحقيقة والكاذبة ، والفضائل التي إذا شكلت بالقياس أنتجت نتائج ضرورية برهانية ، أو أكثرية جدلية ، أو مساوية خطائية ، أو أولية سوفسطائية ، أو ممتعة شعرية . وكتحقيق الأمور الطبيعية كالهيول والصورة والدم ، والطبيعة والمكان والزمان ، والكون والحركة ، والأجرام الفلكية ولأجرام العنصرية ، والكون والنسب للطفلين ، وكون المواهب الكائنة في الجو ، الكائنة في المعادن ، والكائنة على أديم الأرض من النبات والحيوان ، وحقيقة الإسار ، وحقيقة تصور النفس لنفسها . وكتصور الأمور الرياضية من العددية والهندسية المختصة ، والهندسة التحزومية والهندسة اللحنية والهندسة المناظرية . وكتصور الأمور الإلهية كعرفة مبادئ الوجود المطلق من حيث هو موجود ، ولواحقه كالقوة والفعل ، والبدن والملة ، والجرم والمرض ، والجنس والنوع ، والمضادة

والجنانة، والاتفاق والاختلاف، والوحدة والكثرة، وإثبات مبادئ العلوم النظرية من الرياضية والطبيعة والمنطقية التي لا يعوصل إليها إلا بهذا العلم، وكإثبات المبدع الأول والنفس الكلية، وكيفية الإبداع، ومرتبة العقل من الإبداع، ومرتبة النفس من العقل، ومرتبة الهيولى من الطبيعة، والصورة من النفس، ومرتبة الأملات والأشياء والكائنات من الهيولى والصورة، ولماذا اختلفت كل هذا الاختلاف في التقدم والتأخر، ومعرفة السياسة الإلهية، والطبيعة الكلية، والعناية الأولية، والوحى النبوى، والروح للقدس الربانى، والملائكة العنوية، والتوصل إلى حقيقة تربية المبدع عن الشرع والتشبيه، والتوصل إلى معرفة ما أهد للمحسنين من الثواب والمسيئين من العقاب، واسئلة والألم الواصلين إلى النفوس بعد فراقها الأبدان.

وهذه القوة التي تتصور هذه المعاني قد نشيد من الحس صوراً عقلية مجلدة خريزية لها، وهي أن تعرض على ذاتها الصور التي في القوة المتصورة والقوة الحافظة باستخدام التخيلة والوهمية، ثم تنظر إليها فتجد ما تشركت في صور واعتقدت في صور، وتجد بعض ما فيها من الصور ذاتية وبعضها عرضية. أما اشتراكها في الصور فكاشتراك صور إنسان وحصان في المتصور في الحياء واعتداتها بالطقن واللاطقن! وأما الذاتية فكالحياة فيها، وأما العرضية فكالسواد والابيض. وإذا وجدتهما في هذه الصورة جعل كل واحد من هذه الصور الذاتية والعرضية والمشاركة والخاصية صورة واحدة عقلية كلية على حدة، فتستبط بهذه الجبلية الأجناس والأصناف والفصول والخواص والأعراض النفاية، ثم تركيب هذه المعاني المفردة تركيبات جزئية، ثم تركيبها تركيبات قياسية، فتستخرج منها فوائد من النتائج. وجميع ذلك ما يخدمه القوى الحيوانية وإعانة العقل الكلى - على ما ستوضحه - ونوسط ما جعل فيه من البداية الضرورية العقلية. وهذه القوة، وإن استعانت بالقوة الحسية عند استبطائها الصور العقلية المفردة من الصور الحسية، فهي غير محتاجة إليها في تصوير هذه

المعاني في ذاتها ، وفي تركيب القهاسات منها لا عند التصديق ولا عند التصور للاعتقادين ، على ما سنوضحه بعد . ومهما استبطت القوائد الحسية التي تمس الحاجة إليها بالجلبة المذكورة رفضت استخدام القوى الحسية ، بل كفت بذاتها جميع ما تتداولها من الأفاعيل .

وكأن القوى الحسية إنما تدرك بتشبه من للمقول ، وهذا التشبه تحريده الصورة من المادة ، والاتصاف بها ، إلا أن القوة الحساسة لا تحصل الصورة الحسية بإرداة حركة وفعل منها ، بل بوصول ذات المحسوس إليها إما بالانخاف ، وإما بتوسط القوة المحركة وتجرده الصور لها بإعادة الوسائط الموصلة للصور إليها ، وأما القوة العاقلة فهذا الشأن فيها بالخللاف ، لأنها بذاتها قد تعقل ذاتها بتجريد الصورة عن سدة مهابا أرادت ثم تلتصق بها ؛ فلهذا قيل إن القوة الحساسة منفصلة في صورها ضربا من الاتصال ، والقوة العاقلة فاعلة بل لهذا قيل إن القوة الحساسة لا غنى لها عن الآلات ، ولا من لها بالذات ، وأرى إطلاق هذه القصيدة على القوة العاقلة . والعقل بالنسبة ليس إلا صور لمفولات إذا أعدت في ذات العقل بالقوة ، وبه أخرجته إلى العقل ، ولذلك قيل : إن العقل بالنسبة عاقل ومقول معا .

ومن خواص القوة العاقلة أن توجد الكثير وتكثر الواحد ، بالتحليل والتركيب . أما التكثر فكالتحليل لإنسان واحد إلى سحر وجسم ومعتد وحيوان وناطق . وأما تأخذ الكثير فتركيبه من الجوهر والجسم والحيوان والناطق معنى واحداً وهو الإنسان . والعقل ، وإن طرق فعله بمدة زمنية في تركيب نهاسات باستعمال الخروية ، فإن تحصيلها للنتيجة في ذاتها التي هي ثمرة الفكر والغاية المطلوبة لا تتعلق بزمان ولا تحصل إلا في آن ، بل ذات العقل ترتفع عن الزمان بأسره .

والنفس الناطقة إذا أقيمت على الدوم سمي نفسها عقلا ، وسميت بحسبه عقلا نظريا ؛ وقد أنيت على وصفه . وإذا أقيمت على غير القوى النامية الدامية إلى الجريرة بإفراطها ، والتهاوة بتفريطها ، والتهور بشورتها ، والجبن بفتورها ، والتفجور بهيجاتها ، والسل بغمودها ،

فتستخرجها إلى الحكمة والتجديد والمنة وبالجملة المداقة سمي فعلها سياسة ، وسميت بحسبه
عقلا هديا . وقد تستمد القوة النطقية في بعض الناس من الهندسة والاتصال بالعقل السكلي بما
ينزهاها عن الفزع عند التعرف إلى القياس وثرورية بل يكفيها مؤونتها الإلهام والوحى ،
وتسمى خاصيتها بهذه تقدسها ، ونسب محبة روحا مقدسا . ولئن يحفل بهذه الرتبة
إلا الأنبياء والرسل عليهم السلام والصلاة .

الفصل الثامن

في إقامة البراهين على جوهرية النفس وغناها عن البدن في القوام
على مقتضى طريقة المنطقيين

[واليك] أحد البراهين في إثبات هذا المطلوب ، وانقدم له مقدمات : منها أن
الإنسان يتصور المعاني الكلية التي تشترك فيها كثرة ما ، كالإنسان المطلق والحيوان
المطلق ، وهذه المعاني الكلية منها ما يتصوره بتركيب جزئي ، ومنها ما لا يتصور إلا بالتركيب
بل بالأفراد . وما لم يتصور القسم الأخير ، فلا يمكن أن يتصور القسم الأول . ثم إنما
تتصور كل واحد من هذه المعاني الكلية صورة واحدة مجردة عن الإضافة إلى جزئياتها
المخصوصة ، إذ جزئيات كل واحد من المعاني الكلية لا تنفصل بالقوة ، وليس بعضها أولى
بذلك من بعض . ومنها أن الصورة مجردة حيث جسام من الأجسام ، وبالجملة متقسمة من
المتقسمات ، فقد لا يستلزم في تمام أجزائه ، وكل ما لا يس منقسما في تمام أجزائه فهو منقسم ،
فكل صورة لا يستلزم جساما من الأجسام فهي منقسمة .

ومنها أن كل صورة كلية إذا اعتبر فيها الأقسام مجرد ذاتها فلا يجوز أن تكون
أجزاؤها المتعبرة مشابهة لتلك في تمام المعنى ، وإلا فالصورة الكلية التي اعتبر الأقسام في
ذاتها لم تنقسم ذاتها ، بل انقسمت في موضوعاتها إما أنواعا وإما أشخاصا . وتكثر الأنواع
والأشخاص لا يوجب الأقسام في مجرد ذات الكل ، وقد رضع أنه وقع وهذا خلف .
فإذا ثبت قولنا : إن أجزائها لا تشابه في تمام المعنى قول صادق .

ومنها أن الصورة الكلية إذا اعتبر فيها الأقسام فلا يجوز أن تكون أجزاؤها هوية من
جميع معناها ، وذلك أننا إذا جوزنا ذلك وقمنا بين هذه الأجزاء مهابنة تمام صورة الكل

إنما تحصل الصورة فيها عند اجتماعها مع أشياء خالية عن صورة ما يحصل فيها عند التركيب
فهذه صفة أجزاء القابل، فإذا لم تقع القصة في صورة الكلية بل في قوابلها، وقد قيل إنه
وقع فيه، وهذا خلاف. فإذا قولنا لا يجوز أن تكون أجزاؤها مباينة لها في جميع المعنى قول
صالح.

ومنها، وهي نتيجة للتقدمتين، أن الصورة الكلية إذا أمكن أن يتجزأ فيها الأقسام،
فإن أجزائها لا خالية من كمال الصورة، ولا مستوفية لها استيفاء تاماً، وكأنها أجزاء عدم
وراءه.

إذا تقررت هذه المقدمات فنقول: لا محالة أن الصورة المعقولة، وبالجملة العلم، تنقسم
مخلاً من ذات الإنسان جوهرى ذات محله، فلا يحلو أن يكون هذا الجوهر جسماً منقسماً أو
جوهرًا غير جسم ولا منقسم وأقول ولا يجوز أن يكون حساً؛ وذلك أن الصورة المعقولة
الكليّة إذا حلت جسماً فلا محالة يمكن أن يمرض فيها الأقسام، على ما أوضحناه أولاً.
ولا يجوز أن تكون أجزاؤها إلا متشابهة للكل من وجه، مباينة من وجه؛ وبالجملة في كل
واحد منها بعض معنى الكل. والصورة الكلية ليس شيء منها يتركب منه وله بعض
معناها إلا الأجناس والفصول، فإذن هذه الأجزاء أجناس وفصول، فكل واحد منها
صورة كلية، والقول فيها كالقول الأول. ولا محالة إما سينتهي إلى صورة أولى لا تنقسم إلى
أجناس وفصول لا متناه إلى ما لا يتناهى في أجزاء مختلفة انما هي إذا تقرر أن الأجسام
تتجزأ إلى ما لا يتناهى. ومعلوم أنه إن كانت صورة الكلية لا تنقسم إلا إلى أجناس
وفصول، وإن كان منها ما لا تنقسم إلى أجناس وفصول، فليس تنقسم بوجه من الوجوه في
ذاته، إذن ولا المركب منها، إذ من المعلوم أن الإنسان لا يمكن أن يتصور إلا مع تصور
الحى الناطق. وبالجملة لا يمكن أن تتصور الصورة الكلية التى لها جنس وفصل إلا
بتصورها جميعاً. فإذا الصورة التى وصفناها أنها حلت في الجسم لم تحل فيه وهذا خلاف؛

فنتقيضه ، وهو قولنا : إن الصورة الكلية لأخص جسام من الأجسام صادق . فإذاً الجوهر الذى تحمل فيه الصورة العقلية الكلية جوهر روحانى غير موصوف بصفات الأجسام ، وهو الذى نسميه بالنفس الناطقة . وذلك ما أردنا أن نبين .

ومن البراهين التى تدل على هذا المطلوب وتصحيحه ما أما مبينه ، فأقول : إن الجسم بذاته لا يقوم على تصور العقولات ، إذ جميع الأجسام مشتركة فى الجسم مفترقة فى التمكن من تصور للعقولات ؛ فإذاً إما توصف الأجسام الحيوانية بأنها تتصور للعقولات بقوة موضوعة فيها . وهذه القوى إن كانت تتصور بذاتها بلا مشاركة الجسم فإذاً هى بذاتها صالحة لأن تكون محلاً لتصور العقول . وما عد وصفه فهو جوهر ، فإذاً إن كان هذا حاصلًا فهو جواهر . فبيّن أن هذه القوة هى تتصور للعقولات بذاتها لا بمشاركة الجسم ، بأن تقول : إن كل ما أدرك شيئًا بمشاركة الجسم لهما تكررت عليه مدركات شاقة أدت إلى إفساده وإيراد الكلال عليه لوهى الآلة وتغيرها من قوتها لما اعترضها من المشقة فى استعمال القوى وإياها . ولذلك تصعب القوة للبهمة فلها أدمنت النظر إلى صورة الشمس ، والقوة السامية إذا تكررت وصارت الأصول للقوة فيها . ثم هذه القوة هى التى تتصور للعقولات كلها أدركت للعقولات الشاقة صارت على صلب أقوى ، فإذاً ليس لها إلى الآلة حاجة فى إدراكها ، فهى إذن مدركة بذاتها . وقد بينا أن كل قوة مدركة بذاتها جوهر ، وذلك ما أردنا أن نبين .

ومن البراهين التى تدل على هذا المطلوب ما أما مبينه ، فأقول : حلول الصورة فى الجسم انفعال وقبول ؛ ولا متاع كون الشيء الواحد فعالاً وسفلاً يتصح لنا أن الجسم لا يمكنه أن يلبس بذاته صورة مقولة ويخلع أخرى . وذلك لا يخلو إما أن يكون فعالاً خاصاً للجسم ، أو فعالاً خاصاً للقوة الناطقة ، أو فعالاً مشتركاً بينهما ، وقد بينا أن الفعل لا يجوز أن تكون إضافته إلى الجسم بالتحصيل . وأقول : ولا أيضاً بالشركة ، إذ الجسم معادن القوة على

إحلال صورة ما في ذاته وخلع صورة من ذاته ، إذ علم أن الجسم مع القوة يصيران ، وضوئهم لهذه الصورة الخاصة . والوضوح لا يوسم إلا بالانفصال الجرد ، وكلا هذين فعلان ، فإذا هذا العمل خاص إلى القوة ، وكل شيء لم يحتاج في فعله الصادر عن ذاته إلى شيء يمينه ، فمن يحتاج في قوام ذاته إلى شيء يمينه ، إذ الأفراد بقوام الذات يتقدم الأفراد بإصدار الفعل بالذات . فإذا هذه القوة جوهر قائم بذاته . إذن النفس الناطقة جوهر .

ومن البراهين الدالة على صحة هذه الدعوى ما أما يمينه ، فأقول : لاشك أن الجسم الحيواني والآلات الحيوانية إذا استوفين من النمو ومن الوقوف أخذت في الذبول والتقص وضعف القوة وكلال المة ، وذلك عند الإثابة على الأرض بين سنة . ولو كانت القوة الناطقة العاقلة قوة جسمية آله لكان لا يوجد أحد من الناس في هذه السنين إلا وقد أخذت قوته هذه تنقص ؛ ولكن الأمر في أكثر الناس على خلاف هذا ، بل المدة حرت في الأكثر أنهم يستعيدون ذكاء في القوة العاقلة وزيادة صورة . فإذا ليس قوام القوة النطقية بالجسم والآلة ، فإذا هي جوهر قائم بذاته ، وذلك ما أردنا بيانه .

ومن البراهين على صحة هذه الدعوى أن من البين أن ليس شيء من القوى الجسمية له قوة على أتعامل غير متناهية ، وذلك لأن قوة نصف من ذلك الجسم لا عمالة توجد أضعف من قوة الجميع ، والأضعف أقل تقوية عليه من الأقوى ، وما قل من غير المتناهي فهو متناه ، فإذا قوة كل واحد من النصفين متناهية ، فإذا مجموعهما متناه ، إذ مجموع المتناهين متناه ، وقد قيل إنه غير متناه ، وهذا خلف . فإذا الصحيح أن قوى الأجسام لا تقوى على أتعامل غير متناهية . ثم القوة الناطقة تقوى على أتعامل غير متناهية ، إذ للصور الهندسية والتعددية والحسكية التي للقوة النطقية أن تعمل فيها أفعالا ما غير متناهية ؛ فإذا القوة النطقية ليست قائمة بالجسم ، فهي إذن قائمة بذاتها وجوهر بذاتها . ثم من البين أن فساد أحد الجوهرين الجسميين لا يقتضي فساد الثاني ، فإذا موت البدن لا يوجب موت النفس . وذلك ما أردنا أن بين .

الفصل العاشر

في إثبات جوهر عقل مفارق للأجسام يقوم للنفوس البشرية مقام الضوء
للبحر ومقام الينبوع وإثبات أن النفوس إذا فارقت الأجساد انحدرت به

الجوهر العقل مجده في الأطفال حالها من كل صورة عقلية ، ثم نحد فيه للمفولات
الذهبية من غير تعلم ولا تربية ، فلا يخفى إما أن يكون حصولها فيه بالحس والتجربة ،
وإما أن يكون بفهم إلى متصل . وسكن لا يجوز أن يكون حصول هذه الصورة العقلية
الأولى بالتجربة ، إذ التجربة لا تفيد حكما ضروريا ، إذ لا تؤمن وجود شيء مخالف لحكم
ما أدركته ، إن التجربة وإن أرثنا أن كل حيوان أدركناه يحرك عند اللغز فكذلك الأسفل
فلم نفدنا حكما يقينا أن جميع الحيوانات هذا حاله . ولو كان ذلك صحيحا لما جاز أن يوجد
التناسع يحرك فكذلك الأعلى عند مضيقه ، فإذا لم يكن كل حكم وجدناه في أشياء بالإدراك الحسي
نافذ في جميع ما أدركناه منها ، وما لم نفكره بل يمكن أن مالم نفكره خلاف ما أدركناه ،
فصورنا أن الشكل أعظم من الجزء ليس لأننا أحسننا لكل جزء ؛ وكل كل هذا حاله ،
إذ ذلك لا يؤمن أن يكون كل جزء خلاف هذا . وكذلك القول في امتناع اجتماع
التقيضين على شيء واحد ، ويكون الأشياء المتساوية لشيء واحد متساوية في أنفسها .
وكذلك القول في تصديقنا بالبراهين إذا صحت ، فإن اعتقاد صحتها ليس يصح بقدم ، وإلا
فذلك يتأدى إلى مالا يتناهى ؛ ولا ذلك مستفاد من الحس لما ذكرناه . فهو إذن والأول
مستفادان من فهم إلى متصل بالنفس العقلية ، وتتصل بها النفس العقلية ، فتحصل فيها
هذه الصورة العقلية . وهذا التقيض مالم يكن له في ذاته هذه الصورة العقلية الكلية لم يمكن
أن يتقشها في النفس الناطقة ، فإذا لم يكن في ذاته . وأي ذات فيه صورة عقلية فهي جوهر

غير جسم ، ولا في جسم ، قائم بذاته . فإذا هذا الموضع الذي تتصل به النفس جوهر عقل لا جسم ولا في جسم قائم بذاته يقوم للنفس الناطقة مقام الصور للبصر . إلا أن الضوء يفيد البصر القوة على الإدراك فقط ، لا الصورة للدركة . وهذا الجوهر يفيد بانفراد ذاته القوة الناطقة القوة على الإدراك ، وتحصل عنه الصور للمدركة أيضا ، كما أوضحناه . وإذا كان تصور النفس النطقية للصور الناطقة كالألوان ، وحاصلا عند الاتصال بهذا الجوهر ، وكانت الأشغال البدنية من فكرها وأحراسها ومرحبا وأشواقها تفوق القوة من الاتصال به فلا تتصل به إلا برخص جميع هذه القوى وتخليتها ، وليس شيء يمسها من دوام الاتصال إلا البدن ، فإنها إذا فارقت البدن لم تزل منصلة بمكانه ومتعلقة به . وما اتصل بمكانه وتعلق به أمن من الفساد ، لا سيما إذا كان مع الاقطاع عنه لا يمسد . فإذا النفس بعد الموت تبقى دائما غير مائة متعلقة بهذا الجوهر الشريف ، وهو ليس بالقليل الكلي ، وعند أرباب الشرائع بالعلم الإلهي . وأما القوى الأخر كالحيوانية والنباتية ، فقد كان ليس شيء منها يفعل فعله الخاص إلا بالبدن ، فإذا لا حارق الأبدان أبدا ، بل تموت بموتها ، إذ كل شيء قائم لا فصل له فهو معطل ، وليس شيء في الطبيعة مطرد . إلا أن النفس النطقية قد استفادت بالاتصال بها صفوتها وتركت عليه القشور ، ولولا ذلك لما استعملتها في بصر . فإذا النفس الناطقة سترحل بهاب القوى الأخر بعد المات . فقد بينا القول في النفوس ، وأن أي النفوس هي الباقية ، وأيها تسمد بالبقاء .

وبقي علينا ما يتصل بهذا البحث بين كيفية وجود النفس في الأبدان ، والمرض الذي لأجله وجدت فيها ، وما يخالها في الآخرة من البقاء الأبدية ، والطالب المرمدي ، والمقاب المزايل بعد مدة تأتي على مفارقة البدن ، والكلام على للمنى لموسوم عند أرباب الشرائع بالشفاعة ، وعلى صفة لللائكة الأربعة ، وحقبة المرش .

ولولا أن المادة جرت بمراد هذا البحث عن البحث الذي نحن بسبيله

إعظاماً له وتوقيراً ، وتقديم هذا البحث على ذلك البحث تمهيداً وتثرياً ، لأهت هذه
 الفصول تمام القول فيها . على أنه لولا محاضرة الإملال بالتطويل لرفضت مقتضى العادة فيه .
 ومهما أمر الأمير - أدام الله علوه - بإفراد القول في تلك للمعالي ، استندت في الاختصار غاية
 الجهد ، إن شاء الله تعالى .

لا زالت الحكمة به متمشة بمد الذبول ، بضرة بمد الخول ، لتجدد بدولته دولتها ، وترجع
 بأيامه أيامها ، ويرفع مكانه مكان أهلها ، ويفرز عدد طالبي فضلها ، إن شاء الله تعالى .

٢- رسالة في معرفة النسخ الناطقة وأحوالها

[نشر هذه الرسالة الدكتور محمد ثابت إقنسى ، بمطبعة الاهناد ، وكتب عليها أنها المطبعة الثامنة ، وليس على الرسالة تاريخ النشر ، وأرجع أنه عام ١٩٣٤ م وقدم للرسالة بمقدمة وحبرة ، ذكر فيها أنه رجع إلى ثلاث نسخ خطية ، اثنتان منها من مكتبة طلعت ، والثالثة من برلين ، ورمز للنسخ بالحروف ب ، ج ، د . وقد أعدها بشر الرسالة دون الرجوع إلى الاختلافات ، مرجعين قراءتنا انطاسة] .



رسالة
في معرفة النفس الك طقة وأحوالها

لأبي علي بن سينا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي لا يحبب من بابه أمل ، ولا يحرم عن حنايه عامل ، ولا يحجب العارفين
عن ورود مآهل مشاهدته أنوار جلاله مانع وحائث ، ولم يمنع المشتاقين لقائه عن المصود
من حضيض الغراف إلى أوج الوصال ناقص أو كامل ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك
له شهادة من أحصل لمشاهدة جلاله سره كم وحرض في مدزل التوحيد على أعين النظر
سيره ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي عقد في أجياد أرواح الأبرار قلائد الأسمار ،
فصوات الله عليه وعلى آله الأنبياء ، وبعد فبده رسالة حررتها في علم النفس ، وجعلتها
ثلاثة فصول :

الفصل الأول : في إثبات أن جوهر النفس معيار لجوهر البدن .

الفصل الثاني : في بقاء النفس بعد فناء البدن .

الفصل الثالث : في مراتب النفوس في السعادة والشقاوة بعد مفارقة النفس عن البدن .

ثم ألحقت بها خاتمة أذكر فيها العوالم الثلاثة التي هي عالم العقل ، وعالم النفس ، وعالم
الجسم ، وترتيب الوجود من لمن الحق الأول إلى أقصى مراتب الوجودات على الترتيب النازل
من هذه تعالى ، ليكون الناظر في هذه الرسالة مطمئناً على جل من أجناس المخلوقات وشطر

من أنواعها ، فأهديت هذه الرسالة التي هي مشتملة على أهم المطالب : وهو معرفة الإنسان نفسه وما يؤول إليه حاله بعد الارتقاء . وأيضاً فإن معرفة النفس مرفقة إلى معرفة الرب تعالى ، كما أشار إليه قائل الحق بقوله : « من عرف نفسه فقد عرف ربه » . ولو كان المراد بالنفس في هذا الحديث هو هذا الجسم لكان كل أحد عارفاً بربه ، أعني خصوص معرفته ، وليس كذلك ، وهذه الرسالة تهديك إلى الأسرار الخرونية في عالم النفس الذي غفل عنه الدهماء من الناس ، بل أكثر العلماء عنه غافلون . ولهذا أوحى إلى رسول الله لما سئل عن حقيقة الروح « وبألوانك عن الروح قل الروح من أمر ربي » ثم قال عليه : « وما أرتبهم من العلم إلا قليلاً » تمييزاً على أكثر الناس عن النفس وحقيقة الروح . فهذا هو الإشارة المختصرة إلى فوائد هذه الرسالة .

فلنشرع فيما ذكر من الفصول بتوفيق الله وحسن هدايته .

الفصل الأول

في إثبات أن جوهر النفس مغاير لجوهر البدن

لنفول : المراد بالنفس ما يشير إليه كل أحد بقوله « أنا » . وقد اختلف أهل العلم في أن
المشار إليه بهذا اللفظ هو هذا البدن المشاهد المحسوس أو غيره . أما الأول فقد ظن أكثر
فلاس وصحفيين من المتكلمين أن الإنسان هو هذا البدن ، وكل أحد فلما يشير إليه بقوله
« أنا » ، فهذا ظن فاسد لما سبق به . والدالون بأنه غير هذا البدن المحسوس اختلفوا : فمنهم
من قال إنه غير جسم ولا جسماني ، بل هو جوهر روحاني فاض على هذا القلب وأحياه ،
واتخذ آلة في اكتساب المعارف والعلم ، حتى يتكامل جوهره بها ، ويصور عارفاً بربه ،
حالاً بمخائيق معوماته ، فيصعد بذلك الرجوع إلى حضرة ، ويصور ملكاً من ملائكته في
سماعة لاساية عا ؛ وهذا هو مذهب الحكماء الإلهيين والطائفة الربانيين . وواقعهم في ذلك
جماعة من أرباب الرياضة وأصحاب الكشافة ، فإنهم شاهدوا جواهر أنفسهم عند السلاخهم
عن أبدانهم وانصافهم بالأنوار الإلهية ؛ ولذا في حجة هذا المذهب من حيث البحث والنظر
براهين .

البرهان الأول :

تأمل أيها العاقل في أنك اليوم في نفسك هو الذي كان موجوداً جميع حركتك حتى إنك
تخذ كر كئيراً مما جرى من أحوالك ، فأنت إذن ثابت مستقر لاشك في ذلك ، وبدنك
وأجزاءه ليس ثابتاً مستقراً ، بل هو ألباق في التحسن والانتعاش . ولهذا يحتاج الإنسان إلى
الغذاء بدل ما تحلل من بدنه ، فإن البدن حار رطب ، والحار إذا أثر في الرطب تحلل جوهر
حتى نفى بكتلته ، كما لو يوقد عليه النار دائماً فإنه ينحل إلى أن لا يبقى منه شيء ؛ ولهذا لو

حبس عن الإنسان الغذاء مدة قبيلة نزل وانتقص قريب من ربع بدنه . فعلم نفسك أن في مدة عشرين سنة لم يبق شيء من أجزاء بدنت ، وأنت تعلم بقاء ذاتك في هذه المدة ، بل جميع عمرك ، فذاتك مغيرة لهذا البدن وأجزائه ظاهرة والباطنة . فهذا برهان عظيم يفتح لنا باب الغيب ، فإنت جوهر النفس غائب عن الحواس والأوهام . فمن تحقق عند هذا البرهان وتصوره في خفيه تصورا حقيقيا فقد أدرك ماغلب من غيره .

البرهان الثاني :

هو أن الإنسان إذا كان متبهما في أمر من الأمور فإنه يستحضر ذاته حقاً إنه يقول : إني فعلت كذا أو فعلت كذا ، وفي مثل هذه الحالة يكون عالما من جميع أجزاء بدنه ؛ والمعلوم بالفعل غير ما هو منقول عنه ، فذات الإنسان مسيرة للبدن .

البرهان الثالث :

هو أن الإنسان يقول : أدركت الشمس . فإنتي بهمري فاشييتي ، أو غصبت منه ، وكذا يقول : أخذت يدي ، ومشيت برجلي ، وتكلمت بلساني ، وسمعت بأذني ، وتفكرت في كذا وتوهمته وتخيلته ؛ فحينئذ سلم بالضرورة أن في الإنسان شيئا جاعلا لجميع هذه الإدراكات ويجمع هذه الأفعال ، وتعلم أيضاً بالضرورة أنه ليس شيء من أجزاء هذا البدن مجعلا لهذه الإدراكات والأفعال ، فإنه لا يبصر بالأذن ولا يسمع بالبصر ولا يمشي باليد ولا يأخذ بالرجل ، فقيه شيء . فجميع لجميع الإدراكات والأفعال الإلهية ، وإذن الإنسان الذي يشير إلى نفسه بـ « أنا » مغير لجهة أجزاء البدن ، فهو شيء وراء البدن . ثم يقول : إن هذا الشيء الذي إنته هوية الإنسان ومغاير لهذه الجهة لا يمكن أن يكون جسما ولا جسانيا ، لأنه لو كان كذلك لكان أيضا متحلا سيالا قابلا لتكون والفساد بمرقة هذا البدن ، فلم يكن باقيا من أول عمره إلى آخره ، فهو إذن جوهر فرد روحاني ، بل هو نور فائض على هذا القالب المحسوس بسبب استمداده وهو المزاج الإنساني . وإلى هنا انتهى أشير في الكتاب الإلهي بقوله :

« فإذ سويته ونفخت به من روحى » فالتسوية هو جعل للبدن المزاج الإنسى مستقداً
لأنه يخلق به النفس الناطقة ، وقوله : « من روحى » إضافة لها إلى نفسه لكونها جوهرأ
روحانياً غير جسم ولا جسمانى .
فهذا ما أردنا أن نذكره فى هذا الفصل .



الفصل الثاني

في بقاء النفس بعد بوار البدن

أهم أن الجوهر الذي هو الإنسان في الحقيقة لا يفنى بعد الموت ، ولا يبلى بعد المفارقة عن البدن ، بل هو باق لبقاء خالفه تعالى ، ودقق لأن جوهره أقوى من جوهر البدن ، لأنه محرك هذا البدن ومدينه ومتصرف فيه ، والبدن منفصل عنه تابع له ، فإذا لم يضر مفارقه عن الأبدان وجوده ، إذ البدن موجود باق بعد الموت ، فإنه لا يضر وجود النفس ، وبناؤه كان أولى . ولأن النفس من مقولة الجوهر ، ومقارنته مع البدن من مقولة المضاف ، والإضافة أضف الأعراض لأنه لا يتم وجودها بموضوعها ، بل يحتاج إلى شيء آخر وهو المضاف إليه ، فكيف يبطل الجوهر القائم به بطلان أسف الأعراض المحتاج إليه ؟ ومثاله أن من يكون مالمسكا شيء متصرفاً فيه ، فإذا بطل ذلك الشيء لم يبطل المالك بطلانه ؛ ولهذا فإن الإنسان إذا مات بطلت عنه الحواس والإدراكات وصار متي كاليت ؛ فالبدن الدائم في حالة شبيهة بحال الموتى ، كما قل رسول الله عليه السلام : « اليوم أحول الموت » . ثم إن اللسان في لومه يرى الأشياء وبسمها ، بل يدرك الغيب في المنازل الصادقة بحيث لا يتيسر له في اليقظة . فذلك برهان قاطع على أن جوهر النفس غير محتاج إلى هذا البدن ، بل هو يضاف بمقارنة البدن ويتقوى بهتمله ، فإذ مات البدن وحرب تخلص جوهر النفس عن جنس البدن . فإذا كان كاملاً بالعلم والحكمة واتصل الصالح انجذب إلى الأنوار الإلهية ، وأنوار للانسكة ، وللاأهل ، انجذاب إبرة إلى جمل عظيم من المغناطيس ، وقاضت عليه السكينة ، ودمت له الطمأنينة ، فتودى من للاأهل : « يأتيها النفس المطمئنة أرجى إلى ربك راضية مرضية فادخل في عبادي وادخل جنتي » .

الفصل الثالث

في مراتب النفوس في السعادة و شقاوة بمد المغارقة عن الأبدان

اعلم أن النفس الإنسانية لا تمحو عن ثلاثة أقسام : لأنها إما أن تكون كاملة في العلم والعمل ، وإما أن تكون ناقصة فيها ، وإما أن تكون كاملة في أحدهما ناقصة في الآخر . وهذا القسم الثالث على قسمين : لأنها إما أن تكون كاملة في العلم ناقصة في العمل أو بالعكس . فتكون أصناف النفوس بحسب القسمة الأولى ثلاثة كما ورد في القرآن : « وكنتم أزواجا ثلاثة فأصحاب الميمنة فأصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة » ثم قال : « والسابقون السابقون أولئك المقربون » فنقول : أما الكاملون في العلم والفعل فهم السابقون ، ولم الدرجة القصوى في جنات النعيم ، فهناك من المراتم الثلاثة يعلم المفعول ، ويتزهدون أن يقارنوا بدن الأجسام ونفوس الأفلاك مع جلالة قدرها ، فهؤلاء هم السابقون الذين هم في المرتبة العليا . وأصحاب الميمنة هم في المرتبة الوسطى يرتفعون عن عالم الاستحالة ويتصلون بنفوس الأفلاك ، ويعطفون من دنس عالم المناصر ، وبشاهدون النعيم الذي خلقه الله تعالى في السموات من الخور العين ، وألوان الأطعمة اللذيذة ، وألحان الطيور التي تقصر أوصاف الواصفين هن ذكرها ونرحبها ، كما قال عليه السلام حكاية من ربه : « أحدثت لمبادئ الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » ؛ فهذه مرتبة المتوسطين من الناس . ولا يبعد أن يتأدى أمرهم إلى أن يستمدوا لفوز بوصول الدرجة العليا ، فيتمسوا في الذات الحقيقية ، واصدين إلى السابقين ، بعد انقضاء دهور تأتي عليهم ؛ فهذه مرتبة أصحاب الشمال ، وهم النازلون في المرتبة السفلى ، للنفوس في محور الغمات الطبيعية ، المتكسبون في قعر الأجرام

المصرية ، المتحمسون في دار البوار ، وهم المذنبون دعووا هنالك ثبوراً لاندعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً .

ههنا شرح أحوال الأرواح البشرية بعد سرقة عن الأحكام والمهاجرة إلى دار الآخرة ، وقد اتفق على صحتها الوحي الإلهي والآراء الحكمية ، كما شرحناه .



خاتمة الرسالة

في ذكر العوالم الثلاثة التي هي عالم العقل وعالم النفس وعالم الجسم ، وترتيب الوجود من ابن الحق تعالى إلى أقصى مراتب للوجودات ، على الترتيب النازل منه تعالى ، فنقول :
 إن أول ماحلق الله تعالى جوهر روحاني هو نور محض قائم لافي جسم ولا في مادة ، وذلك لذاته ونظامه تعالى ، هو عقل محض . وقد اتفق على صحة هذا جميع الحكماء الإلهيين والأنبياء عليهم السلام كما قال صدم : « أول ما خلق الله تعالى العقل ، ثم قال له [أقبل فاقبل ، ثم قال له] أدبر فأدبر ، ثم قل فبرن وجلاي ما خلفت خلقاً أعز منك ، فبك أعطى ، وبك آخذ ، وبك أثيب ، وبك أعاقب » ؛ فنقول هذا العقل له ثلاثة تعقلات :

أحدها : أنه يعقل خلقه تعالى .

والثاني : أنه يعقل ذاته واجبة بالأول تعالى .

والثالث : أنه يعقل كونه ممكناً لذاته .

فحصل من تعقله حاله عقل هو أيضاً جوهر عقل آخر ، كحصول السراج من سراج آخر . وحصل من تعقله ذاته واجبة بالأول نفس ، هي أيضاً جوهر روحاني كالعقل . إلا أنه في الترتيب دونه .

وحصل من تعقله ذاته ممكناً لذاته جوهر جسماني هو الفلك الأقصى ، وهو العرش بلسان الشرع .

فصلت تلك النفس بتلك الجسم ؛ فبتلك النفس هي النفس الكلية الحركة لتلك الأقصى ، كما تحرك غصناً جسمنا . تلك الحركة شوقية بها تتحرك النفس الكلية الفلكية شوقاً وعشقاً إلى العقل الأول ، وهو الخلق الأول ، فصار العقل الأول عقلاً لتلك الأقصى

ومطاعاه ، ثم حصل من العقل الثانى عقل وحش وجسم : فالجسم هو غلظ الثانى وهو غلظ التوابع وهو الكرمى بلسان الشرع ، وتسلط النفس الثانية بهذا الغلظ .

وهكذا حصل من كل عقل ونفس وجسم ، إلى أن يشفى إلى العقل المباشر ، ثم حصل منه العالم المنصرى . والمناصر أربعة : النار والهواء والأرض ، وحصلت منها المواليد الثلاثة وهى المعادن والنبات والحيوان والإنسان الذى هو أكل الحيوانات ، وهو بنفسه يشبه الملائكة ، ويمكن أن يبنى بقاء السمرد بها تشبه بها فى العلم والسل ، ويصير هو أيضاً أحسن من السمائم والسباع إذا انصف بأخلاقها داخل الأرض وانبج هواء وكان أمره فرطاً . وأما إذا نزه عن طرف الإفراط والتفريط فى الأخلاق ، وتوسط بينهما فلم يكن شبقاً ولا خامداً فى القوة الشهوانية بل يكون عفيفاً ، فإن العفة توسط الشهوة ، ولا يكون أيضاً متهوراً ولا جباناً بل يكون شجاعاً بحسب القوة النفسية ، فإن الشجاعة تتوسط بين التهور والجبن . وكذلك له حكمة فى المعيشة ، وهى حسن التدبير بها بينه وبين غيره ، إما بحسب أهل منزله الخاص وهو يتم بين زوج وزوجه ووالده ومولود ومالك ومملوك ، وإما بحسب أهل المدينة فى المعاملات وفى السبلات إلى كان له مدينة فى المدينة ؛ وهذه الحكمة توسط فى تدبير نفسه وغيره دون الجربرة والبلاهة ، وهذه الحكمة غير الحكمة التى هى العلم بالحقائق ، فإن تلك الحكمة كلما كانت أشد فرطاً كان أحسن ، وهذه الحكمة لا يبنى أن تكون بالإفراط والإسكات جربرة ، ولا بالتفريط والإسكات بلاهة .

وهذه الخصال الثلاث أهم : العفة والشجاعة وحكمة ، هى التى سميت « عدالة » فالعدالة هى مجموع هذه الثلاث ، فمن انصف بها وكان أيضاً حكيماً بالحكمة النظرية التى هى العلم بحقائق الأشياء ، فقد صار كاملاً فى العلم والفعل ، وصار من جملة من قيل فى حقهم : « السابقون السابقون أولئك المقربون فى جنات النعيم » .

فإن تمت فهل يمكن أن نحدد الحكمة النظرية تحديداً لا يمكن أن يكون أقل منه ،

حق تسعد بها النفس تلك السادة فيكون من السابقين المذكورين ؟ قلت : يمكن ذلك التحديد بالتقرير ، فنقول :

يبنى أن يحسكون علما بوجود واجب الوجود تعالى ، وصفات جلاله ونعوت كماله ، وتزيينه عن التشبيه ، ويتصور عنايته بالخلوقات وإحاطة همه بالسكانات ، وشمول قدرته على جميع القدرات ؛ ثم يعلم أن وجوده يتبدى من هذه ساريا إلى الجواهر العقلية ، ثم إلى النفوس الروحية الفلكية ، ثم إلى الأجسام المصيرية بانطباع مركباتها من المعادن والنبات والحيوان ؛ ثم يتصور جوهر النفس الإنسانية وأوصافها وأنها ليست بجسم ولا جسمانية ، وأنها باقية بعد خرابه للبدن إما منعمة وإما مضربة . فهذا القدر من العلم متجذره ومفصله هو القدر الذى إذا حصل للإنسان استعد بالسعادة التي شرحنا حالها ، أعنى سعادة السابقين الكاملين . ويقدر ما ينقص عنه وحده انتقص من درجاته وقربه من الله تعالى . وأما الذين قد انحطت رتبهم عن درجة هؤلاء الكاملين علما وعملا وهم للتوسطون ، فيكونون إما كاملين في العمل دون العلم ، أو بالعكس ، فهم يكونون محجوبين عن العالم العلوي مدة حتى تنفس عنهم تلك الموهبات الظلمانية تلك الأعمى الرديئة التي كانوا يسلونها في حياتهم الدنيا ، وتتقرر الهيئة النورية قليلا قليلا فيخلصوا إلى عالم القدس والطهارة ، ويلتحقوا بهؤلاء السابقين ، وأما الكاملون في العلم دون العمل من القسمين المتوسطين ، وهم للتعزّهون من أهل الشرائع الذين يعملون الصالحات ، ويؤمنون بالله واليوم الآخر ، ويتبعون الأنبياء فيما أمروا ، وسوا عنه ، ولكن لا تكون لهم زيادة بسط من صفات العلوم ، ولا يعرفون أسرارها والأسرار والتفصيلات الإلهية وتأويلاتها ، فهم إذا تخلصوا عن أطنانهم انحذبت نفوسهم إلى نفوس الأفلاك ، وخرجوا إلى السموات ، فشاهدوا جميع ما قيل لهم في الدنيا من أوصاف الجنة في غاية الشرف والرتبة ، يلبسون فيها من سندس وإستبرق ، وحدا أساور من فضة متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً ؛ ولكن لا يبعد أن يفضى بهم الأمر إلى

أن يرتقوا إلى العالم العقلي والصنع الإلهي ، فيغمسوا في الذات الحقيقة التي لا يمكن أن يشرحها بيان ، ولا يكشف عنها مقال ، ولا يواز بها حال .

وإذا قد وصلنا إلى هذا المقام وكشفنا هذه الأسرار التي عميت عنها أنصار أكثر الناس ، وغفروا عن أنفسهم وأحوالهم على الحقيقة ، فنكف بهذا القدر من الاستحصار للطلالين المسترشدين ؛ جعلنا الله وإياكم من المهتدين إنه هو البر الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله والطاهرين أجمعين .

تمت الرسالة الشريفة في العس الناطقة بدعوى الله

وبمن جوده وكرمه

٣- رسالة في الكلام على نفيس بن عيسى

نشرت هذه الرسالة في العدد الخامس من مجلة الكتب [أبريل ١٩٥٢] انطاس بائنا
مناصة اعتاد مهرجانه ففداد . وهذه الرسالة من النسخة الوحيدة المخطوطة بمكة لادن
رقم ١٤٦٨ ، وقد صورها المعهد الفرنسي بالقاهرة ، وصحح للسو كويس رئيس المعهد نشرها .
وقلت فف التقديم للرسالة هذه الكلمة الموحزة :

لا نملك الجزم بنسخة هذه الرسالة للشيوخ الرئيس ، فنواها لا ينفق مع التبت اللى
أورده ابن أبى أصبغة ، ولس هذا وللا على علم صحتها ، إذ جرت العادة أن يذكر للرسالة
الواحدة عدة عاوين . ونستطيع بالنظر فف مصمون الرسالة وأسموها وسواها أن نرجع أنها
تمثل رأى ابن سينا فف آخر حياته ، حين أتمها أتماماً واضحاً نحو الفلسفة للشرقية ، كما نجد
فف كتاب « الإشارات » . والفكرة الرئيسية التى تدور حولها الرسالة هى الصلة بفف النفس
والهفن ، وكيف تتفق النفس الفففس الإلهى .



پیشرو

رسالة في الكلام على تنقيح المناطقة

للإمام الأَوحد الجليل الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله بن مينا
رحمه الله تعالى ورضي عنه وأرضاه ، وجعل الجنة مثله ومثواه
وعن سائر علماء المسلمين ، آمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم
رب يسرى كريم

الحمد لله وحده اعلم أن الإنسان مخدس من بين سائر الحيوانات بقوة ذرأته للمفولات ،
تسمى تارة نفساً باطنة ، وتارة نفساً مطبقة ، وتارة نفساً قدسية ، وتارة روحاً روحانية ، وتارة
روحاً أمرياً ، وتارة كلمة طيبة ، وتارة كلمة جامعة فاصلة ، وتارة سرّاً إلهياً ، وتارة نوراً مدبراً ،
وتارة قلباً حقيقياً ، وتارة لباً ، وتارة همتى ، وتارة جمعى .

وهي موجودة لكل واحد من الناس طقلاً كان أو كبيراً ، مراحقاً كان أو بالغاً ، مجنوناً
كان أو عاقلاً ، مريضاً كان أو سليماً .

وتكون هذه القوة في بدء وجودها غارية من صور للمفولات ، وتسمى حينئذ بذلك
الاعتبار عطلا هبولانيا . ثم تحصل فيها صور للمفولات الأولية ، وهي معان متعققة من
غير قياس وتعلم واكتساب ، وتسمى بدية العقول وآراء عامية وعلوماً أولية غريزية ، وهي
مثل العلم بأن الكل أعظم من الجزء ، وأن الجسم الواحد لا يشغل مكانين في حالة واحدة ، ولا
يكون كله أسود وأبيض معاً ، وموجوداً ومعدوماً . وينتهي بهذه القوة لاكتساب للمفولات

التواني إما بالفكرة وهي نمرؤف ما في هذه المقولات الأول بالتأليف والتركيب ، وإما بالحدس وهو تمثل الحد الأوسط فيها دفعة واحدة من غير فكر وتأمل ، وأعني بالحد الأوسط الملة للوجبة للتصديق بوجود شيء أو عدمه ، أي الدليل الممرؤف للحكم . وهذا قد يكون عذيب طلب وشوق إلى حصول للمقولات ، وقد يكون ابتداء من غير اشتياق وطلب . ومهما حصل الدليل حصول للدلول لا محالة . ثم يحصل لها بهذه المقولات المكتسبة هيئة وحالة تنبأ بها لإحضار المقولات متى شئت من غير افتقار إلى اكتساب . وهذه الهيئة تسمى ملكة ، وتلك القوة ، في هذه الحالة وبهذا الاعتبار تسمى عقلا بالفعل . وإذا كانت المقولات حاصلة لها بالفعل مشاهداً متشكلاً فيها سميت بهذا الاعتبار عقلا مستفاداً .

وهذه النفس الناطقة جوهر قائم بذاته ، غير منقطع في بدن الإنسان ، ولا في غيره من الأجسام ، بل هو مفارق للمواد والأجسام مردوها ، وله علاقة ما يبدن الإنسان ما دام حياً ، وليس تلك العلاقة كعلاقة الشيء بغيره ، بل كعلاقة مستعمل الآلة بالآلة . وهو حادث مع البدن لا قبله ، وليس يفسد بفساد البدن وموته بل يبقى كما كان ، إلا أنه [تحصل له حالة تسمى عندها] تنقطع علاقته من البدن ، أي بعد انقطاع العلاقة بالموت ، سمادة وثقة ، أو شفاوة والمآل .

وسمادته بتكامل جوهره ، وذلك بتزكيته باسم بالله ، والعمل لله ، وتزكيته بالعمل لله هو تطهيره من الأخلاق الرذيلة الردية ، وتقويمه من الصفات الذميمة والمعادن السيئة القبيحة عقلا وشرعاً ، وتخليته بالمعادن الحسنة والأخلاق الحميدة والمساكن الفاضلة للرضية عقلا وشرعاً . وأما تزكيته بالملم لله فمحصيلاً ملكة له ، بها ينبأ لإحضار المقولات كلها متى شاء من غير افتقار إلى اكتساب ، فتكون للمقولات كلها حاصلة له بالفعل ، أو بالقوة القريبة غاية القرب من الفعل ، فصور النفس كمرآة صافية تنقطع فيها صور الأشياء كما هي عليها من غير احواج ، ومهما قويت بها بالتزكية التسمية تحصل ممارسة العلوم الحكمية النظرية .

والتزكية الصالحة بالطرق المذكورة في كتب الأخلاق ، وبالمواظبة على الوظائف الشرعية وتلسين الملية من المهادات البدنية والذالية والمركبة منها ، فإن [في] الوقوف عند مرضيات الشرع وحدوده ، والإقدام على امتثال أمره أو تركه نافعاً في تطهير النفس الأمانة بالسوء للنفس الناعقة للطهشة ، أعني تسخير القوى البدنية الشهوانية منها والتنضيبية للنفس الناعقة للطهشة .

وقد تبين في العلوم الطبيعية أن الأخلاق والعادات تابعة لمزاج البدن ، حتى إن من استولى الهلثم على مزاجه استولى عليه السكون والوقار والحلم ، ومن استولت الصغراء على مزاجه استولى عليه الغضب ، ومن استولت عليه السوداء استولى عليه سوء الخلق ؛ ويتبع كل واحد منها أخلاق آخر لا يدكرها هنا . فلا شك أن المزاج قبل التبدل ، هوكون الأخلاق أيضاً فاعلة للتبدل بواسطة تبديل المزاج ، فحين على ذلك استعمال الرياضة المذكورة في كتب الأخلاق . فهما اعتدال مزاج الإنسان تهذيب أخلاقه بسهولة ، فلا اعتدال مزاجه أثر في ذلك . والمزاج الخارج عن الاعتدال عما تكون إحدى كنهياته الأربعة أو اثنين منها غالبية عليه ، مثلاً أن يكون أحر مما ينبغي أو أيسر مما ينبغي . وهذه الكيفيات الأربعة متضادة ، فالمزاج الخارج عن الاعتدال يكون مشتملاً إما على ضد أو على ضدتين ، أي ليس فيه حرارة ولا برودة بل كيفية متوسطة بينهما . وكل كان للمزاج أقرب إلى الاعتدال كان الشخص أكثر استعداداً لقبول الملكات القاضية الطيبة والصلية .

وقد تبين في العلوم [الطبيعية] أن الأجرام العلوية ليست من امتزاج هذه العناصر الأربعة ، وهي عديمة هذه الأضداد بالسكلية ، وكان المساع عن قبول الفيض الإلهي . وأعني به الإلهام الرباني الذي يقع دفعة فیکشف به حقيقة من الحقائق العقلية . إنما هو ملازمة هذه الأضداد . فذلك كما يكون للمزاج أقرب إلى الاعتدال كان الشخص أكثر استعداداً لقبول هذا الفيض . وإفادات الأجرام العلوية حرية عن الأضداد بالسكلية

كانت قابلة للفيض الإلهي، وأما الإنسان، وإن اعتدل مزاجه غاية الاعتدال، فليس يحصل عن شوائب الأضداد، ولا جرم مادامت النفس الحافظة متعلقة بالبدن لا يصفو قبول الفيض الإلهي، ولا تنكشف له العقولات بأسرها ووجتها تمام الانكشاف، لكنه إذا بذل جهده في التزكية العملية واكتسب منسكة الاتصال بالنفس الإلهي، أي بالجوهر العقلي الذي يكون الفيض الإلهي بواسطته - وبسبب هو في لسان الشرع منكاً وفي لسان المحكمة عقلاً فعلاً - واعتدل مزاجه، وهدم هذه الأضداد بواسطة من قبول الفيض الإلهي، فقد حصل له مشابهة ما بالأجرام الفلكية، فشابه بهذه التزكية السبع الشداد، أي الأفلاك السبعة. ولما انقطع علاقة النفس بالبدن بسبب اللوث الذي يبرر عنه بمقارفة الصورة للقوايل، فإن اسم الصورة قد يطلق على النفس واسم القابل له على البدن، وإن لم يكن معنى هذا القبول هو كقبول المحل لا يحل فيه، بل كقبول محل التصرف لتصرف؛ فالبدن يقول تصرف النفس، وهذا الاعتبار جارئ يسمى قابلاً للنفس، وجزاء أن تسمى النفس صورة، فجزاء أن يبرر عن انقطاع العلاقة بينهما بمقارفة الصورة للقوايل، وإذا حصلت هذه المقارفة، والنفس قد اكتسبت الملكات الفاضلة العملية والحسنة، وقد زال للانع من قبول الفيض الإلهي بالسكينة وهو علاقة التصرف في البدن، فيقبل الفيض الإلهي، وينكشف له ما كان محجوباً عنه قبل للمقارفة، فحصل له مشابهة بالقول المجردة التي هي أوائل عمل للوجودات، إذ الحقائق كلها منكشفة تحت القول.

وقد عرفت أن الله تعالى خلق أولاً عقلاً ثم بواسطته عقلاً آخر وفلسكاً، وبواسطة العقل الآخر عقلاً ثالثاً وفلسكاً ثانياً، على الترتيب الذي ذكرناه. فالقول أوائل العقل، [قوله: إن زكاهما بالعلم والعقل فقد شابه جواهر أوائل العقل أي القول، وقوله: إذا اعتدل مزاجه بدم الأضداد أي الكيفيات المتضادة، وشاكل بها السبع الشداد أي الأفلاك السبعة، وفارقت صورته القوايل أي قطعت العلاقة التي بينه وبين البدن فشاكل به العقل الأوائل أي القول المجردة].

فهذا ما أردنا ذكره في شرح هذه الكلمة الإلهية بحسب هذا اللتام . وأما البرهان على إثبات جوهرية النفس الناطقة ، وقيامها بذاتها ، وتجردها عن الجسمية ، وعدم ارتباطها في الجسم ، وبقائها بعد فساد البدن ، وكيفية أحوالها بعد الموت فهي ملخصة أو معذبة ، فقيه طول وبسط ، ولا ينكشف ذلك إلا بعد ذكر مقدمات كثيرة . وقد اتفقوا في رسالة مختصرة في بيان معرفة النفس وما يتعلق بها في بداية أمرى منذ أربعين سنة على طريقة أهل الحكمة البهائية ، فن أراد معرفتها طبعاتها فإنها مناسبة لطلبة البحث ، والله تعالى يهدي من يشاء إلى طريق أهل الحكمة النورية ، وجعلنا وإياكم في زميرهم ، إنه ولي ذلك ، والقادر عليه . والحمد لله رب العالمين وصلّى الله على خير خيرة من خلفه سيدنا محمد وعلى آله وعترته الطيبين الطاهرين وعلى صته أجمعين .

وكان الفراغ من مشقها في صبيحة التاسع عشر من ذي القعدة الحرام سنة ١٢٨٤ على كاتبها نفسه ولمن شاء أن يقرأ من بعده ، المير أحمد ولي الهدى المالكي الساهدي الخرجي .
عفا الله له ولجميع المسلمين آمين .

أحوال النفس

رسالة في النفس وبقائها ومعادها

للشيخ الرئيس
ابن سينا

حفظه وهداه إلى

الدكتور أحمد فؤاد الأيوبي

أستاذ مساعد بكلية الآداب جامعة الأزهر الأول

الطبعة الأولى

[١٩٧١ م - ١٩٥٢ م]

فهرس

ملحة

٣

مقدمة

٥

في تحقيق المخطوط

٢٥

في موضوع الكتاب

٤٥

رسالة أحوال النفس

٤٨

الفصل الأول : في حد النفس

٥٧

الفصل الثاني : في تعريف القوى الفساية على سبيل الاختصار

٦٩

الفصل الثالث : في اختلاف الأفعال القوي للدركة من النفس

٧٤

الفصل الرابع : في الدلالة على أن كل ما كان من القوى مدركا فليس يدركها بآلة

٨٠

الفصل الخامس : في أن إدراكها لا يكون بآلات في حال

الفصل السادس : في بيان أن النفس كيف تستعين بالبدن وكيف تستغنى

٨٧

بل يضرها

٩٠

الفصل السابع : في حمة استغنائها من البدن

٩٧

الفصل الثامن : في أن حدوثها مع حدوث البدن

٩٩

الفصل التاسع : في بقائها

١٠٦

الفصل العاشر : في إبطال التسلخ

١٠٨

الفصل الحادي عشر : في أن جميع قواها لنفس واحدة

١١١

الفصل الثاني عشر : في خروج العقل النظري إلى الفعل

١١٤

الفصل الثالث عشر : في إثبات النبوة

الصلح

١٢٢

الفصل الرابع عشر : في زكاء النفس

١٢٧

الفصل الخامس عشر : في سمادتها وشقاوتها بعد الفراق

١٤١

الفصل السادس عشر : في عمل هذه الرسالة

١٤٣

ثلاث رسائل في النفس لابن سينا

١ - مبحث عن القوى النفسانية

١٤٥

مقدمة الناشر

١٤٧

مقدمة ابن سينا

١٥٠

الفصل الأول : في إثبات القوى النفسانية التي شرعت في تفصيلها

١٥٢

الفصل الثاني : في تقسيم القوى النفسانية بالقسمة الأولى وتحديد النفس على الإطلاق

١٥٤

الفصل الثالث : في تحرير ما ليس شيء من القوى النفسانية بمحادث عن امتزاج

١٥٤

الناصر بل وارد عليها من خارج

١٥٦

الفصل الرابع : في تفصيل القوى النباتية وذكر الحاجة إلى كل واحدة منها

١٥٨

الفصل الخامس : في تفصيل القوى الحيوانية وذكر الحاجة إلى كل واحد منها

١٦١

الفصل السادس : في تفصيل القول في الحواس الخمس وكيفية إدراكها

١٦٦

الفصل السابع : في تفصيل القول في الحواس الباطنة

١٦٨

الفصل الثامن : في ذكر النفس الإنسانية من مرتبة بدنها إلى مرتبة كمالها

١٦٨

الفصل التاسع : في إقامة البراهين على جبرية النفس وغناها عن البدن

١٧٢

في القوام على مقتضى طريقة المنطقيين

١٧٦

الفصل العاشر : في إثبات جوهر متل مفارق للأجسام يقوم للنفوس البشرية

١٧٦

مقام المصنوع

٢ - رسالة في معرفة النفس الناطقة وأحوالها

١٧٩

مقدمة الناشر

الصفحة	
١٨١	مقدمة ابن سينا
١٨٣	الفصل الأول : في إثبات أن جوهر النفس مفاير لجوهر البدن
١٨٦	الفصل الثاني : في بقاء النفس بعد بولر البدن
	الفصل الثالث : في مراتب النفوس في السعادة والشقاوة بعد المفارقة من
١٨٧	الأبدان
١٨٩	خاتمة الرسالة
	٣ — رسالة في الكلام على النفس الناطقة
١٩٣	مقدمة الناشر
١٩٥	رسالة في الكلام على النفس الناطقة



